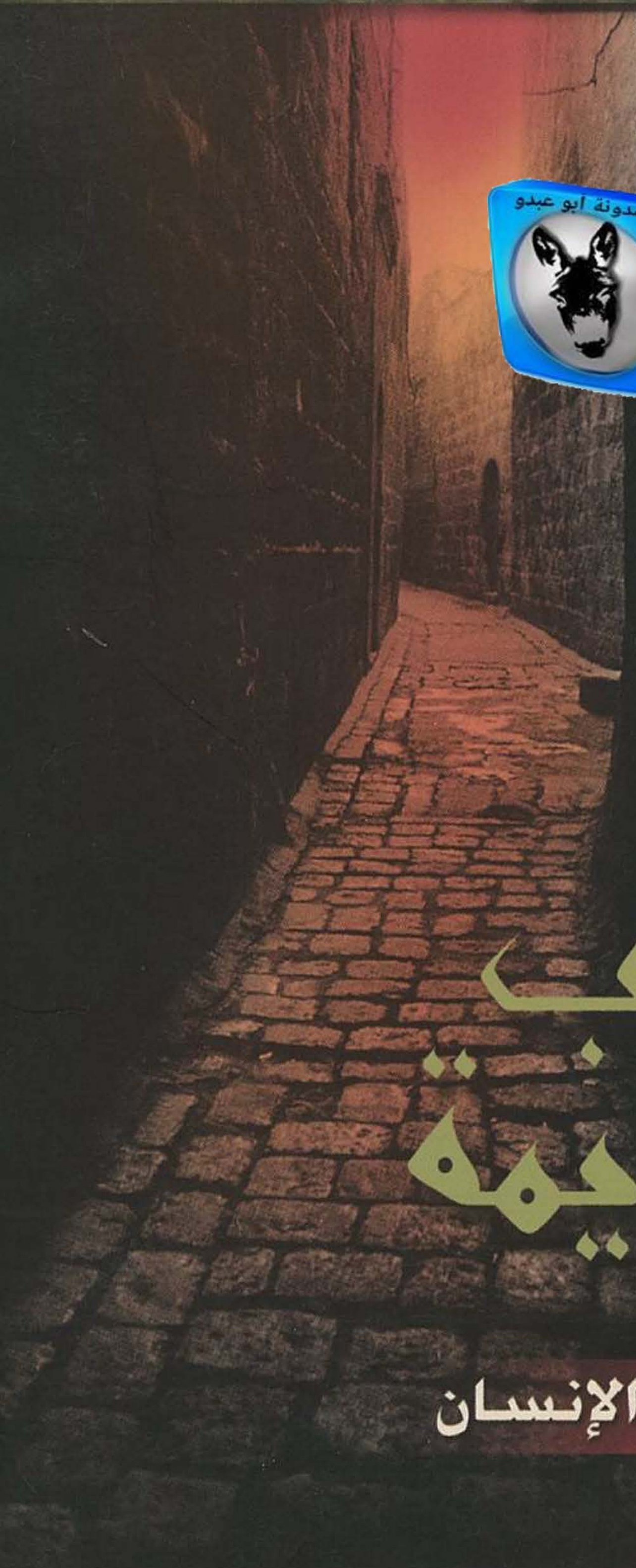
RAY
PUBLISHING & SCIENCE



أحياء حلب القديمة

تناغم الذاكرة والحجر والإنسان

تأليف: الدكتور محمود حريتاني

الى الأخ والصديق، ورفيق الدرب القديم الجميل

الى الأستاذ الكبير سعد زغلول كواكبي المحترم

مع تقديري للذكريات والصحبة

د. محمود حريتاني

١٨/١١/٢٠٠٥

أحياء حلب القديمة

■ الطبعة الأولى ٢٠٠٥

■ الناشر: شعاع للنشر والعلوم
حارة الرباط ٢ - المنطقة ١٢ - حي السبيل ٢

تلفاكس : ٣٦٤٢٥٤٥ (٢١) ٠٠٩٦٣
هاتف : ٣٦٤٢٥٤٦ (٢١) ٠٠٩٦٣
سورية ـ حلب
ص.ب ٧٨٧٥

لمزيد من المعلومات ولشراء كتب الدار مباشرة على الانترنت
يرجى زيارة موقعنا http://www.raypub.com

البريد الإلكتروني للقراء: nabilray@scs-net.org
البريد الإلكتروني لدور النشر والموزعين: raymail@raypub.com

أحياء حلب القديمة

إعداد

الدكتور محمود حريتاني

هذا الكتاب إلى كل حلبي يحمل هويته، وينتمي إليها، ويرى فيها أين سجله المدني "القيد". ليكون على معرفة تامة بهويته التي يحملها ويعرف بها.

يقرا صاحب الهوية في هذا الكتاب، تاريخ هذا القيد، فيترسخ انتماؤه إلى بلده ومدينته، ومكان ولادة أحد أصوله، وحتى الفروع.

الدكتور محمود حريتاني

نشرت هذه المقالات منذ عام ١٩٩٠، تباعاً، في جريدة الجماهير في حلب تحت عنوان "حلب متحف للتاريخ"

مقدمة

ليس من المستغرب أن يهتم المثقف، في أي بلد في العالم، بالتراث الإنساني؛ أيّاً كان شكله، وأيّاً كانت مواطنه. هذا المثقف يتمتع بإنسانيته، وكذلك يتمتع بكل عمل قام به الإنسان في أية بقعة من بقاع الأرض. إن التراث الإنساني، هو أولاً وآخراً، ملك للإنسانية جمعاء، وعلى مر العصور.

مدينة حلب القديمة، تراث إنساني عالمي، معترف به، من كل المنظمات الدولية، ومن "منظمة التربية والثقافة والعلوم – الأونيسكو" في "هيئة الأمم المتحدة" منذ عام ١٩٨٦م.

إنني عشقت هذه المدينة القديمة، منذ رأيت النور فيها، وإلى اليوم. كنت مسؤولاً رسمياً عنها، فترة عقدين ونيف من السنين. قدمت عنها دراستي لنيل درجة الدكتوراه. وإن معظم ما اطلعت عليه، ودرسته، وكتبته، وحاضرت عنه، في العديد من مدن العالم وجامعاتها؛ كان عنها. وقد أشرفت على دراسة أكثر من مائة وثلاثين باحثاً أجنبياً عنها؛ وحاضرت في جامعة حلب أمام طلاب الدراسات العليا أكثر من عقد ونيف من السنين عنها. وما زلت أعتني بها وتعتني بي، وأنا شيخ متقدم في العمر.

واليوم أجمع معظم ما نشرته عن : أزقتها وحاراتها وبواباتها... في هذا الكتاب الذي أقدم له؛ وأنا سعيد بنشره؛ لمن يريد أن يقرأ عن هذا البلد العريق في تاريخه وتقاليده وعمرانه وتراثه، وفي كل حجر من حجارته.

قرأت عن كل حي، في المصادر التاريخية المتوفرة، ثم زرت هذا الحي، واطلعت على معظم زواياه. ثم زرته ثانية لأتصور ما سيؤول إليه حاله في المستقبل. وبعد هذا كله كتبت عنه. وحاولت في بدء كل موضوع، أن أورد قولاً لأحد الباحثين المهتمين بالتراث، أو أن أقدم له بكلمة عابرة. ثم أنهي البحث برأي خاص أبديه. وأكثر ما كان يسعدني، أنني عرفت أناساً، فيما بعد، صرحوا لي أنهم كانوا ينتظرون نشر مقالي، ومن أجلهم كتبت، وبعضهم لم يكن يعرفني.

إن من بين أسباب اهتمامي بهذه المواضيع، أنني أردت، من كل حلبي أن ينظر إلى هويته الشخصية، ويعرف " قيده "، ليقوم بزيارة الحي الذي ولد فيه جدّه أبوه، جدّته أو والدته؛ قبل عقود طويلة من السنين، وإنه بزيارة إلى "خانته"، يتعرف على المدينة القديمة، ويساهم بالحفاظ على ماضيه وتاريخه وتراثه، الذي هو موضع إجلال واحترام كل مثقف.

كان إمامي في هذه البحوث؛ شيخنا المؤرخ كامل الغزي في كتابه "نهر الذهب في تاريخ حلب" وشيخنا الآخر، الشيخ راغب الطباخ في كتابه " إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء" ومؤرخون آخرون.

كان هدفي أن أوثق لهذه الأحياء، خشية أن تزول يوماً مع" التحديث "؛ وقد زال بعضها...

كما كان مرشدي، منذ البداية وإلى اليوم، صديق حلب، والعارف بها، الأستاذ، الدكتور، جان كلود وافيد؛ الذي لم يأل جهداً حتى تاريخه، من متابعة دراساته القيمة عن حلب قديمها وحديثها، مع باحثين حلبيين، يهتمون بتراث هذه المدينة؛ أقدم مدينة في التاريخ.

كلمة أخيرة. أردت من كتابي هذا، أن يكون همسة، وقد تصبح صرخة، في آذان الحلبيين، ليعرفوا تاريخ بلدهم، وقيمة تراثهم الكبير، وهو لهم أولاً وأخيراً؛ والويل لمن يضيع هويته، في زمن العولمة...

كلمة شكر

يشكر المؤلف، الزميل والأستاذ الدكتور جان كلود دافيد، مدير البحوث، في المركز الوطني للبحث العلمي في جامعة ليون الثانية في فرنسا لموافقته على السماح بنشر بعض الصور، ومخطط اصطياد الأبنية العالية للمساكن التقليدية في نسيج المدينة القديمة بحلب.

كما يقدم شكره للباحثة في علم الأتوديولوجيا، والإختصاصية في التصوير الفوتوغرافي؛ السيدة كريستين دليال، على موافقتها لنشر بعض الصور من كتابها الموضوع بالاشتراك مع الاستاذ جان كلود دافيد، بعنوان "مرور نحو الشرق".

إلى حلب المحروسة

أحياء المدينة القديمة

يقرأ المواطن في حلب على صفحة هويته الشخصية محل قيده، فيرى مثلاً أنه سجل في محل السليمية أو ابن يعقوب وابن نصير أو تلة عائشة وتلة السودا وهكذا... دون أن يدري أنه حين يقرأ هذه الكلمات فإنه يقرأ تاريخ مدينة حلب، فالأسماء التي أعطيت إلى الأحياء، وخاصة الأحياء القديمة، هي أسماء تدل على تاريخ هذه الأحياء والمناسبات التي أقيمت من أجلها، ونخص بالذكر الأحياء التي تقوم ضمن أسوار المدينة القديمة ووراء أبوابها.

حتى إن الأوابد الأثرية من أسوار وأبواب وقساطل وسبلان وخانات، حتى برج ساعة باب الفرج، فإنها جميعها تحمل أسماء لها دلالة عميقة تشير إلى الباني والمؤسس والواقف والناظر وغيره.

وإن من يتعمق في دراسة كتب التاريخ والمخطوطات والمسكوكات والنقوش الحجرية فإنه يقرأ تاريخاً حافلاً بالذكريات والحوادث والمناسبات، وهذا لا ينطبق على المدينة فقط أيا كانت هذه المدينة، بل ينطبق على القرى والمزارع والأماكن، وبهذه المناسبة نود أن نورد ملاحظة سريعة فنقول إن من الخطأ الفادح تغيير الأسماء القديمة مهما كانت، فهي تحمل مفتاح تاريخها، ولهذا يجب أن نحتفظ بها.

حلب هي من أقدم مدن العالم، وإن لم تكن أقدمها فعلاً، فهي لا تزال تمسك خيوط تاريخها ومخططها المعماري القديم وتكوينها المعماري القديم وتكوينها الأول منذ القرن الرابع قبل الميلاد؛ حتى إن نصاً تاريخياً اكتشف في قلعة حلب يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة عام قبل اليوم، وقد اكتشف نص آخر على جدار أحد الأبنية القائمة حتى اليوم يعود إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة عام.

هذا فضلاً عن حفريات جرت في موقع محلة الحمدانية، أظهرت مستوطنة تعاصر مدينة إبلا المعروفة وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

كانت المدن القديمة تشاد عادة على مرتفع أو أكثر، وبجانب نهر يزودها بالماء للشرب والزراعة. وأحد هذه المرتفعات يشكل النواة الأولى أو - الأوكروبول - والأمثلة على ذلك كثيرة في مدن العالم القديم. وفي حلب المدينة القديمة، لا يزال المرتفع النواة - الأوكروبول - موجوداً وقد بنيت عليه المدينة القديمة ثم القلعة العتيدة الماثلة أمامنا حتى اليوم، وفيها اكتشف كما ذكرنا أقدم نص تاريخي.

أما التلال الأخرى فهي أكثر من واحدة بعضها داخل الأسوار، وبعضها الآخر خارجه وعلى سبيل المثال فهناك - تلة السودا - : وهي إحدى محلات حلب القديمة خارج الأسوار، تقع إلى جانب باب قنسرين أحد أبواب حلب القديمة والقائم كالقلعة حتى اليوم، هذه المحلة هي مرتفع من الأرض، اصطناعي، وهو ركام أثري تميز بترابه الأسود ومن هنا جاءت التسمية - وقد ظهرت فيه عن طريق الصدفة بعض الأواني حين أقيم بناء مدرسة عليه في الستينات دون دراسة مسبقة، فكان أن تشققت جدران البناء، وقد أزيل مؤخراً. وأقيمت فوق المرتفع حديقة عامة. ومن المعروف أن أرض هذه التلة كانت وقفاً خالصاً للجامع الأموي بحلب.

أما - تلة عائشة - وهي محلة مرتفعة داخل أسوار المدينة القديمة، فتقع بالقرب من محلة - السفاحية - سميت نسبة إلى عائشة بنت صالح بن علي العباسي زوجة موسى الهادي وقد بنى عليها والي حلب محمد باشا دوقة كين؛ خان العلبية، وجامعه المعروف بجامع العادلية لجواره دار العدل عام ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠م، وقد ذكرت المصادر التاريخية وجود كنيسة مندثرة في المكان.

وهناك - تلة الست - وهي إحدى محلات حلب القديمة، تقع في مركز المدينة. ولا نعرف سبب التسمية إلا أن المصادر التاريخية المتوفرة لدينا قد أتت على ذكرها منذ بداية العصور الأولى لمدينة حلب، بنيت عليها حمام عرفت بـ - حمام الست - وهي حمام النحاسين حالياً القائمة أمام خان النحاسين، بجانب سوق المحمص.

أما محلة - ابن نصير - وهي إحدى محلات حلب القديمة، خارج الأسوار فقد ضاع اسمها لدى أهالي حلب، ولم يعد يذكر سوى في الكتب والسجلات الرسمية وعلى القبر الطويل الموجود في جامع الحي. فالمحلة تعرف حالياً باسم - جب القبة - بسبب وجود سبيل للماء كان عليه قبة جميلة الصنعة حتى وقت قريب. وقد عرفت هذه المحلة، ولا تزال بسوقها؛ المحلية التي يرتادها سكان القرى الشمالية والشرقية لبيع منتوجاتهم، وخاصة الحيوانية. ولهذا انتشرت فيها الخانات، حيث كانت تجمع الغلال وتباع كما كان فيها مدار لطحن البرغل والنشا وغيره.

وبالقرب منها محلة - ابن يعقوب - وهي محلة قديمة خارج الأسوار تقع قرب بانقوسا، تدعى المحلة باسم - حارة الزغار - أو الصغار بسبب أحداث جرت فيها، وفيها جوامع ومساجد وقساطل وحمامات بني بعضها عام ٧٩٢ هـ - ١٣٨٩م. وكان من جملة ساكنيها الشيخ محمد الزرقا فقيه حلب وأمين الإفتاء في استانبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية آنذاك.

أما محلة - أرض الحلبة - فهي من أقدم محلات حلب القديمة خارج الأسوار، وتقع بجانب جبل الجوشن - الأنصاري حالياً - بنى فيها سيف الدولة الحمداني قصره سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م.

ومنه كان يشاهد سباق الخيل. وقد بقيت هذه العادة حتى مطلع القرن العشرين، ثم انتقلت إلى موقع مستشفى الرازي الحالي إلى أن انقرضت.

سميت المحلة أيضاً بأرض العقيقة، حيث تنبت شقائق النعمان في الربيع، ويصبح لون التربة بلون العقيق. وكانت مصيف أهالي حلب، وفيها يودعون حجاجهم الذاهبين إلى الأراضي المقدسة. وفيها أيضاً يستقبلون والي حلب الجديد. بنيت فيها محلة حديثة - نسبياً - دعيت بـ - السليمية - نسبة إلى ابن السلطان عبد الحميد الثاني الذي انتهى حكمه عام ١٩٠٨م وقد توسعت هذه المحلة في عهد الوالي جميل باشا، فدعيت بـ الجميلية في عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦م وقد بنيت فيها مدرسة السلطاني - حالياً ثانوية المأمون - ثم دار المعلمات ١٣١١ هـ - ١٨٩٣م - حالياً ثانوية معاوية - ثم عدة قصور منها مبنى جمعية العاديات الحالي، ومحطة الشام - التي هدمت مؤخراً وبني بجانب مكانها مبنى السكك الحديدية -. سكن محلة الجميلية المهاجرون إلى حلب، ثم جميع الطوائف ولا تزال بعض هذه الأبنية قائمة إضافة إلى مستشفى القديس لويس - المعروف بمستشفى فريشو - نسبة إلى أحد الأطباء الذين عملوا فيه، واكتسب شهرة - والذي بني عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.

محلة باب انطاكية

قد يستغرب صاحب المخزن في محلة باب أنطاكية كثرة الزوار العرب والأجانب يقفون أمام الباب الأثري، يتأملون حجارته، ويقرؤون الكتابات المنقوشة على جدرانه، وقد يستعينون بكتاب معهم يقرؤونه، أو يستمعون إلى شرح دليل معهم. وإذا كان صاحب المخزن هذا ممن تقدم به العمر، يشير إليهم إلى بعض زوايا الباب المزخرفة، ليفهمهم أنهم يرون أثراً، أو إلى كتلة حديدية على شكل الكرة عليها بعض الزخارف، وقد علقت بها حربة، فيقول لهم هذه - كلّة معروف - ثم يسكت.

الواقع أن هؤلاء الزوار قد جاؤوا من أطراف المعمورة، يقودهم كتابهم أو دليلهم المختص فيشرح لهم أهمية هذا الباب الأثري والمحلة التي يقوم بها. ولا عجب في ذلك، فهما معلم من معالم حلب السياحية الهامة.

إن محلة باب إنطاكية هي من محلات حلب القديمة، داخل السور وخارجه يجمع بينهما الباب الأثري، وجسر كان قائماً على نهر قويق.

تضم المحلة خارج السور تربة ومسجداً وحمامين أحدهما خصص للدباغين الذين انتقلوا من مكانهم القديم قرب موقع السبع بحرات الدباغة العتيقة، وقد بني الحمامان في عام ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م.

هدمت محلة باب إنطاكية خارج الأسوار مؤخراً، وبقيت المئذنة فقط، وقد أحيطت بمرآب حديث للسيارات السائحة الصغيرة.

أما المحلة داخل السور فقد بنيت فيها المدرسة الشعيبية سنة ٥٤٥ هـ - ١١٥٠م وتدعى أيضاً جامع الأتراس - حيث أراح العرب الفاتحون، حين دخلوا حلب من باب أنطاكية، أتراسهم هناك -.

وقد حول السكان الأبراج المحصنة المحيطة بالباب إلى خانات ومساكن، حيث كانت المحلة وما زالت المدخل الأساسي لمدينة حلب القديمة وحيث ينشط التبادل التجاري مع سكان المدينة والقرى الغربية والجنوبية المجاورة لمدينة حلب.

محلة باب قنسرين

ومن محلات حلب القديمة المشابهة هناك محلة باب قنسرين داخل الأسوار وقد سميت باسم الباب المذكور وسنتحدث عنه وعن أبواب حلب حديثاً واسعاً.

تعد هذه المحلة من أكبر وأعمر محلات حلب لا يزال فيها عدد كبير من الأوابد الأثرية من منازل جميلة وجوامع ومساجد منها : جامع الإسكافي، وقد بني عام ٥٤٢ هـ - ١١٤٧م والطرسوسي عام ٥٤٩ هـ - ١١٥٤م وغيرها.

كما يوجد فيها البيمارستان الأرغوني - وسنتحدث أيضاً عنه فيما بعد حديثاً خاصاً - وقد بني عام ٧٥١ هـ - ١٣٥٠م وخان القاضي ٧٨٣ هـ - ١٣٨١م فضلاً عن العديد من الحمامات والمصابن لصنع الصابون الحلبي المعروف، وكذلك - حبس الشرع - أي السجن. إن أجمل وأوسع دور هذه المحلة : قناق الجزار الذي بني عام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨م. وقد أنشئ فيها في فترة ما مكتب للصنائع في عام ١٣١٩ هـ - ١٩٠١م لتعليم المهن اليدوية، لكنه توقف حين أنشئت مدرسة للصنائع في محلة تحت القلعة. لازالت هذه المحلة قائمة كما كانت سوى أن بعض دورها الجميلة قد قسمت إلى عدة دور.

لقد استقبل بعض ساكني هذه الدور مؤخراً خبراء في هندسة العمارة من سويسرا برئاسة خبير من اليونسكو قاموا بدراسة مستفيضة لمخطط هذه الدور التي اشتهرت في العالم.

محلة أرض الخناقية

لا تزال أحياء حلب تحتفظ بأسماء تاريخية، وغالباً ما تكون هذه الأسماء هي البداية لمعرفة تاريخ المدينة بكاملها، إذ إن اسم الحي لا يطلق اعتباطاً فهو يدل على حادثة معينة أو اسم شخص معين أو منطقة معينة وهكذا...

إن بعض هذه الأسماء ما زالت باقية وبعضها زال مع زوال الحي أو مع ظهور حي جديد مكان القديم وكثير من الأحياء أو حتى القرى والمدن قد زالت بسبب الكوارث من زلازل وحرائق وفيضانات أو حروب. فتظهر لهذه المواقع أسماء جديدة، تكون أحياناً مشتقة من الاسم القديم أو تختلف اختلافاً كلياً أو تحرفه قليلاً ومع هذا تبقى آثار تدل على الاسم القديم من كتابات أو نصوص أو حتى ذكريات مكتوبة أو متناقلة أو متوارثة شفهياً.

أن – أرض الخناقية – مثلاً هي من محلات حلب القديمة تقع خارج الأسوار، وإلى الغرب منها. سميت بذلك لوقوعها في خانق منخفض بين مرتفعين من الأرض على شكل هضبتين. لم تذكر المصادر التاريخية كثيراً عنها سوى أن الوافدين الأرمن قد سكنوها منذ نهاية القرن العشرين. وقد شق فيها طريق حديث ونشأ على جانبي الطريق شارع حديث دعي – بشارع فيصل – كما نشأ فيها مبنى كبير لجمعية الأيتام الإسلامية ومدرسة تابعة لها. وقد نسي الناس اسم – الخناقية – ولم يعد يذكر سوى اسم الشارع الحديث.

محلة الأعجام

أما محلة – الأعجام – فهي من محلات حلب القديمة داخل الأسوار، وتقع داخل – باب النيرب –.

كانت ولا تزال عامرة، وبني فيها جامع الأطروش عام ٨٠٦ هـ – ١٤٠٣م وفيها سوق القصيلة، وعدة خانات ومقهيان وأفران. واعتبرت امتداداً لمحلة جب القبة من حيث الأهمية الاقتصادية، شقت فيها أول – جادة – عريضة ودعيت بـ الجادة العظمى – بعد ردم الخندق المجاور للمحلة.

محلة أغيور " اقيول سابقا "

أما محلة – أغيور – فقد كانت من محلات حلب القديمة وأصبحت اليوم تعد من المحلات الحديثة بعد أن تغيرت معالمها، و لم يعد يذكر القديم منها إلا الشيوخ نسبياً.

فقد بنيت خارج أسوار المدينة القديمة، وحرف الاسم من اسم تركي هو – أق يول – ويعني – الدرب الأبيض – ربما بياض التربة في المحلة، أو من كلمة – آغا يولي – وتعني – طريق الآغا – سكنها المسلمون والطوائف المتعددة وكان فيها تجار الفحم المجلوب من جبل الأكراد شمالي حلب. فيها تكية بابا بيرم التي بنيت عام ٧٦٤ هـ – ١٣٦٢م ومشهد الصوفية الذي بني عام ٨٠٨ هـ – ١٤٠٥م إضافة إلى أربعة مقاهي ومدارين وثلاثة أفران وخمسة خانات زالت كلها بعد أن شق فيها في الخمسينات شارع عريض، فتغيرت معالم المحلة و لم يبق إلا جامع البختي مع أبنية حديثة مجاورة له.

لعبت المحلة دوراً في تاريخ المدينة وخاصة في أحداث حلب عام ١٨١٩م و ١٨٥٠م – في بوابة أغيور وزقاق الطويل.

محلات : الأكراد والطون بغا والألمجي

من المحلات القديمة بحلب والتي لم تتغير كثيراً واحتفظت باسمها (محلة الأكراد)، وهي تقع في شمال شرقي المدينة القديمة.

أي في الضاحية الشمالية. ذكرها المؤرخ الحلبي المعروف ابن شداد المتوفى سنة ١٢٨٥م والمؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ١٤٨٥م. وأهم أبنيتها مسجد خير الله الذي بني في العهد المملوكي، وكان مقراً للطريقة القادرية وتقام فيه الأذكار الشاذلية.

أما محلة (ألطون بغا) فقد عرفت سابقاً باسم (المزوق) وباسم (الميدان الأسود)، وبني فيها جامع الطونبوغا عام ١٣١٨، ولا يزال باقياً، وقد توسعت المحلة حوله حتى الآن. كما بني فيها حمام يلبغا الناصري عام ١٤٨٧ م، أو جدد بحسب بعض الروايات التاريخية. وقد جدد ثانية مؤخراً لتستثمره وزارة السياحة.

كما أن محلة (الأله جي) قديمة وقد عاش فيها مختلف سكان حلب، ولعبت دوراً كبيراً في الصراع ضد بعض ولاة حلب من العثمانيين المتسلطين. وفيها جامع الميداني الذي بني عام ١٥٢٧م. كما بنيت فيها عدة قيساريات لحياكة النسيج، وفيها أربعة قساطل لتوزيع مياه حيلان وعدة حمامات. وبدأت بلدية حلب مؤخراً بفتح ساحات فيها بدلاً من شوارع عريضة، وهكذا تتبدل ملامح المدينة القديمة.

محلة الأنصاري

أما محلة (الأنصاري) فهي من محلات حلب الحديثة بجانب قرية (الياروقية) التي ذكرها ياقوت ونسبها إلى ياروق التركماني من أمراء نور الدين المتوفى عام ١١٦٨م. وكان صلاح الدين قد ضرب خيامه فوقها حين حاصر حلب. وفيها ضريح عبد الله الأنصاري، ومن هنا جاءت التسمية الحديثة والذي جدد سنة ١٢٢٥م، وجرى توسيعه في عام ١٤٢٦م. وعرف كذلك بـ (مشهد سعد الأنصاري). وقد توسعت هذه المحلة منذ النصف الثاني من القرن العشرين. وارتبطت بمركز المدينة بطريق إسفلتي، وتعد اليوم من الأحياء ذات الكثافة السكانية الكبيرة.

محلة أوغل بك

أما محلة (أوغل بك) فهي من محلات حلب القديمة، وعرفت بارتفاعها وطيب هوائها وقد دعيت باسم (باب الأحمر) لأنها تجاور باباً من أبواب حلب بهذا الاسم، دمر منذ فترة طويلة. ونسبت المحلة إلى عثمان بن أحمد أوغلبك الذي بنى جامعه عام ١٤٨٠م ويوجد في المحلة الزاوية الصيادية التي بدئ ببنائها عام ١٨٧٨م، وانتهى عام ١٩٠٩م. وهي اليوم مركز الإفتاء بحلب.

محلات : بادنجك وبالي برغل وبانقوسا

تعاقبت العصور على مدينة حلب وتتالت عليها الأحداث فترك ذلك كله آثاره على المدينة من مباني وأسماء وغير ذلك.

إن دراسة تطور أسماء المواقع، والطراز العمراني للأبنية هي دراسة للمراحل التاريخية التي مرت على المدينة، وكذلك دراسة لتطورها الاقتصادي.

مثال ذلك: انتشار مهنة النسيج اليدوي في حلب وبناء القيسريات وكان في كل قيسرية عشرات الأنوال النسيجية اليدوية، فلا يخلو حي من أحياء حلب من وجود أكثر من قيسارية.

ففي محلة بادنجك وهي خارج الأسوار والتي قد يكون اسمها التركي قد حرف عن كلمة ميدان جوك أي الميدان الصغير، ويعود جامعها الذي ينسب إلى ابن العديم مؤرخ حلب إلى أواسط القرن الحادي عشر الهجري أي أواسط القرن السابع عشر الميلادي، كانت هذه المحلة تمتلئ بالقيساريات، وتنتشر فيها مهنة النسيج اليدوي، وقد نقلت إليها المياه عبر قناة حيلان من قسطل علي بك. لم يعد للقيساريات وجود، فقد انقرضت تقريباً مهنة النسيج اليدوي، فضلاً عن فتح الشوارع الحديثة قربها.

ومن محلات حلب القديمة محلة بالي برغل، وهي خارج أسوار المدينة القديمة في الضاحية الشمالية وهي ما تعرف بـــ الجديْدة. وقد كان عدد من القيساريات ينتشر فيها، وكان فيها عشرات المئات من النساجين. واليوم لم يعد يوجد فيها إلا العشرات فقط. بل إن سكانها الأصليين قد نزحوا عنها للسكن في الأحياء الحديثة. وبقيت المحلة قائمة كما كانت حين أنشئت في القرن الخامس عشر الميلادي.

أما حي بانقوسا – فقد كان من أهم أحياء حلب القديمة خارج الأسوار. ويقع بالقرب من باب الحديد. وهو قديم ذكره الشاعر البحتري ثم من بعده الصنوبري وغيرهما.

عرف هذا الحي بارتفاعه عن باقي أجزاء المدينة وبكثافة أشجاره في القرون الأولى من عصورنا الحاضرة، وكان يلعب دور الحصن المتقدم لصد الأعداء عن حلب.

ولم يكن باستطاعة أي مهاجم للمدينة أن يأخذها إن لم يستول على بانقوسا حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده إلى العهد العثماني، حيث ثار سكان الحي مراراً ضد الولاة العثمانيين.

حين ازدهرت حلب اقتصادياً، كانت القوافل المغادرة، وتعد آلاف الجمال، تنظم في الحي المذكور. كما أن التبادل الاقتصادي بين المدينة والمناطق الشمالية والشرقية يتم في هذا الحي؛ ولهذا بني فيه عدد كبير من الخانات لاستيعاب الحاصلات الاقتصادية، بالإضافة إلى حمامات ومساجد وجوامع أقدمها جامع الحدادين، ويعود إلى القرن الثامن الهجري - العاشر الميلادي. فضلاً عن سوق عامرة لتأمين احتياجات رواده من سكان المدينة والوافدين عليها من الريف بشكل خاص وكذلك عدد من المقاهي.

أصاب الحي تبديل جذري، فهدم معظم السوق وقسم من الحي في أواخر الخمسينات، وفتح فيه شارع عريض، فأضاع جزءاً كبيراً من أهميته الاقتصادية القديمة. وعمرانه التقليدي العريق وإذا ما قامت الأبنية العالية على طرفي الشارع الحديث، فسيكون ذلك سبباً لزوال الدور الجميلة الباقية في الحي، إذ تصبح هذه الدور تحت رحمة الأبنية العالية، فتؤدي إلى هجرها وبالتالي تهدمها، إذ تمنع الهواء والشمس عنها، وتقضي على خصوصية سكانها. وهذا ما يجري لدى تداخل النسيج العمراني الحديث مع النسيج العمراني التقليدي - وبذلك تضيع معالم البناء القديم، ويصبح فريسة سهلة لزحف الأبنية البرجية الحديثة التي تصطاد الدور التقليدية الجميلة فتقضي عليها، وتفقدها أصالتها. ولنا عودة إلى التفصيل في ذلك.

إن ما تحدثنا عنه في حي بانقوسا قد تم في حي بحسيتا في منطقة باب الفرج، وسيكون هذا الحي موضوع بحثنا القادم.

زقاق الزهراوي

ما زلنا نسير على دروب مدينة حلب القديمة العريقة في القدم والتي لا تزال تمسك خيوط تاريخها الطويل بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد أي خلال خمسة آلاف سنة من عمر الزمن.

إن أي باحث في تطور مدينة حلب القديمة لا يستطيع أن يحدد فترة زمنية قديمة معينة في أي جزء من أجزاء المدينة، كما يجري ذلك في موقع تاريخي وأثري مثل إيبلا وغيرها. ذلك أن مدينة حلب ككل المدن القديمة القائمة اليوم، كائن حي، ينمو ويتطور باستمرار ويحتفظ في كل مرحلة من مراحل نموه بشاهد يشهد على تطوره قد يكون بناءاً أو جزءاً من بناء، وقد يكون الاسم فقط والاسم لا يحفظ تاريخ الموقع فحسب، بل وتطوره عبر التاريخ.

موضوعنا اليوم يتناول هذه الناحية الأخيرة، إذ سنتحدث عن محلة من محلات حلب لا تزال تحتفظ باسمها التاريخي القديم، وببعض الأوابد القليلة.

إن زقاق الزهراوي الموجود شمالي أسواق المدينة القديمة ويشكل امتداداً لها، هو اليوم زقاق حديث، بل هو شارع حديث فيه كل ما هو جديد من مباني ومحلات وواجهات، حتى إن جامعه القديم قد أصبح جديداً تماماً، ويقوم في الطابق الأول ولا يدل مظهره الخارجي على وجوده إنما يتخلل أبنية هذا الزقاق بعض الدور القديمة جداً والتي لم تعد تستعمل للسكن، بل هي ورشات ومستودعات.

عرف زقاق الزهراوي قديماً باسم – درب البازيار – نسبة إلى أحمد بن نصر بن حسين البازيار المتوفي سنة ٣٥٢ هـ – ٩٦٣م، وكان من حاشية أمير حلب الكبير سيف الدولة الحمداني ونديمه. ذكر مؤرخ حلب الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء – أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز قد أقاما في هذا الدرب. – اهتم به معمار حلب الكبير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، فأوصل إليه مياه قناة حيلان، في بداية القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي. وذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى ٦٨٤ هـ – ١٢٨٥م فيه مسجداً معلقاً.

يعود المؤرخ طباخ ليذكر أن هذا الدرب كان مليئاً بالمدارس والخانقاوات وهي كما يلي: المدرسة البدرية التي أنشاها بدر الدين عتيق عماد الدين شادي بن الملك صلاح الدين الأيوبي وذكرها المؤرخ ابن شداد أيضاً.

المدرسة الرواحية أنشأها أبو القسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة المتوفى سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥م وخانقاه الشمسية أنشأها شمس الدين أحمد أبو بكر المتوفى سنة ٦٣١ هـ - ١٢٣٣م، وخانقاه الخادم التي خصصت للنساء مع دار ملحقة بها لا نعرف إلى من نسبت وخانقاه أخرى لم يذكر المؤرخون من بناها.

يؤكد المؤرخ الطباخ أن هذه المدارس والخانقات قد دثرت منذ زمن طويل إلا أنه رأى أبوابها ذات الأحجار الثلاثة السوداء لكلٍ منها. ومن المعروف أن ساكن طرفي الباب الخارجي لأي بناء هام، كانت من الحجارة البازلتية السوداء، ولا يعرف القائمون على هذه الأبنية أهمية الحجارة السوداء فيقومون بطلائها بالدهان الأبيض تغطية لسواد الحجارة وزخرفتها أيضاً، كما جرى في مدخل مسجد ميرو بنهاية سوق المحمص وفي الطريق إلى البيمارستان الأرغوني. متى نتعلم ذلك !!!!

بقي هذا الدرب عامراً، فذكر فيه خلال العهد العثماني مسجد من آثار بني زهير، ولم تذكر المصادر من هم بنو زهير هؤلاء وقد يكونون قد اعطوا اسمهم للدرب فدعي بدرب أو زقاق الزهراوي كان مسجدهم مخصصاً لتعليم الأطفال في بعض أقسامه.

كما ذُكر فيه سبيل وقسطل يقعان في بدء الزقاق من الجهة الجنوبية وقد حدثنا الرجال القدماء أن الزقاق كان مسدوداً إلا أنه فتح في جهته الشمالية فمنه يمكن النفوذ إلى محلة السويقة يميناً وإلى محلة بحسيتا يساراً وكان يشار إليه على أنه يقع إلى الشمال من المدرسة الشرفية التي لعبت دوراً في تاريخ حلب العلمي، ولا تزال ببعض أقسامها قائمة إلى اليوم وتعرف حالياً باسم مكتبة الأوقاف.

إن الزائر لزقاق الزهراوي - وهذا اسمه دائماً وسيبقى - لابد له أن يعرف أنه يسير في درب ابن البازيار، حيث سكن خليفتان أمويان وأن عمره يعود إلى ألف سنة ونيف مضت، وأن الورشات الكثيرة العاملة فيه والتي تصدر ما تنتجه من ألبسة جاهزة بالدرجة الأولى محلياً وعربياً ودولياً لن تغير من اسمه التاريخي العريق.

حي بحسيتا – محلة البختي – أغيور [آقيول]

ما أكثر ما تتبدل حياة الشعوب، فتصيبها تطورات هامة إلى الهجرة والانتقال والغربة والاغتراب وفي كل هذه الأحوال تبقى منازلها شاهدة عليها... تتحدث عنها – وما أحلى حديث المنازل – ومهما أصابها التدمير، فالجذور منها تبقى خالدة أبد الدهر...

إن حي بحسيتا، وقد أصابه ما أصابه من تطورات، فإن بعض أوابده قائمة. لقد اختلف الرواة والدارسون حول تسميته، فقد تكون – سيتا – باحت بالسر، أو ظهر صيتها وذاع، فإن هذا الحي كان من بين أقدم أحياء حلب داخل الأسوار وعلى مقربة من باب الفرج أحد أبواب المدينة المندثرة غير أن اسمه وأحد أبراجه لا يزالان قائمين، والبرج اليوم فندق صغير اسمه فندق زهرة الشهباء... لقد ذكر ياقوت الحموي – وهو المتوفى سنة ٦٢٦ هـ – ١٢٢٨م – هذا الحي كما أن مسجد – سيتا – لا يزال قائماً وله منارة جميلة عليها كتابة يستدل منها أنها بنيت عام ٧٥١ هـ – ١٣٥٠م...... وقد سكنه عام ٨٩٨ هـ – ١٤٩٢م عدد كبير من اليهود الذين هاجروا من أسبانيا. ولهم فيه معبد قديم يضم مدرسة للتعليم... كما يضم هذا الحي المدرسة القرموطية التي بنيت عام ٨٨٣ هـ – ١٤٧٧م وبيت رجب باشا والذي لا تزال واجهته شامخة حتى اليوم وقد بناه والي حلب عام ١١٣٢ هـ – ١٧١٩م. ثم الجامع العمري، وأخيراً قسطل السلطان الذي هدم في عام ١٣١٦ هـ – ١٨٩٩م وبني على أنقاضه برج ساعة باب الفرج... أما بقية آثار هذا الحي فقد هدمت ليحل محلها مشروع باب الفرج والذي كان القصد منه إنشاء مركز تجاري حديث ضخم يضم الأبنية البرجية العالية، ولكن بعد ظهور البرجين الأثريين في الزاوية الغربية الشمالية أحدهما برج الثعابين – وجزء من السور المزدوج والفصيل بينهما حال ذلك دون تنفيذ المشروع السابق واستعيض عنه بمشروع آخر تنفذه حالياً مؤسسة الإسكان العسكرية وفيه أبنية غير عالية أكثرها للخدمات : كمركز ثقافي وسوق محلية ومسرح وغير ذلك فضلاً عن إعادة ترميم الأبنية التي هدمت والتي لا يزال بعض أجزائها قائماً وبشكل ينسجم مع الجهة الثانية لشارع شكري القوتلي أو جادة الخندق. وهكذا ورغم نزوح سكان الحي إلى أحياء أخرى في المدينة فقد بقي الحي وأوابده الأثرية. وفرضت هذه الأوابد تغييراً جذرياً للمشروع، وسيعود للحي بعض أبنيته القديمة...

أما محلة البختي وكانت تدعى - الرمادة - وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار - فهي تقع في أقصى الشمال إلى الشرق قليلاً من حي أقيول. لعبت دوراً كبيراً كما سنرى بعد قليل، فكانت تقوم بجانب مقبرة جبل العظام. وفي الحي جامع صغير أنشأه عيسى بن موسى الكردي في عهد السلطان الناصر يوسف الثاني عام ٦٤٥ هـ ١٢٤٧م وجدده السلطان عبد الحميد الثاني... وكان في المحلة مغارة كبيرة وساحة واسعة أمامها وقد كان يُجمع فيها المهجرّون الأرمن عام ١٩١٥ وما بعدها، ولهم فيها ذكريات لا تنسى...

لقد توسعت محلة أقيول أو أغيور في الخمسينات بعد فتح شارع عريض فيها وزاد البناء فيها بحيث وصل إلى محلة البختي وبذلك بدأت تضيع معالمها تقريباً... ولم يعد هناك إلا القليل من السكان من يذكر الفسحة الواسعة بين نهاية حي أغيور ومحلة البختي. هذه الفسحة كانت مجال النزهة لأهل محلة أغيور لقضاء أمسيات الصيف وبعض أيام الربيع... والتاريخ يذكر الدور الذي لعبته هذه الفسحة التي عرفت قبل مائة وسبعين عاماً باسم بوابة أغيور أو برية أغيور أو اختصاراً البرية، حيث كانت الحرب سجالا بين أهالي حلب وبين خورشيد باشا الوالي العثماني عام ١٨١٩م، وكان مقره في تكية - الشيخ أبو بكر - المجاورة. وفي هذا المكان بالذات كانت تجري مناوشات بل معارك حقيقية بين أهالي الحي وبين الجند الفرنسي أيام الانتداب والذين كانوا يحاولون دخول الحي عن هذا الطريق...

حي برية المسلخ

للمدينة العربية والإسلامية بشكل خاص، خصائص تتميز بها من حيث تكوينها واتساعها، والحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها.

إن كل تجمع سكاني فيها يقوم على أسس معينة بدءاً من المركز وانتهاء بالضواحي. هذه الأسس تقوم على عوامل اجتماعية ودينية وإتنوغرافية وغيرها.

إن كل حيّز عمراني يبتعد عن مركز المدينة وعن مركز الحي أيضاً هو برية. وكلمة البرية جاءت من البر وجمعه براري. وهي في عرف تنظيم المدن : الفسحة من الأرض بعيدة عن المدينة وأحياناً عن تقاليدها وعاداتها... حتى إن كل شيء فيها لا يمت إلى المدينة العربية الإسلامية أيضاً هو : برية. وكثيراً ما كنا نسمع قبل عقدين أو ثلاثة من السنين، أن الناس يذهبون إلى البرية ويقصدون بذلك دور اللهو غير الأصيل والمعروف في قلب المدينة والحي. وهذه هي دور الرسوم المتحركة أي السينما ودور الرقص وغير ذلك. وهذه كانت خارج أسوار المدينة وبعيداً عنها نسبياً، انتشرت في أوائل الربع الثاني من القرن العشرين في منطقة باب الفرج وعلى وجه التحديد في منطقة بستان كل أب وهي منطقة ظهرت في ذلك الوقت بعد دخول السيارة. وسنبحث هذا في حينه.

إن حي برية المسلخ ليس من هذا القبيل إنما كان حياً بعيداً عن مركز المدينة وخارج أسوارها وكانت فيه ساحة واسعة تجمع فيها المواشي لذبحها وسلخها لاستهلاك المدينة من اللحوم ومن هنا جاءت التسمية برية المسلخ.

إضافة إلى ذلك ففي ساحتها الواسعة والبعيدة، كان العثمانيون يجمعون الجنود لإرسالهم إلى جبهات القتال، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨.

وقد تطور هذا الحي كغيره فبعد التوسع العمراني لمدينة حلب أصبح هذا الحي من ضمن أحياء المدينة وقد أنشئ أول حوض للماء فيه عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م وأول مطحنة آلية عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م.

وخلال الانتداب الفرنسي ١٩٢٠ - ١٩٤٦م أنشئ في الساحة حديقة عامة لا تزال قائمة بعد أن حُسِّن تنظيمها مؤخراً وبني بجانبها مستوصف لا يزال قائماً ومدرسة موجودة أيضاً سنتحدث عنها فيما بعد وقد بني مؤخراً بجانبها مدرسة حديثة.

إذن ما زال اسم البرية موجوداً و لم يعد للبرية من وجود واسم المسلخ أيضاً والمسلخ بعيدٌ جداً. ولكن الاسم ما زال يعني لنا الشيء الكثير.

أما حي البساتنة فقد لا يذكره الكثيرون. ولكننا سنتحدث عنه ونعرفهم به...

حي البساتنة وحارة البستان

فرض البساتنة - الذين يعملون في البساتين - اسمهم على حيهم الذي يقطنون فيه، كما فرض مثل ذلك الحدادون والنحاسون وغيرهم اسمهم ومهنتهم على أحيائهم وأسواقهم، فعرفت هذه بهم. وقد يكون - البساتنة - اليوم قلة، لكنهم كانوا كثرة في الماضي القريب، وكانوا يعملون في بساتين كثيرة جداً تنتشر على ضفتيْ نهر قويق، وقناة حيلان، وتطوق المدينة القديمة تقريباً، وكانوا يستقبلون أهالي حلب، الذين يمضون أحياناً أشهر الصيف بين ظهرانيهم فضلاً عن أنهم يقدمون لأهالي المدينة ما يحتاجونه اكتفاء ذاتياً.

ومحلة - البساتنة - هي من محلات حلب القديمة، خارج الأسوار ضمن حي الجديدة أي الضاحية الشمالية. فيها مسجد وحمام كانت ملكاً للسلطان عبد الحميد الثاني من بين أملاكه الكثيرة، ثم آلت بعد سقوطه إلى الأملاك الأميرية، ثم أخيراً إلى أملاك الدولة. وفيها مدار وعدة قيساريات لمهنة النسيج اليدوي سكنها عدد كبير من مهاجري الأرمن في الربع الأول من القرن العشرين، وأبناء الطوائف الأخرى. تقلصت فيها حرفة النسيج وغادرها أكثر سكانها القدماء، ولكنها ما زالت قائمة تحكي تاريخها.

أما حارة - البستان - فهي من محلات حلب القديمة أيضاً، داخل الأسوار، بالقرب من باب النيرب أحد أبواب حلب المندثرة. سكنها في البدء بعض رؤساء الحامية الإنكشارية - الآغوات - وبعض التجار الغرباء، وعمروا فيها دوراً جميلة، فيها أكثر من مسجد وقسطل وسبيل. توهنت دورها بعد أن هجرها أصحابها. وأصبح أحد قساطلها بيتاً وعمرها مجدداً سكانها الجدد الذين عملوا في تربية الأغنام مشاركة مع سكان القرى. رغم هذا فإن التغيير أصابها بعد أن فتح فيها شارع واسع ومدت فيه خطوط الحافلات الكهربائية، وأصبح بجوارها قصر العدل الحالي.

بستان كل آب، محلة البلاط

وما دمنا في الحديث عن الأحياء التي حملت اسم البستان – وكانت فعلاً بساتين – فإن أهمها هو حي – بستان كل آب – وهو من أحياء حلب الغربية، خارج الأسوار، تشكل على أراضي وقفية من أوقاف والي حلب بويني أكري محمد باشا ومن أوقاف المدرسة الحلوية. تشكل في أوائل القرن العشرين بعد وصول السيارات إلى حلب. وخاصة التي كانت تأتي من دمشق. ولهذا يظهر تخطيطه العمراني الحديث بعيداً عن تخطيط المدينة القديمة، يستوعب السيارات والوافدين إلى المدينة. فقد بنيت فيه الفنادق والمطاعم ودور الملاهي والمكاتب والمخازن الحديثة ومرائب السيارات. يصيبه التغيير في أواخر القرن الحالي فترتفع فيه الأبنية وتعرض الشوارع، إلا أن الصفة الأولى التي كانت يتصف بها منذ نشأته، لا تزال هي الغالبة، كما أن التسمية – بستاناً – ما زالت موجودة. أما " كل آب " فهي ماء الورد كل أي ورد. وأب أي ماء – وقد تكون التسمية جاءت من – جلاب – وهو العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد، كما يفيد بحث الألفاظ الفارسية المعربة.

أما محلة البلاط، فهي في الواقع محلتان قديمتان إحداهما التحتاني والأخرى الفوقاني، وتقعان خارج الأسوار، بالقرب من – باب الملك – أحد أبواب المدينة المندثرة منذ القديم. فيها جامع البلاط وجامع سليمان. عمل أهلها في مهنة النسيج اليدوي حتى عهد قريب. لا تزال المحلتان قائمتين. وقد أصابهما بعض التغيير في الجهة الجنوبية.

حي البندرة، حي البياضة

إن دراسة أسماء المواقع الأثرية والأحياء والأوابد التاريخية تلقي الضوء تاريخياً على كثير من النواحي التي توضح بداية وتطور هذه المواقع.

وإن اسم حي البندرة كما يذكر البحاثة خير الدين الأسدي مشتق من كلمة بندر الفارسية بمعنى السوق. وألحقوا التاء في الكلمة لتعني الحارة. ومن المعروف أن سكان هذا الحي من مسلمين وغيرهم حتى الأجانب قد اشتهروا بالتجارة المحلية والخارجية.

وهذا الحي من أحياء حلب القديمة والكبيرة داخل الأسوار ويمتد من باب النصر شرقاً حتى باب الفرج غرباً ويحاذي خندق المدينة بين البابين المذكورين، عرف هذا الحي بدوره الجميلة التي سكنها التجار، ولليهود معبدهم كما للمسلمين عدة مساجد (الجامع العمري)، وفيها حمام القاضي الذي جدد عام ٩١٤ هـ - ١٥٠٨م، ودار جنبلاط. وسنتكلم بالتفصيل عن كل مبنى على حدة.

هدم القسم الأكبر من الحي ما عدا المباني الأثرية لتنفيذ مشروع باب الفرج والذي كان مقرراً أن تنشأ فيه أبنية برجية عالية غير أن ظهور أبراج سور المدينة وقسم من السور فرض تغيير المشروع، بحيث سترمم الأبنية الأثرية القديمة وتبنى سوق محلية، وأبنية غير عالية لها صفة الخدمات العامة.

أما حي البياضة وأصل الكلمة يلفظ بتخفيف الياء وليس تشديدها فهي من محلات حلب الواسعة كان يمر بجانبها السور القديم قبل أن تتوسع حلب ويبنى سور آخر لها والذي كان يحيط بالمدينة. وهكذا أصبحت داخل الأسوار وتقع شمالي شرقي القلعة. جاء سبب تسميتها هذه بسبب شارعها قبل أن يبلط فكانت أرضيته من الحوار الكلسي الأبيض أو أن المحلة تشتمل على خان مختص ببيع البيض حسبما ذكر المؤرخ الغزي في كتابه - نهر الذهب في تاريخ حلب -. أهم جوامعها جامع الصروي يعود بناؤه إلى عام ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨م، وقد شيده الحاج ناصر الدين بن محمد بدر الدين بتلنك الصروي، وفي سنة ٩٢٠ هـ - ١٥١٤ م أنشأ تتمته علي بن سعيد الملطي، وجعلها مدرسة ملحقة به.

وفيها جامع الحموي أنشأه الحاج محمد بن داود النوري المغربي سنة ٩٦٨ هـ - ١٥٦٠ م، ودفن فـيه. وفي سنة ١١٨٣ هـ - ١٧٦٩ م جدده ووسعه الحاج حسن بن عبد الرحمن الحموي، وعمر له منارة. فعُرِف به.

في المحلة مساجد وحمام بني عام ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ م لا يزال قائماً يعمل فضلاً عن مصبغة وقيساريات دثرت.

وفيها زوايا دينية كانت لها شهرتها منها: الزاوية البهادرية التي بنيت عام ٨٤١ هـ - ١٤٢٧م والتكية الإخلاصية - الرفاعية - وهي ما زالت قائمة، وقد بنيت حوالي ١٠٤٤ هـ - ١٦٣٤ م ونسبت إلى الشيخ إخلاصي الخلوتي نزيل حلب والمتوفى سنة ١٠٧٤ هـ - ١٦٦٣ م. وقد أمر بإعمارها الوزير الأعظم محمد باشا الأرنؤد حين حضر إلى حلب لإصلاح بعض أحوالها، فعمرت، وأمر بشراء أملاك وقفها عليها.

ومن أوابد محلة البياضة : المدرسة الكلتاوية التي بنيت عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م. وقد زارها واهتم بها السلطان العثماني سليم الأول حين دخل حلب عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م بعد انتصاره على آخر المماليك السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق.

لا تزال المحلة قائمة، وتحتفظ بأكثر أوابدها التاريخية كما كانت.

محلات : تاتارلر وتراب الغرباء والتومايات

كثير من الأحداث التاريخية تترك ذكراها وبصماتها في أحياء حلب وأوابدها التاريخية وهذه الذكرى تظهر في الكتابات التي نراها على جدران الأبنية التاريخية أو في التسمية. ومن المعروف أن حلب تعرضت إلى أكثر من غزو جاءها من أقاصي الشرق على يد المغول أو التتر.

وإن محلة - تاتارلر - وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار بالقرب من باب الحديد تحمل هذه التسمية التركية وتعني: حي التتر - أو التتريون. وذكر المؤرخ الغزي في كتابه: نهر الذهب في تاريخ حلب أن سكانها من التتر قد جلوا عنها بعد فتنة تيمورلنك عام ١٤٠١ ميلادية، كما كان يسكنها عدد من رعايا الطوائف الدينية، وقد نزحوا عنها إلى محلة الجديدة.

لقد انقضت غزوة التتر بقيادة تيمورلنك ونزح سكانها التتر وبقية السكان، ولكن اسم الحي باق حتى اليوم لمحلة واسعة تقع بين قارلق وقاضي عسكر.

أما محلة تراب الغرباء فهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار قرب باب النصر تذكرها المصادر التاريخية باسم - ترب الغرباء - لأنها كانت مخصصة كمدافن لدفن الموتى الغرباء ثم أصبحت حيا سكنيا، وكان أكثر سكانها من الطوائف المتعددة نزحوا عنها إلى محلة الجديدة في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. أهم مبانيها قسطل بني عام ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م وسبع مصابغ لصباغة الأقمشة وستة مدر - مفردها مدار - لطحن الحبوب والبرغل والعدس هدمت جميعها مع القسطل في الثلاثينات من القرن العشرين لفتح شارع حديث في المحلة.

كما بنيت فيها تكية المخملجي، ثم أهملت وبني فيها مسجد نور الدين وفرن بجانبه خصص وقفا عليه جددا في عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، ولا يزالان قائمين.

أدخلت إلى المحلة بعض الأبنية الحديثة، ولكن المحلة بمجملها لا تزال قائمة. وبقي اسمها رغم أن الغرباء لم يعودوا يدفنون فيها.

إن أسماء الأحياء في حلب بسجلها الحافل تحفظ ذكرى الأشخاص أيضاً كما يجري اليوم حيث تسمى الأماكن بأسماء أشخاص لعبوا دوراً في تاريخ البلد.

وإن محلة – التومايات – هي من محلات حلب القديمة في الضاحية الشمالية خارج الأسوار فيما يعرف اليوم باسم الجديدة. وقد حملت اسم أحد سكانها المعروفين واسمه توما هداية وكان معه آخرون عرفوا بنفس الاسم فأطلق على المحلة اسم تومايات. سكنتها رعايا جميع الطوائف ولهم فيها عدة كنائس : منها كنيسة طائفة الأرمن الكاثوليك بنيت عام ١٢٤٧ هـ – ١٨٣١ م وكنيسة الموارنة وقد بنيت عام ١٢٩٠ هـ – ١٨٧٣ م وكان فيها عدة مدارس تدرس العلوم الحديثة.

ما زالت المحلة وبيوتها التقليدية الجميلة وأوابدها التاريخية قائمة، ولكنها تتعرض إلى تحولات هامة أهمها هجرة سكانها الأساسيين إلى الأحياء الحديثة في حلب. كما أن بعض الدور الكبيرة تتحول إلى مدارس أو مياتم أو ملاجئ للعجزة.

محلتنا: جب أسد الله، وجب قرمان [حي البكره جي]

رغم أن تسمية الأحياء القديمة لم تعد تصلح لإعطاء فكرة عن الحي، حيث إن هذا الحي قد تغير، ولم تعد التسمية القديمة تنطبق عليه، إلا أن التمسك بالتسمية القديمة، أمر واجب للحفاظ على تاريخ الحي وخصائصه ومعالمه القديمة.

إن محلة أسد الله، ضمن الأسوار من محلات حلب القديمة العامرة نسبت إلى وجود جب خيري فيها أنشأه المدعو سعد الله من رؤساء الإنكشارية في العهد العثماني وكان يسمى جب الزلة أيضاً. كان يسكنها مختلف الطوائف، مع الأجانب الذين كانوا يقيمون في حلب لأغراض التجارة الدولية والتي كانت حلب أهم مراكزها. منذ القرن الخامس عشر الميلادي كان فيها عدد من المساجد والزوايا والمدارس والزيارات، هدم قسم كبير منها في عام ١٣٧٧ هـ - ١٩١٨ م لتوسيع الطريق الواصل بين باب الفرج وبين أسواق المدينة القديمة، وآخر هذه الجوامع كان جامع بيش قبة ذو القباب الخمسة، ويعود إلى القرن العاشر، فقد هدم لتحل محله بناية حديثة، يحتل فيها الجامع الطابق الأول.

لقد بقي من أوابد هذه المحلة بقايا كاتدرائية حلب العظمى التي بنيت في القرن الخامس الميلادي، وتقوم هذه البقايا ضمن المدرسة الحلوية أمام المدخل الغربي للجامع الأموي الكبير.

كما أن الخانات المتعددة التي بنيت فيها منذ العصرين المملوكي والعثماني ما زالت قائمة أقدمها خان القصابية أو خان أبرك المملوكي وخان ميسر - كان يسمى خان البنك - وفلكلروز والجاكي والحرير والحبال، وبني هذا في عام ١٥٩٥ ميلادية.

ما زالت هذه المحلة عامرة، وقد يتذكر القليل منا هذا الاسم وهو موجود في سجلاتنا الرسمية وعلى بطاقات الهوية الشخصية. والسبب في ضياع التسمية القديمة هو ظهور أسماء الأسواق التي في هذه المحلة مثل سوق العواميد، وكذلك ضياع وزوال الأوابد الأثرية؛ إذ إن الجامع بيش قبة الذي هدمت قبابه الخمس أصبح جامعاً، بل مسجداً حديثاً لا يعرف من القباب حتى الاسم.

ومن المحلات القديمة التي حملت اسم جب - والجباب العامة كانت تدل على فعل الخير في بلد يأتي بمياهه منذ أقدم العصور من خارجه ومن مسافات بعيدة - محلة جب قرمان وهي تقوم خارج أسوار حلب القديمة نسبت إلى تاجر وفد عليها من الأناضول يدعى الحاج محمد قره مان

أو إلى مزار شيخ يسمى القرماني. كما وفد إليها الفقيه الرهاوي - من مدينة - الرها - أحمد الرهاوي البكره جي، وعمّر جامعاً باسمه في نفس المحلة فدعيت أيضاً بمحلة البكره جي في عام ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م.

بين عام ١٣٤٠ و ١٣٤٣ هـ - ١٩٢١ و ١٩٢٤ م ردم الخندق المجاور لها. كما هدم فيها بعض السبلان ومداران للبرغل والعدس وتقوم مؤخراً دراسات اجتماعية وأثرية وتاريخية في كل زاوية منها ولتوثيق أبنيتها بالمخططات والصور والدراسات؛ فقد بقيت هذه المحلة حتى اليوم تحافظ على نسيجها العمراني ودورها الجميلة الرحبة وحتى أكثر العائلات التي سكنتها ولا يزال أحفادهم إلى اليوم فيها يرفضون مغادرتها إلى الأحياء الحديثة كما فعل غيرهم لتمسكهم بتاريخهم وتقاليدهم، بل يحاولون بإصرار الحفاظ على حيهم من الحداثة وبناء الأبنية العالية بجوارهم خاصة في الشارع المجاور بناء أبنية حديثة تفسد على أهالي المحلة التاريخية خصوصيتهم وحريتهم، بل ونظافة بيوتهم...

محلة الجابرية، وجادة البرقة وجادة الخندق

التاريخ من أهم العلوم الإنسانية. فالماضي يعيش في حياتنا الحاضرة، ويؤثر فيها، ويغنيها بما يحمل إليها من أخباره ونحن نعيش التاريخ في حياتنا اليومية: في عاداتنا وأعمالنا وفي تفكيرنا أيضاً.

البيت والحي والمدينة والعمارة بشكل عام هي التاريخ نفسه هي الماضي والحاضر وحتى المستقبل.

نحن نقرأ في أسماء أوابدنا الأثرية وبيوتنا وأحيائنا وقرانا ومدننا بعض سطور هذا التاريخ.

إن حديثنا عن أحياء حلب قديمها وحديثها هو حديث التاريخ العريق لهذه المدينة العتيدة.

إن محلة الجابرية هي من محلات حلب العامرة خارج الأسوار ظهرت منذ عام ١٣٢٥ هـ - ١٩١٦ م امتداداً لمحلة الحميدية التي تنسب إلى السلطان عبد الحميد العثماني الذي حكم بين عامي ١٨٧٦ و ١٩٠٨ م.

نسبت محلة الجابرية إلى أحد أفراد عائلة الجابري والذي كان يتصرف في الأراضي التي نشأت فوقها هذه المحلة. وهكذا فإن هذه المحلة تعتبر حديثة نسبياً، ولا توجد فيها أوابد أثرية كما في المحلات الأقدم منها ضمن الأسوار. إلا أنها من المحلات العامرة المكتظة وقد سكنتها مختلف الطوائف، وتوسع فيها سكان حلب والمهاجرون من الريف.

أما جادة البرقة فهي من محلات حلب القديمة داخل الأسوار تقع على يمنة الداخل إلى المدينة القديمة من باب أنطاكية متجهاً إلى حي الجلوم الكبرى عرفت قديماً باسم درب - ويقصد بالتسمية المحلة والحارة - البزارة. وسبب التسمية يعود إلى زيارة المصابين بتشنج في ظهورهم - البرقة - لحجرة مكتوبة التماساً للشفاء. ما زالت المحلة قائمة والحجر الذي يجلس عليه المصاب والحجر الذي ينظر إليه والتسمية موجودة.

ومن الشوارع القديمة في حلب : الجادة الكبرى أو العظمى فقد كانت من الشوارع الرئيسية الحديثة في حلب في بداية هذا القرن وقد كانت ولا تزال تدعى أيضاً جادة الخندق. وسبب التسمية يعود إلى أن هذا الشارع أقيم على الخندق نفسه الذي يحيط بأسوار المدينة القديمة وأبوابها بدءاً من باب الأحمر ومروراً بجانب باب الحديد وباب النصر وباب الفرج. واستمر فيما بعد حتى محلة الجميلية بعد أن أقيم جسر على نهر قويق بالقرب من مبنى البريد الحالي.

فقد جمعت أنقاض الأبنية المتهدمة وخاصة بعد زلزال ١٨٢٢م، وردم بها الخندق منذ عام ١٨٩١ م - ١٣٠٩ هــ واستمر حتى ١٣٣١ هــ - ١٩١٢ م.

ثم فرش الشارع بالحجر الأسود وسارت عليه العربيات التي تجرها الخيول. وسمي لذلك بــ : درب العربية إلى أن جاءت السيارة في العشرينات من هذا القرن ثم الحافلات الكهربائية - الترامواي -. وانتهى الأمر بفرش الشارع بالاسفلت. وبعد الاستقلال سمي الشارع بشارع شكري القوتلي.

لا يزال هذا الشارع حتى اليوم جادة عظمى أو جادة كبرى وشرياناً رئيسياً للحركة في مدينة حلب وما يجدر ذكره أنه افتتح رسمياً في عام ١٣١١ م ١٨٩٣ ميلادية، واحتفل دائماً بانتهاء كل مرحلة من مراحله حتى عام ١٩١٢ م.

محلتا: جبل الغزالات والجبيلة [الكلتاوية]

بنيت أكثر المدن القديمة - منذ الألف الرابع قبل الميلاد وحتى عهود متأخرة، على مرتفعات من الأرض ليسهل الدفاع عنها، أو لوقايتها من خطر فيضان النهر إن بنيت على ضفاف أحد الأنهار. وقد استمر مثل ذلك حتى في العصور الحديثة، حيث تبنى القرى على سفوح التلال والجبال، حفظاً للأراضي السهلية لاستثمارها في الزراعة.

وهكذا بنيت روما وأثينا وأنطاكية وغيرها وحلب أيضاً. هناك أكثر من نظرية حول حلب الأولى، بعض الباحثين يجعلها بنيت فوق مرتفع حلب الأول ونعني به - الأوكروبول - حيث تتربع قلعة حلب اليوم. وبعضهم يجعلها في مرتفع العقبة المرتفعة المجاورة لنهر حلب - قويق - وبالقرب من أحد أبواب حلب القديمة - باب أنطاكية - والتي لم يتم أي تنقيب فيها لبناء المحلة الحديثة فوقها، وهناك أكثر من دليل على قدم هذه المحلة.

وبعضهم يجعلها في تلة السودا قرب باب قنسرين وهي كما هو واضح تلة اصطناعية، تألفت من تراكم الأبنية القديمة، ولهذا تنهار الأبنية التي تقوم فوقها من وقت إلى آخر، لأنها ليست بالأرض الطبيعية الصلبة العذراء.

وما يجدر ذكره في هذه المناسبة أن كثيراً من المدن والقرى تقوم حالياً فوق تلال أثرية، تعاقبت فيها المدن التي اندثرت على مر الزمن.

من هذه الهضاب في حلب - جبل الغزالات - في الأصل تخفيف الزاي، وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار، وبالقرب من محلة الشيخ أبو بكر، محلة واسعة، أرضها وقف لجامع وتكية الشيخ أبو بكر الوفائي. بدأ البناء فيها في وقت متأخر نسبياً، في عام ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢م. وفي عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م بنى أحد أفراد عائلة الجابري الحلبية العريقة، ويدعى أسعد باشا الجابري قصراً فيها، ثم هجره، ويقال إن الخطة كانت مهيأة لجعله محطة لسكة حديد بغداد. وحين جاءت جماعات الأرمن من تركيا، سكنه المهاجرون الأرمن في عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١م وأعطوه اسم - خان الزيتون - نسبة إلى بلدهم الذي جاؤوا منه في الأناضول. ولا يزال القصر قائماً، وتسكنه بعض العائلات الأرمنية أيضاً.

توسعت المحلة كثيراً، وأصبحت كثيفة السكان. واتصلت بالأحياء المجاورة حتى امتدت إلى محلة عين التل. وما زالت بعض مقاسمها العقارية باسم الجمعيات الخيرية العالمية التي اشترتها لإسكان الأرمن المهاجرين إلى حلب.

من المحلات المرتفعة أيضاً محلة الجبيل أو الجبلية، فهي من محلات حلب القديمة، داخل الأسوار بين بابي النصر والحديد والاسم تصغير لكلمة جبل، لأن المحلة تقوم على مرتفع من الأرض من الطبقة الحوارية الكلسية ولما كانت تقع على كتف خندق المدينة فقد جعل قسم منها مقبرة تدعى بنفس الاسم، وفيها قبور قديمة. وحين ردم الخندق وأصبح طريقاً، وكان من أولى الطرق العريضة في حلب في أواخر القرن الماضي، دعي القسم المجاور لمحلة الجبلية بدرب الحوار.

تدعى المحلة باسم الكلتاوية أيضاً لوجود مدرسة بهذا الاسم فيها بنيت عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥م. وفيها سوق النجارين (قبو النجارين) وهو قبو المسلاتية، وسنبحثه مفصلاً فيما بعد. في المحلة قساطل ومزارات والمدرسة الأتابكية ٦٢٠ هـ - ١٢٢٧م ومدرسة بني العجمي ٥٩٥ هـ - ١١٩٨م. لا تزال المحلة قائمة عامرة لم يطرأ على نسيجها العمراني سوى تغير طفيف.

حي الجديدة

ترددت في دراساتي السابقة كلمتا: داخل الأسوار وخارج الأسوار - سنتحدث عن أسوار حلب وأبوابها في دراسات مقبلة.

إن ما يجب معرفته، أن مدينة حلب داخل الأسوار والتي تعود أقدم أوابدها الأثرية المكتشفة حتى الآن إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد وتمتد حتى عام ١٨٠٠ بعد ميلاد السيد المسيح أي على مرحلة تاريخية مقدارها ثلاثة آلاف وستمائة سنة أو يزيد. لهذه المدينة العريقة ضواحي متعددة بنيت خارج الأسوار وحولها في الجهات الأربع. بعضها قديم جداً مثل ضاحية بنقوسا. وبعضها حديث نسبياً مثل الضاحية الشمالية، لأنها تقع شمالي المدينة القديمة.

أحد أحياء هذه الضاحية الشمالية خارج الأسوار هو حي الجديدة، وهو جديد كما يظهر من اسمه، وهذا الحي في الواقع عدة محلات منها الصليبية والشمالي وغيرها، عمرت هذه الضاحية وبدأ توسعها وازدهارها في الفترة المملوكية أي منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي بعد الغزو المغولي الثاني لحلب بزعامة تيمورلنك في عام ٨٠٣ هـ - ١٤٠٠م. وقد توسعت في القرون التالية، وسكنها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب وقامت معابدهم الدينية متجاورة، ودورهم السكنية إلى جانب بعضهما البعض.

توسعت في فترة الحكم العثماني منذ أوائل القرن السادس عشر، وازدادت محلاتها، وقد ذكر أن السلطان سليم قد أسكن فيها أربعين عائلة عرفت بامتهان التجارة من مسلمين ومسيحيين، ودعي الزقاق الذي سكنوه بزقاق الأربعين.

في الجديدة عدد كبير من الجوامع والمساجد والكثير من الكنائس والمقاهي والساحات، لا تزال قائمة عامرة فضلاً عن أنها تحافظ على تخطيطها العمراني من القرون الوسطى.

وسنتحدث عن أوابدها ومحلاتها بالتفصيل في أحاديث مقبلة.

ومن محلات حلب خارج الأسوار محلة جسر الحج، وهي في ظاهر محلة الكلاسة القديمة، كانت في الأصل أراضي فارغة خارج نطاق عمران المدينة، وقفا على مباني تاريخية في داخل المدينة. بدأ البناء في هذه المحلة في بداية القرن العشرين، وتوسعت بسرعة حتى أصبحت حياً كبيراً، معظم ساكنيه من العاملين في قطاع البناء، يقطنون بجانب ورشاتهم التي يعملون فيها.

حي جسر الحج

توسعت مدينة حلب القديمة، فانتشرت بعض الأحياء خارج أسوارها وبالقرب من أبوابها في القرن السادس الميلادي وما بعده حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي حيث نشأت ضواحي سكنية كبيرة شرقي وشمالي وغربي المدينة القديمة حول خندقها المحيط بها أو بالقرب من نهر قويق.

ولقد كانت الجسور المتعددة هي وسيلة الانتقال بين المدينة وضواحيها عبر الخندق أو عبر النهر.

ولقد كان لهذه الجسور أسماء تميزها. وإذا استعرضنا هذه الأسماء اليوم نرى أنها بالرغم من أن هذه الجسور لم تعد موجودة الآن أصبحت تطلق على الأحياء التي كانت تؤدي إليها وعلى سبيل المثال هناك كثير من الأحياء والأزقة تحمل اسم – الجسر – جسر الحج، جسر الصيرفي وغيره... وإن أحياء أخرى تحمل اسم الجسر قد زالت، و لم تعد موجودة. ومنها حي جسر السلاحف أو حي الوراقة.

نشأ هذا الحي بين باب الجنان وباب إنطاكية غربي حي العقبة على ضفة نهر قويق، وهذا ما كان يعرضه حيناً بعد آخر إلى فيضان هذا النهر حين كان عامراً قبل أن يحول مجراه في تركية بالقرب من ينابيعه.

ذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـــ – ١٤٨٥م كثرة السلاحف في النهر، ولهذا عرف هذا الحي بهذا الاسم كما عرف بـــ الوراقة لوجود المعامل التي تصنع الورق كما يذكر الغزي. وقد تكون التسمية جاءت من سكنى الذين يورقون الجدران بالكلس كما يوضح الأب توتل.

لقد كان هذا الحي يضم دوراً وحوانيت ومسجدين؛ أحدهما بناه والي حلب العثماني محمد باشا المعروف حسب وقفه بإبراهيم خان باني خان الجمرك، وثانيهما مسجد أولاد أبي بكر.

لقد كان لطغيان نهر قويق وتوسيع مدينة حلب غرباً وقرب هذا الحي من مركز حلب الحديث، أي باب الفرج وبستان كل آب؛ لقد كان لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة أثر في زحف العمران الحديث على حساب هذا الحي. فبدأت أعمال الهدم فيه منذ الثمانينات، وأدت إلى زواله. وأبقي فقط على المئذنة المربعة شاهدا على قدم هذا الموقع خارج الأسوار.

حتى إن النهر وسلاحفه اللذين أعطيا هذا الحي اسمه قد زالا. فغُطيٍّ النهر، وانقرضت السلاحف وبقي الاسم في ذمة التاريخ، وأصبح يطلق على موقع الحي كلمة: انطلاق السيارات، وغير ذلك من التسميات...

محلة جسر الصيرفي

كانت مدينة حلب القديمة محاطة بحزام أخضر قوامه الكروم من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية الشرقية. والبساتين من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية. ففي الكروم تنتشر أشجار الفستق الحلبي المعروف عالمياً وأشجار الزيتون والتين فضلاً عن الصنوبر الحلبي بأنواعه المتعددة. وهذا ما كان يميز حلب عن غيرها من المدن بيئياً وجمالاً ومناخاً مما لا مجال لذكره الآن.

أما البساتين فقد كانت تنتشر على ضفتي نهر قويق وضفتي قناة حيلان. وكانت تواكب النهر والقناة منذ دخولها منطقة حلب حتى خروجها منها وكانت مصيفاً لأهالي المدينة فضلاً عن إمدادهم بما يحتاجونه من منتجاتها من الخضار والفواكه.

عرفت أغلب هذه البساتين بأسماء أصحابها أو المواقع التي تقوم فيها كذلك الجسور التي تقام على النهر فيها.

واليوم زال أكثر هذه البساتين وبقي اسمها. كما زالت هذه الجسور. فهي إما بنيت بناء حديثاً أو لم يعد لها وجود بعد أن غطي سرير النهر منذ فترة قصيرة – ولا يزال يغطى – تفادياً لتلوث البيئة المجاورة. وقد حلت محل البساتين والجسور أحياء عامرة.

مثل هذه الحالة تنطبق على منطقة – جسر الصيرفي –. كان جسر الصيرفي أحد الجسور القليلة التي أقيمت على نهر قويق منذ القديم ربطت بين طرفي النهر الذي يعتبر منطقة حلب خارج الأسوار، من هذه الجسور جسر السلاحف وجسر الناعورة وجسر الجادة الكبرى وجسر المعزة وجسر الصيرفي وجسر القرّي وهكذا...

لقد كان هذا الجسر ضيقاً لا يتجاوز عرضه المتر ونصف المتر. وله حاجزان من الخشب يقع في بستان الصيرفي الذي يحتل – مسبح حلب – اليوم جزء كبيراً من البستان. أما موقع الجسر نفسه فهو منتصف الطريق بين مختبرات القطن ومعمل العوارض.

لم يعد الجسر موجوداً. لأنه أصبح جزءاً من الطريق الواصل بين حي الميدان وحي الشيخ مقصود.

لقد كانت منطقة – جسر الصيرفي – كما ذكرنا مصيف أهالي حلب بعيداً عن المدينة القديمة وضواحيها التقليدية غير أنها اليوم تعتبر من أحياء المدينة وقد امتد العمران إليها، فلم تعد بستاناً. وإنما أصبحت مسبحاً وورشات مواد البناء وشارعاً للفيلات ومكاناً لدوائر الزراعة والقطن ومختبراته. حتى إن النهر الذي كان يفيض خيراً على المنطقة أو يغضب أحياناً فيغمرها؛ أضحى غير موجود، فقد توارى تحت غطاء إسمنتي يحمل على ظهره آلاف الأطنان كل يوم.

إن سجلات مديرية المساحة والتحسين العقاري ما زالت وفية لتراث المدينة فقد حفظت التسمية القديمة. وهي اليوم تتناول مشروعاً بالبحث هو مشروع : تجميل الصيرفي – المعزة.

ما زلنا بانتظار تنفيذ مشروع تسمية شوارع المدينة، لنضع أسماء الشوارع الحديثة في منطقة جسر الصيرفي القديمة.

حي "جسر الكعكة"

كان الحلبيون، إلى وقت قريب جداً، شديدي التعلق بمدينتهم وحيهم وحارتهم و - زقاقهم - ... ولا غرابة في ذلك، فأهالي الحي الواحد يعرف بعضهم بعضاً منذ عقود طويلة من السنين، وهم أقرباء بعضهم البعض أيضاً، حتى إن الغريب عن الحي، سرعان ما يصبح قريباً عن طريق الإقامة الطويلة، وحتى المصاهرة.

إن سبب التعلق بالحي والانتماء إليه هو ملكية سكان الحي لدورهم التي ورثوها عن آبائهم أو التي بنوها بأنفسهم. والدار الواحدة - عادة - تضم العائلة الكبيرة والمؤلفة من الجد والجدة، والأولاد والأحفاد، وهي تشكل أربعة أجيال أحياناً - عمر الجيل الواحد عشرين عاماً، يكون فيها الطفل قد أصبح أباً -.

إن تعلق سكان الحي بحيهم يتعدى القرابة والمصاهرة ليصل إلى حد أن الشخص يُعْرَفُ بحيه. ولقد رأينا أن تسمية الحي أو الحارة تعود إلى عوامل متعددة ذكرنا بعضها في مقالات سابقة.

وحديثنا اليوم يتناول حارة - جسر الكعكة - وقد جاءت التسمية من وصف دقيق للحي.

إن حارة جسر الكعكة تقع خارج أسوار المدينة القديمة، فهي في الضاحية الشمالية المعروفة بأسماء متعددة. أكثر هذه الأسماء شمولاً ومعرفة هو اسم - الجديْدة - فالحارة تقع في قسمها الشرقي - يحدها من الجنوب حارة الطبلة، ومن الشرق قسطل المشط، ومن الشمال حارة الأكراد، ومن الغرب حارة عبد الرحيم، وهي بذلك أقرب إلى منطقة باب النصر - أحد أبواب حلب القديمة.

لم يكن فيها - لصغر مساحتها - آبدة تاريخية تنسب إليها، وكل ما نعرفه أن بعض دورها كان وقفاً للمدرسة الأحمدية. فيها مسجد صغير يدعى الجامع العمري، لهذا عمد سكان هذه الحارة إلى تسميتها بوصف أبرز معالمها، فقد كانت المجاري، وكان بعضها مكشوفاً، تبدأ من الحارة وتمتد إلى مسافات بعيدة، وأحياناً إلى خارج الحي إلى أرض خلاء، إلا أن مجاري حارة جسر الكعكة، أو كما يدعوها المؤرخ الغزي - الأسربة - وكانت أربعة تجتمع في نقطة من الحارة - فيها بالوعة لها غطاء من الحجر مستدير مخرق الوسط كأنه كعكة -.. بحسب وصف المؤرخ الغزي، ولما كانت هذه المجاري تصب في منتصف الحارة ولا تستمر حتى تصل إلى حارات مجاورة، لهذا أخذت الحارة هذه التسمية، وأضيف إليها كلمة جسر، ولا ندري سبباً لهذه الإضافة.

لا تزال هذه الحارة قائمة موجودة، و لم تتعرض إلى التحديث الذي أصاب الحارات الأخرى، غير أن الأسربة والكعكة لم تعد ترى، ولكن التسمية موجودة أيضاً.

لقد كانت أكثرية سكانها حتى الأربعينات من مختلف الطوائف المسيحية، غير أنهم نزحوا كما فعل غيرهم من سكان المدينة القديمة وضواحيها القديمة أيضاً، وحل محلهم المهاجرون من الريف إلى المدينة، و لم يبق إلا القليل من سكان الحي القدماء.

شارع "جسر الناعورة"

لم يكن نهر قويق في حلب القديمة نهراً مقدساً، ويحرم صيد أسماكه المقدسة أيضاً لأنه يفيض بالخير والبركة على المدينة فقط، بل كان يشكل قوة كبيرة، كغيره من الأنهار يحرك طواحين الماء، ويدير النواعير فضلاً عن تغذية مئات الغرافات التي تحركها دواب الجر على طول ضفتيه، لسقاية البساتين والجنائن، وحتى بعض الجوامع الضخمة والقصور الكبيرة.

لقد قامت عليه نواعير عدة كالتي نراها اليوم في مختلف مناطق نهر العاصي، متعطلة كما في شيزر وتعمل كما في بعض أحياء حماة.

وحيث توجد الناعورة عادة، توجد الحياة النشيطة من زراعة وري وتجمع سكاني، بالإضافة إلى حركة مرور بسيطة أو كثيفة.

من النواعير التي عرفت في حلب ناعورة على نهر قويق - خارج أسوار المدينة القديمة - في موقع غربي باب الفرج، بالقرب من بستان الشهبندر - مقصف ومطعم الشباب حالياً -. وكان يوجد إلى جانب الناعورة جسر لتأمين الاتصال بين ضفتي النهر. ولهذا عرفت المحلة المذكورة في القديم بمحلة : جسر الناعورة، ونحدد اليوم مكانها بالضبط في النقطة التي تقع بين مديرية السياحة ونهاية شارع بارون من الجهة الجنوبية - وقد ضاعت معالم الموقع بعد أن غطي النهر في هذه النقطة بالذات لتلافي التلوث وانتشار البعوض -.

لقد بقيت الناعورة قائمة حتى أوائل هذا القرن والشاهد عليها لوحة زيتية رسمها أحد أفراد عائلة بوخة وبجانبها مجموعة من نساء الحي يتمتعن بجمال الموقع ويثرثرن.

اللوحة محفوظة لدى العائلة المذكورة - بالإضافة إلى بقاء الاسم القديم، حيث يطلق على الشارع الواصل بين برج ساعة باب الفرج والمتحف الوطني اسم شارع جسر الناعورة أو اختصاراً شارع الناعورة.

أن أول تغيير أصاب المحلة، هو فتح شارع الناعورة العريض عام ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣م، وقد تم نتيجة ذلك تعريض الجسر في عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣م، فأضيفت إليه قنطرتان.

وفي عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م تم فتح شارع جديد عريض، وصل بين جسر الناعورة والجادة العظمى مكان الخندق الكبير. وهو ما يعرف اليوم بشارع بارون الواصل بين المتحف الوطني وبين شارع شكري القوتلي. كما تم إيصال الجسر المذكور بمحلة السليمية - أي محلة الجميلية اليوم بشارع عريض، تم تبليطه فيما بعد وقد مر هذا الشارع في بستان برأس جسر الناعورة يعرف ببستان الكتاب. وموقع هذا البستان يعرف اليوم بمحلة الكتاب.

وهكذا أصبح هذا الجسر هاماً، وعقدة مواصلات رئيسية في مدينة حلب الحديثة - بالمقارنة مع حلب القديمة داخل الأسوار - ولهذا بنى الأتراك العثمانيون في عام ١٩٠٨م وبعد الانقلاب الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني - بناء فخماً يكون مقراً لجمعية الاتحاد والترقي الحاكمة. وهو البناء الذي أصبح فيما بعد بناء المتحف الوطني القديم بعد أن أضيف إليه الطابق الأول؛ هدم في الستينات ليبني في مكانه المتحف الوطني الحالي -

وحين دخل الفرنسيون حلب، وبدأت المدينة بالتوسع في محلة بستان كل أب، أصبح الجسر ضيقاً لحركة المرور الكثيفة، ولم يعد يكفي لاتقاء شر فيضان النهر وطغيانه على أقبية أبنية شارع بارون، لهذا عمد الفرنسيون إلى هدم الجسر القديم وبناء جسر حديث بالإسمنت المسلح بطول ١٨ متراً.

واليوم. وبعد التبدلات الكبيرة التي طرأت على المحلة بحيث لم يعد الجسر موجوداً، بعد أن غطي النهر وقامت الحدائق والساحات فوقه. وبعد أن نشأ الجيل الجديد الذي لم ير النهر والجسر والناعورة، وبقي أمام عينيه لوح صغير - لا يرى بشكل واضح يحمل اسم شارع الناعورة أصبح لزاماً علينا أن نحيي ذكرى هذه الأوابد وتاريخ هذه المحلة، وذكّر لعل الذكرى تنفع.

حي "جسر المعزة"

عدد سكان حلب في النصف الأول من القرن العشرين لم يكن يتجاوز بضع مئات من الألوف يعيشون في المدينة القديمة داخل الأسوار. وفي الضواحي خارج الأسوار وبالقرب منها كانت هذه الضواحي تنتشر شمالاً حيث هناك الضاحية الشمالية وهي المنطقة السكنية الممتدة حول حي الجديدة؛ والضاحية الشرقية، وهي منطقة بنقوسا السكنية؛ والضاحية الجنوبية الشرقية بالقرب من باب النيرب، وتتعرض حالياً لتغير كامل؛ وأخيراً الضاحية الغربية، وهي المشارقة التي بنيت بعد الضاحية الشمالية وخاصة حين توسعت بعد زلزال عام ١٨٢٢ الذي هدم جزءاً كبيراً من حلب، فقد نزح السكان الأجانب الذين كانوا يسكنون خانات أسواق المدينة إلى حي المشارقة وبنوا لهم كنيسة وبيوتاً من الخشب...

ولقد كانت البساتين والكروم تحيط بالمدينة وضواحيها إحاطة السوار بالمعصم، فقد كانت البساتين تنتشر على ضفتي نهر قويق وقناة حيلان التي كانت تنقل مياه الشرب من نبع حيلان إلى المدينة...

وكان سكان المدينة يعبرون النهر – وقد غطي القسم الأعظم منه حالياً – على جسور متعددة بعضها خصص للمشاة والبعض الآخر للعربات والقوافل المتجهة إلى دمشق وإنطاكية. أحد هذه الجسور هو جسر المعزة موضوع حديثنا اليوم. يذكر أهالي حلب هذا الجسر كثيراً فقد عبره سكان الجهات الشمالية والشمالية الغربية من المدينة خلال تنقلاتهم من أحيائهم الحديثة والبعيدة عن مركز المدينة أو خلال نزهاتهم في الصيف إلى البساتين وكانت هذه من أهم عادات الحلبيين في الترفيه عن أنفسهم...

'ن الحلبيين الذين يقصدون بستان الشيخ طه بخط – أي حارة – النصيبي والذين أصبحوا يقطنون حي الشيخ طه، كانوا يعبرون هذا الجسر يومياً، وكذلك الأمر بالنسبة للمصطافين في بستان الخواجكي المعروف ببستان الريحاوي الذي كان وقفاً على المدرسة العثمانية وفي بستان العويجة. ومكانه اليوم قرب جامع التوحيد ذي المآذن الأربع.

لقد كان جسر المعزة أصغر جسور نهر قويق إذ كان عرضه لا يتجاوز المتر والنصف، ويقوم على قناطر قديمة. وقد عمل والي حلب رائف باشا على إصلاحه وتجديده بين عامي ١٨٩٦م و ١٩٠٠م. وكان هذا أحد أعماله الهامة التي أبرزتها صحيفة الفرات في ذلك الوقت في عددها رقم ١٥٦١ المؤرخ في ٤ محرم سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م...

وهكذا يمكننا تحديد موقع الجسر غربي حي الشيخ طه الحالي أمام جامع التوحيد، على الطريق الذي يربط بين جامع التوحيد وجسر تشرين قرب كنيسة مارجرجس الحديثة...

لم تذكر لنا المصادر التاريخية سبب التسمية، رغم أنها باقية حتى الآن ورغم طغيان أسماء المدارس والأحياء والحدائق التي تقوم عليه أو بقربه، فقد أصبح عريضاً وغطي أخيراً، فلم يعد له وجود.

لن يغيب اسم جسر المعزة لفترة طويلة، خاصة أنه لا يزال يحمل ذكريات سكان المنطقة، وأنه الآن موضوع مشروع تجميل ضخم يحمل اسم: تجميل المعزة - الصيرفي...

حي " جقورجق أو سقرجق " أو " سبع عوجات "

بعض الحلبيين الذين يهتمون بدراسة المدينة القديمة داخل الأسوار وضواحيها القديمة خارجها، قد لا يعرفون المعلومات الوافية عن الضاحية الشرقية بالقرب من باب الحديد والمعروفة بـــ : حي بانقوسا والتي نشأت قبل آلاف السنين ولعبت دوراً هاماً في تاريخ المدينة. وإن كل ما يعرفونه اليوم هو أن هذه الضاحية قد تقطعت أوصالها، وفقدت بعضاً من نسيجها العمراني القديم بعد أن فتح فيها شارع عريض يصل باب الحديد بأحياء قاضي عسكر وما جاورها.

وقد يكون الجزء الذي فتح فيه الشارع العريض المزدوج قد أصابه بعض التغيير العمراني إلا أن الحي بكامله لا يزال يحتفظ بنسيج عمراني قديم واضح وبسكانه الأصليين وحتى بفاعلياته الاقتصادية التقليدية القديمة، خاصة وأن طرفي الشارع الحديث بقيت على حالتها القديمة تقريباً لم تبن فيها الأبنية العالية الضخمة الآسرة التي تلتهم عادة ما وراءها من المنازل الناعمة والرائعة.

إن القليل من الحلبيين المهتمين بالمدينة القديمة ربما عرفوا أن سكان هذا الحي بمحلاته المتعددة قد تقدموا بعرائض للسلطات العمرانية يطلبون فيها الحفاظ على حيهم وإبعاد التحديث والمعاصرة المتمثلة بالأبنية العالية عنهم.

فقد كانت بعض أزقة حي بانقوسا منذ ثلاث سنوات ولا تزال حتى اليوم موضع دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية تقوم بها جامعات عالمية معروفة بغية معرفة تطور مدينة حلب عبر عصورها التاريخية، إذ إن هذا الحي لم يفقد بعد هويته الأساسية.

في حي بانقوسا تقوم عدة أزقة، نتحدث عن واحد منها وهو محلة : جقورجق أو سقرجق كما يلفظها البعض تحريفاً لسهولة اللفظ. إن تسمية جقورجق لفظة تركية تعني الجورة الصغيرة أو الحفر الكثيرة. ولما كانت هذه المحلة لا تزال تحتفظ بممراتها الضيقة التي خلقت لينعم بها المشاة فلا تزاحمهم الآليات المتعددة، وهذه الممرات ذات منعطفات متعددة لهذا دعيت أيضاً محلة : سبع عوجات تمييزاً لها عن أزقة مجاورة ومماثلة.

تتميز هذه المحلة عمرانياً وتاريخياً بعدة مميزات، أهمها :

أولاً : الحفاظ على النسيج العمراني التقليدي والبيوت التقليدية الجميلة التي لا يزال قاطنوها يتمتعون فيها بخصوصياتهم بعيداً عن فضول ساكني الطوابق العليا وهم متمسكون بتقاليدهم وعاداتهم.

ثانياً : لا تزال المحلة تحتفظ بأماكنها العامة والدينية بشكل خاص ومنها مسجد الشيخ عثمان الذي اشتهر بأحد أئمته الشيخ أحمد بن محمد الحافظ المتوفي سنة ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦م ثم خان الدبس الذي بني في الفترة العثمانية بعده، وخصص لأبناء السبيل وهو لا يزال قائماً.

ثالثاً : كانت المحلة مركزاً لصناعة قماش المخمل المعروف والتي بقيت فيه حتى أواخر عام ١٨٠٠ م.

رابعاً : كانت أكثرية سكان المحلة من المسلمين، إلا أنها استضافت طائفة من الروم الكاثوليك عرفوا باسم البسارنة نزحوا من قريتهم بسيرين في محافظة حمص وسكنوا إلى جانب أخوانهم المسلمين، وبقوا فيها حتى عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م حيث غادروها إلى الأحياء الحديثة ولا يزال السكان الطاعنون في السن يذكرون ذلك.

إن لنا أخيراً كلمة : أن السلطات البلدية في مدينة حلب تعتزم تنظيم أسماء الشوارع والمحلات والأحياء، والمطلوب أن تبقي على الأسماء القديمة، وتظهرها، وتفتش عنها.

إن هذه الأسماء القديمة تحمل تاريخاً حافلاً بالأحداث. وعلينا واجب الوفاء للبيت والأرض والبلد والوطن.

حي "الجلوم"

ذكرت الوثائق التاريخية المتعددة مدينة حلب منذ خمسة آلاف عام. إلا أن الأوابد التي اكتشفت فيها، وحفظت في المتحف الوطني، تشهد على وجود هذه المدينة منذ ثلاثة آلاف وثمانمائة عام.

إن الحفريات الأثرية المتعددة في أراضي القطر العربي السوري العريق تكشف مدناً قد تكون أقدم من مدينة حلب، إلا أنها مندثرة ترقد تحت آلاف الأطنان من الأتربة. بينما لا تزال حلب قائمة مزدهرة تتابع مسيرتها، وتمسك خيوط تاريخها القديم بل إنها لا تزال تحتفظ بتخطيطها العمراني وأسوارها وأبوابها منذ القرن الثالث قبل ميلاد السيد المسيح مع بعض التعديلات والترميمات التي جرت في فترات لاحقة.

هناك عدة نظريات ظهرت حول تطور مدينة حلب القديمة، بعضها يجعل بداية العمران فوق تلال متعددة – مثل مدينة روما، ومن هذه التلال تل القلعة وتلة السودا وتل بحسيتا وتل العقبة وفيه عقيبة الياسمين – وأخيراً تل الجلوم.

إذن، فإن تل الجلوم يعتبر من المواقع الأولى لنشوء مدينة حلب.

إن الحديث عن حي الجلوم يطول فهو : حي قديم وأوابده التاريخية كثيرة جداً – وسنتعرض لها بالتفصيل حين نتحدث عن الجوامع والمساجد والكنائس والأديرة والحمامات والبيمارستانات والزوايا والمصابن وغيرها في مدينة حلب بشكل عام.

وفي هذه اللمحة التاريخية الموجزة سوف نبرز أهم مميزات هذا الحي العريق:

أولاً : يعتبر حي الجلوم من أهم أقسام المدينة القديمة داخل الأسوار، لا يزال يحافظ على نسيجه العمراني القديم حيث لم تقم فيه الأبنية العالية الشاذة التي تمنع الهواء والشمس عما حولها. فالحي لا يزال يضم المنازل التقليدية الجميلة ذات الباحات الواسعة والأواوين العالية والصهاريج لجمع مياه المطر، وإن كان بعض هذه المنازل قد تعرض إلى التقسيم بين أفراد العائلة الواحدة، وخاصة المنازل الكبيرة – القناقات – التي كانت خاصة بالعائلات الكبيرة والعريقة. ورغم أن حي الجلوم يقع على أحد محاور الدخول إلى قلب أسواق المدينة بدءاً من باب قنسرين، إلا أن له سوقاً خاصة به لتأمين الحاجيات اليومية لساكنيه.

ثانيا : لقد سكن في هذا الحي جميع أفراد الطوائف إلى جانب المسلمين. وأحد أقسامه يدعى : صليبة الجلوم إلى اليوم – فضلاً عن أن بعض أفراد الجاليات الأجنبية – الذين كانوا يعيشون في خانات أسواق المدينة – قد عاشوا فيه في بيوت جميلة ما زالت قائمة مثل بيت مدام صولا وغيره.

كما قامت في الحي كنائس وأديرة ضمت البعثات الدينية الأجنبية التي وفدت إلى حلب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وساهمت في الخدمات التعليمية والصحية والدينية لأهالي المدينة.

ثالثا: قامت في الحي فعاليات اقتصادية هامة إلى جانب الفعاليات الدينية فانتشرت فيه، منذ القديم، المصابن والمصابغ والخانات والورشات المتنوعة، وما زالت تعمل حتى اليوم بأساليبها التقليدية المتوارثة منذ عشرات المئات من السنين، وأخصها بالذكر المصابن لصنع الصابون الحلبي المعروف بأنواعه المتعددة.

رابعا وأخيرا : لا يزال سكان هذا الحي متمسكين بحيهم ومنازلهم. وقد غادره عدد قليل نظراً لازدياد عدد أفراد العائلة الواحدة. كما أن الحياة التقليدية فيه ما زالت قائمة بدءاً من الأذكار الدينية في الزوايا إلى النزل، حيث يجتمع أفراد الحي يتدارسون شؤونهم، ويستقبلون ضيوفهم بحفاوة بالغة، إلى جلسات الأنس والطرب الأصيل. بقي أن نذكر في الختام أن للحي أسماء متعددة بدأت من الأصل السرياني القديم لكلمة الجلوم وانتهت بأسماء أقسام هذا الحي الكبير. فهناك : الجلوم الكبرى والجلوم الصغرى وخراق الجلوم وصليبة الجلوم وغير ذلك...

محلة الحميدية

بقيت مدينة حلب القديمة حتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتألف من قسمين الأول ضمن الأسوار وحول القلعة والثاني الضواحي التي كانت تحيط بها أحاطة السوار بالمعصم وهذه الضواحي كانت :

١. الحاضر السليماني وحي الكلاسة، ويقعان إلى الجنوب والجنوب الغربي.

٢. حي الكتاب والمشارقة، ويقعان إلى الغرب.

٣. حي بانقوسا وأقيول، ويقعان إلى الشرق.

٤. الضاحية الشمالية وتضم حي الجديدة وما جاورها وتقع إلى الشمال.

غير أن حلب توسعت وجاوزت هذين القسمين الكبيرين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فنشأت أحياء حديثة بأبنيتها وشوارعها وساحاتها تختلف تماماً عن التخطيط والنسيج العمراني التقليدي الذي ساد حلب القديمة وضواحيها المحيطة بها. وهذا ظاهر في أي مخطط حديث لحلب.

من الأحياء القديمة التي نشأت: حي الحميدية ويقع إلى الشمال من الضاحية الشمالية. ويحده من الشرق المستشفى العسكري القديم، ومن الشمال حي السليمانية والجابرية، ومن الغرب محلة النيال.

نشأ هذا الحي في عام ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧م في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فنسب إليه، وعرف به. سكنه منذ البداية عمال البناء، ومعظمهم من الطوائف - يقابل بذلك حي الكلاسة الذي كان يسكنه عمال البناء المسلمون - وكان سكان هذا الحي يترددون على كنيسة مار جرجس للروم الكاثوليك في محلة الشرعسوس للقيام بشعائرهم الدينية غير أنه سرعان ما أنشئت كنيسة مار الياس للروم الأرثوذكس في قاعة كبيرة في أحد البيوت. ثم بنيت كنيسة مولليجون - باسم جبل يجون في أوروبة، حيث انتشرت طقوس تكريم السيدة العذراء. وقد أدخلها إلى حلب المطران ميخائيل أخرس أي - كنيسة الأنفس المطهرية - للموارنة عام ١٩١٠ ورغم أنها لم تعد تعمل إلا أنها قائمة مغلقة. ثم بنيت فيما بعد كنيسة مار أنطونيوس في عهد المطران بولس

حكيم، وتبرع لها الثري الإيطالي المعروف غنطوز دي كوبا مالك بيت كبة المعروف في محلة الصليبة والتي أصبحت مأوى للفقراء خلال سني الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م غير أنها هدمت مؤخراً.

لقد تميز هذا الحي في الحرب العالمية الأولى حيث أصبح مقراً للجيوش الألمانية المتحالفة مع الدولة العثمانية. فقد رابطت فيه، ونصبت في الفضاء المحيط به أول هاتف في حلب - كما ذكر المؤرخ الغزي - وقد دعيت المنطقة فيما بعد بـــ محلة التلفون الهوائي - وهي قائمة بهذه التسمية حتى اليوم رغم مرور نيف وثمانية عقود من السنين.

يعتبر حي الحميدية من أعمر أحياء حلب وأوسعها. ولا يزال يحتفظ باسمه رغم مرور أكثر من قرن. كما لا تزال بعض الدور القديمة قائمة فيه تنتظر معاول تجار البناء لهدمها وتشييد أبنية حديثة عالية محلها، إن لم تتداركها عناية لجنة المدينة القديمة؛ فتحتفظ بها لتعبر عن أصالة هذا الحي وقدمه.

ضاحية الحاضر السليماني " الكلاسة "

لاشك أن مدينة حلب تعتبر من أقدم المدن في العالم، لا تزال قائمة مزدهرة. لم تُظهر معالمها القديمة كما تم في مدن أبلا وماري وأوغاريت لأن المدينة الحديثة بنيت فوقها، غير أن معالمها تظهر أحياناً حين تجري حفريات عميقة لوضع أساس بناء أو غير ذلك...

إن شواهد أثرية اكتشفت في حي العقبة وفي قلعة حلب يعود تاريخها إلى ١٨٠٠ سنة و ١٤٠٠ سنة قبل ميلاد السيد المسيح، فضلاً عن النصوص التاريخية التي كشفت في أكثر من موقع، تذكرها في الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح، مدينة مزدهرة لعبت دوراً سياسياً واقتصاديا في العالم القديم.

لقد تطورت مدينة حلب عبر العصور التاريخية، وأدى ذلك إلى زوال بعض أقسامها، وحلت محلها أقسام حديثة - إلا أن بقايا أثرية لا تزال شاهدة على الأقسام التي زالت وتدل عليها...

من هذه الأقسام حي ضخم كان قائماً خارج الأسوار القديمة بالقرب من باب قنسرين يدعى - الحاضر السليماني - ويضم محلة الكلاسة المعروفة، وهذه المحلة تعتبر من أقدم أحياء حلب القديمة، فقد ورد ذكرها تحت اسم - كلاسو - منذ عام ٢٨٥٠ قبل ميلاد السيد المسيح، وكانت تضم أفران الكلس؛ كما أن مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي يذكر في كتابه - نهر الذهب كيف أن الناس يجمعون في هذه المحلة - العاديات الزجاجية والخزفية - وقد تأكد لدى مديرية آثار حلب ذلك في أكثر من مناسبة...

إن حي - الحاضر السليماني - الذي كان يشكل قوساً يحيط بالمدينة القديمة من باب قنسرين حتى حي الفردوس، كان يدعى - حاضر حلب - وحاضر كلب - نسبة إلى القبائل التي سكنته، وكان يضم القصر الذي بناه سليمان بن عبد الملك وعدداً كبيراً من المباني والمساجد؛ وهذه بلغ عددها مائة وعشرة مساجد فضلاً عن أسواق عدة، وكان له وال يستقل به. وقد وصفها ياقوت الحموي في معجمه بقوله : محلة كبيرة سكانها من التركمان، مستعربة ولها وال مستقل. واسعة، ومن جملتها الكلاسة. وإن الملك الظاهرغازي بن صلاح الدين الأيوبي أوصل مياه قناة حيلان إليها، كما اهتم بها أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وبنى مسجداً. كما اهتمت بها الملكة ضيفة خاتون وبنت جامعاً ورباطاً وتربة الفردوس، ثم أقيمت فيها مدرستا -

الكاملية والظاهرية. وإن وجود هذه الأوابد الأثرية الرائعة لدليل واضح على ازدهار هذا الحي الذي اهتم به أيضاً إبراهيم باشا المصري، فبدأ بناء ثكنة الشيخ يبرق - مركز التدريب الثاني - ولم يتمه.

أخيراً قد يكون التبدل الواسع قد أصاب هذا الحي الكبير، إلا أن تسميته تحمل ماضيه الكبير وسنعود إلى بحث أوابده الكبيرة.

محلة الحوارنة

بعد عام ١٢٥٠ ميلادية زال الحكم الأيوبي في مصر وسورية، وبدأ حكم المماليك أو كما يسميهم المؤرخ الغزي – الجراكسة – وكان في مدينة حلب حاكم مملوكي يدعى تارة – الكافل – أو – نائب السلطان – أو غير ذلك من الأسماء.

لقد ترك المماليك في مدينة حلب، خلال حكمهم الذي دام حوالي ثلاثمائة سنة آثاراً كثيرة ما زالت قائمة حتى اليوم : مساجد وجوامع وخانات وحمامات وغير ذلك كما أن بعض أحياء وأسواق في حلب أنشئت خلال حكمهم لا تزال قائمة أيضاً. وتجري الآن دراسات معمارية وتاريخية تلقي الضوء عليها بشكل خاص، وعلى تاريخ حلب بشكل عام.

إن موضوعنا اليوم لا يتناول دراسة حي من أحياء حلب القديمة في الفترة المملوكية فقط بل يتناول أيضاً علاقة سكان هذا الحي بالحاكم المملوكي الغريب، وكيف كانت هذه العلاقة تتراوح بين القبول والرفض بحسب سياسة هذا الكافل أو ذاك.

حارة – الحوارنة – وكلمة حارة تعني كل محلة دنت منازلها أي تجمعت – هي من أحياء حلب القديمة التي نشأت خارج أسوار حلب القديمة وداخل الأسوار التي توسعت فيما بعد، تقع داخل باب المقام أحد أبواب حلب القائمة حتى اليوم وبجانب حي القصيلة المعروف. ذكرها المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ – ١٢٨٥م، وذكر بناء حمام ابن الدرمش الكبير فيها.

سكن فيها جماعة الحوارنة الذين نزحوا من حوران في جنوب القطر العربي السوري في القرن التاسع الهجري الموافق للخامس عشر الميلادي.

وكان نائب حلب المملوكي في ذلك الوقت ازدمر بن مزيد – الأشرم – ولاه عليها قريبه السلطان الملك الأشرف قاتيباي للمرة الأولى في عام ٨٨٤ هـ – ١٤٧٩م، وللمرة الثانية عام ٨٨٩ هـ – ١٤٨٤ م.

قام الوالي ازدمر ببناء خان الصابون في سوق الصابون، كما بنى حماماً بساحة باب المقام وتربة قرب سعد الأنصاري – الأنصاري اليوم.

إلا أنه كان مع اهتمامه هذا سيء الخلق، وكذلك أعوانه المقربون إليه، فتصدى لهم الحوارنة وكانوا عتاة أبطالاً كما يصفهم المؤرخ الطباخ، فقتلوا بعضاً منهم حتى - الاستادار - وهو محصل الأموال، وحصروا ازدمر نفسه في دار العدل غير أنه بعد فترة حاصرهم، وأراد الغدر بهم في يوم الموكب بحضور القضاة الأربعة. فقتل واحداً منهم، لكن القضاة رفضوا موافقته على قتلهم، ويقول المؤرخ الحلبي رضي الدين الحنبلي : -.. وكان منهم جدي الجمالي الحنبلي فأغلظ له القول، وقام من المجلس. وقام باقي القضاة، فحقنت دماء الباقين بسببه.. -.

لقد ذهب الحوارنة وذهب المماليك منذ نيف وخمسمائة عام، وبقي الحي إلى اليوم كما هو يحمل الاسم المشرف شاهدا على تاريخ هذا البلد العريق، وليس أبلغ من التاريخ قولاً وشاهداً...

محلة " خراب خان "

لعـــبت حلب منذ سبعمائة سنة وحتى مطلع القرن العشرين الذي نعيشه، دوراً كبيراً في اقتصاد العالم القديم – أوربة وآسيا وأفريقية – فكانت مركزاً هاماً من مراكز الصناعة والتجارة الدولية بين الشرق والغرب.

الدليل الواضح على أهمية حلب الاقتصادية هو حجم الأسواق القديمة والخانات فيها والتي بنيت قـــبل أكثر من ستمائة عام وما بعدها لتستوعب حجم اقتصاد حلب آنذاك، وعدد سكانها لا يتجاوز الثلاثمائة ألف نسمة. تلك مسلمة يعرفها الجميع، ولا جدال فيها.

إلا أن ممـــا لا يعرفه إلا القليل من الباحثين هو حجم الفعاليات الاقتصادية التي كانت توجد في كـــل محلـــة أو حي من محلات أو أحياء حلب القديمة والتي كانت تغص على صغرها بالخانات للـــتجارة والقيســـريات لحياكة وتصنيع المواد وخاصة النسيج التي اشتهرت به حلب عالمياً، وما زالت، مثال ذلك عشرات الآلاف من الأنوال اليدوية التي كانت منتشرة في حي الجديدة.

سنعرض اليوم لمحلة صغيرة في أحد أحياء حلب كان فيها عدد من الفعاليات الاقتصادية المذكورة وهي محلة – خراب خان –.

لم يذكـــر لنا أحد المؤرخين الحلبيين سبب التسمية وقد يكون السبب خراب أحد الخانات الكـــبيرة في المحلة لأمر ما. تقع هذه المحلة خارج الأسواق بالقرب من باب الحديد أو باب القناة. يعود تاريخ جامع قاسم النجار فيها إلى عام ٧٦٥ هـــ – ١٣٦٣ م، والذي جدد عام ١١١٢ هـــ – ١٧٠٠ م. سكنها المسلمون والطوائف جنباً إلى جنب، وكانت هذه المحلـــة علـــى صغرها، تضم ثلاث خانات لبيع محاصيل المناطق الشمالية والشرقية وقيساريتين لحياكة النسيج ومصبغتين وثلاثة مدر – مفردها مدار لطحن البرغل والطحين والعدس وغيره – وأربعة بيوت قهوة بحسب تعبير المؤرخ الغزي – وكان من مالكي الخانات والعاملين بها عائلتان حلبيـــتان معـــروفتان : عائلـــة الدلالباشي وعائلة البيرقدار. ولأهمية المحلة قام إبراهيم العنبرجي بإيصال ماء القناة لها عام ١٢٧٢ هـــ – ١٨٥٥ م.

ذكر المؤرخ الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، أن الفقيه قاسم النجار والذي ينسب إليه جامع المحلة، والذي يعتقد بعض المؤرخين أنه بني قبله، وقام على بنائه جماعة بني الحريري من أهالي حماه. يذكر الطباخ أن الفقيه النجار قد قام بتدريس الفقه مدة ست وستين سنة - توفي عام ١١٦٣ هـ - ١٧٤٩ م. وكان بعض طلابه من بلاد الروم - يقصد تركيا اليوم.

لا تزال هذه المحلة قائمة، إلا أن فعالياتها الاقتصادية قد توقفت منذ أن فقدت حلب أهميتها الدولية بفتح قناة السويس في النصف الثاني من القرن الماضي وتحول الطرق الدولية عنها، ثم بعد سلب لواء اسكندرون في بداية القرن الحالي. إن قسما منها لا يزال يحافظ على نسيجه العمراني كما كان، بينما القسم الشمالي الشرقي قد زال بعد فتح شارع أقيول المجاور.

حي : تحت القلعة

لا شك أن نواة المدن في أي عصر تبدأ صغيرة ثم تنمو وتتسع - حتى تغدو كبيرة عبر العصور التاريخية وينطبق هذا القول على مدينة حلب التي بدأت على مرتفع القلعة الأوكروبول، وأقدم شاهد أثري فيه لدينا الآن يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة قبل اليوم.

ومن الطبيعي أن تتجمع المباني الهامة حول النواة - القلعة، حيث مركز السلطة. وهي الملاذ والملجأ حين يداهم المدينة عدو خارجي. وإذا رجعنا إلى تاريخ حلب القديم، وإلى موقع حول القلعة بالذات، أو كما هو معروف اليوم بحي تحت القلعة لرأينا كثيراً من المباني الهامة بنيت في هذه المحلة، كالمدارس والخانقاهات (مفردها خانقاه، وهي كلمة فارسية تعني مكان الراحة) والمستشفيات و الحمامات وغير ذلك.

إن أقدم هذه المباني التي أوردها المصادر التاريخية يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي. وقد بدأها معمار حلب الكبير الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، وتابعها المماليك من بعده.

إن استعراضاً سريعاً، وسنبحث في تفاصيله في ما بعد، يظهر لنا أهمية هذه المباني التي بنيت حول قلعة حلب، وما بقي منها اليوم. وهو شاهد على أهميتها والدور الذي لعبته المدينة القديمة.

إننا لا نستطيع تحديد موقعها، فقد هدم معظمها على مر الزمن ولا يوجد في مصادرها التاريخية سوى الاسم وبعض المعلومات، فضلاً عن أن أبنية أخرى قامت فوق أنقاضها، إلا أن للأسماء التي بقيت حتى اليوم دلالة كبيرة عليها، كما أن الأبنية المعاصرة التي بقيت تعطي الدليل على أهميتها.

من المباني الإدارية نذكر : دار النيابة ومكتب السلطان حسن، ومدرسة بني الشحنة، ودار العدل (موقع المستشفى الوطني سابقاً والمعهد الصحي حالياً) ومن المباني العامة : الخانقاه القديم، وقد بناه نور الدين محمود زنكي عام ٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م. خانقاه الأمير علاء الدين طاي المتوفى سنة ٥٥٠ هـ - ١١٥٥ م. خانقاه القصر، بناه نور الدين أيضاً عام ٥٥٣ هـ - ١١٥٨ م. وخانقاه سنقرجا النوري عام ٥٥٤ هـ - ١١٥٩ م. وقيسرية بنيت أيام العادل محمود كانت وقفاً على خانقاه المجاهدية التي بنيت عام ٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م، فضلاً عن زاوية

الطوشي والمدرسة الغوثية والحمام الناصري، رمم مؤخراً وفتح للجمهور، والمدرسة السلطانية لا تزال قائمة أمام باب قلعة حلب وحمام السلطان الحالية أما المباني الخاصة فأهمها دور بني الشحنة وقصر شجاع الدين فاتك.

وهكذا يستدل من كثرة المباني الإدارية والعامة على أهمية هذه المحلة - تلك الأهمية التي لا تزال قائمة حتى اليوم، إذ بنيت دار الحكومة في أواخر الحكم العثماني بالقرب من القلعة بجانب مبنى قســم الهجــرة والجوازات القديم. وفي أواخر عهد الانتداب الفرنسي وبعد الاستقلال بنيت دار الحكومة الحالية، ثم ألحق بها قصر العدل الذي زاحم مبنى الحمام الناصري، كما بني مؤخراً ملحق لــه. ولأهمية هذا المركز الإداري الحالي بجانب القلعة العتيدة، شقت الطرق وفتحت الشوارع في جسم المدينة القديمة ونسيجها العمراني، للوصول إليه.

حي الشيخ طه

اعتاد مؤرخو حلب مثل ابن شداد وابن العديم، ورضي الدين الحنبلي وغيرهم إطلاق كلمة - خــط - علــى الأماكن الموجود في حلب كالحي والطريق والشارع تمييزاً لها عن الحارات والمحلات والأزقة والبوابات... وقد تبين لنا أن أغلب الخطوط هي المواقع التي لم يسبق أن قامت فيها أبنية قديمة زالت، فهي الأرض البكر وغالباً ما تكون بعيدة عن مركز المدينة وأسوارها.

موضــوعنا اليوم نتحدث فيه عن - خط النصيبي - أو - حي النصيبي - والاسم غير معروف حتى لساكني هذا الحي اليوم، وهم كثيرون جداً.

وربما لم يذكر سوى في السجلات القديمة التي كتبت في فترة الحكم العثماني.

ويعتــبر هذا الخط من أكبر الخطوط التي عرفت في حلب مثل خط الحريري وخط سوق الخيل وغيره، فقد كان يمتد على ضفاف نهر قويق منذ أن يغادر جسر المعزة - تحدثنا عن هذا الجسر ســابقاً - حتى يصل إلى موقع محطة بغداد، كما يحيط هذا الخط بمناطق واسعة ليصل إلى شمالي محلة الجميلية اليوم.

ولما كان هذا الخط يرافق نهر قويق فقد ضم عدة بساتين عرفت بأسماء أصحابها أو لصبغة مميزة لهــا، ولنا عودة للحديث عن هذه البساتين منها بستان الكهف وبستان كور مصري والعويجا والعمــيان وإبراهيم آغا وأخيراً بستان الشيخ طه. وقد كانت أكثر البساتين وقفاً لمباني خيرية اشــتراها ولاة حلب العثمانيون وخصوصاً لجوامع بنوها إذ إن قسماً منها كان وقفاً للمدرسة الأحمديــة وآخــر وقفاً للمدرسة العثمانية أو الرضائية. ونتيجة الاهتمام بها كأوقاف خيرية. عــرفنا بعض المعلومات عنها فبستان خط النصيبي مثلاً ثلاث عشر كدنة - نوع من القياس لم يعد موجوداً - وفيه دولاب وغرّاف. أما بستان إبراهيم آغا ففيه مغاره وغرّاف.

هذا الخط المتطاول على ضفتي النهر يعتبر اليوم من أعمر أحياء حلب اكتظاظاً بالسكان والحركة أخــذ جــزءاً من التسمية وأطلقها على مجموع الحي فأصبح اسمه حي الشيخ طه. فلقد زالت البســاتين شيئاً فشيئاً وحلت محلها أحياء عامرة بالأبنية أخذت أسماء جديدة خاصة بها. ولحسن الحــظ، بقيت لنا تسمية بستان الشيخ طه. ولأن البستان قد زال بقيت تسمية - الشيخ طه - فقط.

لا نعرف شيئاً عن سبب تسمية خط النصيبي وكذلك الشيخ طه. فلم تذكر لنا المصادر التاريخية المتوفرة بين أيدينا شيئاً عن ذلك. وقد تتوفر في المستقبل.

إلا أننا نعرف أن موقع بستان الشيخ طه كان خارج أسوار المدينة القديمة وبعيداً عنها كما كان موقعاً استراتيجياً لتمركز الجيش العثماني الذي أرسله السلطان محمود الثاني إلى والي حلب خورشيد باشا ليقمع ظاهراً ثورة الإنكشارية، ولكن ليقهم سكان حلب الذين ثاروا على الوالي في عام ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م وحصروه في مقره في حي الشيخ أبو بكر شهوراً. ولولا نجدة السلطان، لتغلبوا عليه. وقد كانت ثورة هامة للحلبيين ضد طغيان الولاة سنتحدث عنها يوماً بالتفصيل، وهي من الزوايا التي أهملها التاريخ.

حي الخناقية

لم تقتصر التسميات التاريخية في مدينة حلب على اختيار أسماء الأشخاص أو الحوادث أو المواقع، بل وصل الأمر إلى مراقبة الظواهر والتشكلات الطبيعية لإطلاقها أيضاً على الأحياء والمواقع.

إننا لن نعود إلى الوراء إلى الزمن البعيد جداً لندرس طبيعية الأرض في موقع حلب ووجود بعض المستحاثات الحجرية فيها.

فحديثنا اليوم يتناول ظاهرة طبيعية كانت موجودة، ولا تزال خارج الأسوار في موضع أحياء : محطـــة بغـــداد والســـريان القديمة وشارع فيصل، فقد انتشرت في مواضع هذه الأحياء المغاور الطبيعـــية الكـــثيرة. ودعيت باسم عام هو الخناقية وتذكر بعض المصادر التاريخية أن كثيراً من الأشـــخاص دخلوا هذه المغاور واختنقوا فيها حتى إن المؤرخ الحلبي ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـــ - ١٢٨٥ م ذكر اسمها " المضيق ".

قـــد تكون هذه المغاور قد حفرتها يد الإنسان إذ إن عدداً من مؤرخي حلب ذكروا أن سيف الدولـــة الحمـــداني بـــنى في عام ٣٣٦ هـــ - ٩٤٨ م قصره في أرض الحلبة - قرب الزبدية اليوم وأجرى نهر قويق من تحت الخناقية حتى يدخل القصر من جانب ويخرج في آخر في المكان المعروف بالفيض وقد نهبه نقفور ملك الروم وهدمه لدى احتلاله حلب في عام ٣٥١ هـــ - ٩٦٢ م. كما ذكـــر المؤرخ الحلبي ابن العديم أن تاج الدولة تتش هاجم حلب عام ١٧٤ هـــ - ١٠٧٩م. وجرت معركة مع الحلبيين في موقع الخناقية على باب حلب وقد قال الشاعر :

وفي يوم خناقية قد خنقتهم
بعثير ذل رو ذا الشرخ شائبا

ونظـــراً لارتفاع هذه المنطقة نسبياً ووعورتها - فقد نشر فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٧٠ هـــ - ١١٧٥ م جيشه ليحتل حلب ويطرد منها الملك الصالح بن نور الدين زنكي وكان الانتشار يتناول منطقة الخناقية إلى بستان السعدي.

كما تحدث المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـــ - ١٤٨٥ م عن منطقة الخناقية، واعتبرها من منتزهات حلب. وذكر فيها حماماً وبستان ابن حسون ثم بستان النقيب محمد بن صدقة..

وفي بدايـــة الحكـــم العثماني في القرن السادس عشر الميلادي كانت أراضي الخناقية وقفاً على المدرســـة العثمانـــية أو الرضـــائية. وذكر الغزي أن هذا الوقف يتألف من أرض فلاحة تعرف بالأرض البيضاء المتصلة بالخناقية، والفاصل بينهما المغارة. وشمالها سن جبل القلعة ويقصد الغزي هضبة ثكنة طارق بن زياد.

إن توســـع مدينة حلب وازدياد السكان فيها والفعاليات الاقتصادية أدى إلى بناء محطة بغداد في عـــام ١٣٢٩ هـــ - ١٩١١ م في كرم الخناقية، وفي السنة التالية سار القطار منها. وقد كان وجـــود المحطة حافزاً لازدياد العمران. ففي عام ١٣٣٨ هـــ - ١٩٢٠ م بنى الأرمن في ذيل جبل الخناقية دورهم الصغيرة من الأخشاب والحجارة. وهو ما يعرف اليوم بالسريان القديمة.

وهكـــذا امتد التوسع فقامت جادة شارع فيصل، ومؤخراً نشأ حي السريان الجديدة. إن القليل مـــن سكان مدينة حلب وحتى المناطق التي ذكرناها لا يذكر اليوم تسمية الخناقية؛ هذه المنطقة الواســـعة ذات المغاور الكبيرة والتي لم يبق منها سوى منخفض من الأرض صغير لن يأتي الجيل الجديد إلا ويكون قد طمر، وقامت عليه بناية شاهقة. ورغم هذا فسيبقى التاريخ يذكر سيف الدولة وصلاح الدين ومرور نهر حلب والخناقية أيضاً.

حي باب المقام

لقـــد اعـــتدنا في هـــذه الزاوية تحديد موقع الأحياء من حيث وجودها داخل أسوار المدينة أو خارجها. وقد سار مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي في كتابه - نهر الذهب في تاريخ حلب - على هذا، لكنه كان يتخذ دائماً السور فاصلاً كما كان أواخر الحكم العثماني، أو بقاياه كما رآها في أواخر القرن العشرين.

غير أن في حلب أحياء نشأت خارج السور الأول بحلب، وحين توسعت المدينة - وبني السور الثاني - أصبحت تقع بين السورين أو في المنطقة التي دعيت بـــ الفصيل -.

مـــن هذه الأحياء - حي باب المقام - وهو داخل السور الثاني وخارج السور الأول - وسنتحدث بالتفصيل عن الأسوار فيما بعد -.

ينســـب هذا الحي إلى باب المقام أحد أبواب حلب ومنه يتجه المرء إلى مقام الصالحين، وكان الباب يدعى أيضاً بـــ - باب نفيس - و - الباب القبلي - فهو من الجهة الجنوبية من المدينة.

يقوم الحي على طرفي الجادة العظمى بين الباب المذكور وقلعة حلب ويضم - حارة الحوارنة - وقـــد تحدثـــنا عنها ولا يزال يحافظ على نسيجه العمراني القديم. فالأبنية الحديثة فيه قليلة جداً والمحلـــة بالـــتالي تحـــافظ على أبنيتها القديمة وأوابدها التاريخية وأزقتها الضيقة الملتوية، كما أن فعالـــياتها القديمة مستمرة. واستعيض عن التي زالت بفعاليات حديثة مشابهة. وإن امتداد الجادة العظمى خارج الباب الأثري قد أزال جزءاً من السور فقط.

أهم أوابدها الأثرية مسجد ومقام الأربعين. وقد بني في القسم الغربي من الباب الأثري، ويحكى أن أربعـــين قطـــباً مـــن الأولياء قد دفنوا فيه وعلى الجانب الشرقي من الباب قسطل بناه المقر السيفي الأشرفي نائب القلعة في عام ٨٣١ هـــ - ١٤٢٨ م. هدم مؤخراً، ولكن كتابته باقية. ووراء القسطل مسجد وتكية أقيما في البرج الشرقي يقام فيها الذكر منذ القديم، ويستمر حتى اليوم، وتشرف عليه نفس العائلة.

ذكـــر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـــ - ١٢٨٥ م وجود أحد عشر حماماً في المحلة. ويـــبدو أنهـــا دثرت منذ القديم، أو أنه يعني المنطقة الواسعة بين القلعة ومقام الصالحين خارج

الأســوار. والحمام الباقية والتي لا تزال تعمل هي حمام المالحة، ولا نعرف سبب تسميتها وقد بنيت عام ١١٢٣ هـــ - ١٧١١ م، وكانت وقفاً خيرياً.

من أهم جوامع مساجد حي باب المقام جامع الطواشي، وبني في منتصف القرن الثامن الهجري أي الـــرابع عشـــر الميلادي، وسنفرد له بحثاً خاصاً، ومسجد أصلان الصغير في حارة الحوارنة، وعلـــيه كتابة تفيد أن إنشاءه تم في عهد صلاح الدين يوسف حفيد صلاح الدين الأيوبي، ولا يزال قائماً عامراً بالمصلين. إلا أن الصهريج القائم جانب الباب قد سد وأضيفت زريقة الترولي إلى جداره الخارجي، فشوهته.

أجمل آثار الحي - سبيل البيك - ولا يزال قائماً في مدخل حارة الحوارنة، وتزينه زخارف جميلة وشبابيك حديدية ينسب بناؤه إلى أحمد بيك بن إبراهيم باشا في عام ١٢٣٤ هـــ - ١٨٢٨ م ومـــا زالت الكتابة موجودة على جدرانه فضلاً عن القائم - وهو موضع توزيع مياه القناة في الحي.

إلى جانب السبيل مدرسة الدفتردار، وهي دار واسعة استعملت فيما بعد للسكن. وجانب منها مهمل في الوقت الحاضر.

إن أبنـــية الحـــي الأخرى من أبنية ومقاهي لا تزال قائمة، وإن تغير استعمالها حالياً. وفي الحي مداران لطحن البرغل والعدس سابقاً، حوّل أحدهما إلى مطحنة حديثة.

إن جـــولة في هـــذا الحي العريق في قدمه تعود بالمرء إلى سنين كثيرة خلت، وتحكي تاريخ هذه المدينة العريقة.

محلة باب النصر

اخـــتلفت الدراسات حول تخطيط مدينة حلب القديمة ونشأتها الأولى. فبعض الدراسات جعل تخطيطها شطرنجياً حيث تقوم شوارعها حول الطريق المستقيم الممتد من باب أنطاكية إلى سفح قلعـــة حلب بعضها يوازيه، وبعضها الآخر يتعامد عليه. وبعض الدراسات الأخرى ذهبت إلى إعطائها الصفة العربية الإسلامية، بحيث تجعل المسجد في المركز، وتتحلق حوله المدينة.

إنـــنا نرى أن أية دراسة تخطيطية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تاريخ كل جزء على حدة، ونحن نعلـــم أن تـــاريخ مدينة حلب يتوغل في المنطقة الأثرية المكتشفة في حي الأنصاري إلى الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح، وفي مركز المدينة إلى عام ١٨٠٠ ق. م.

مهما يكن فإن مدينة حلب داخل الأسوار تتميز بين مدن البحر الأبيض المتوسط بميزات أهمها :

أولاً : وجود الأسوار، وفيها اليوم بقاياها وبقايا الأبراج والأبواب..

ثانياً : مركز المدينة يضم الأسواق، وفيها الجوامع والمساجد والخانات..

ثالثاً : وجود المحاور الرئيسية التي تربط بين الأبواب ومركز المدينة.

وحديثـــنا اليوم عن أحد هذه المحاور، وهو محور محلة باب النصر – وسنتحدث عن الباب مفصلاً – وكانـــت مـــن أعمر محلات حلب وأكبرها شأناً ولا نغالي إذا قلنا إنها تضاهي مركز المدينة بما احتوته من فعاليات ومباني هامة.

لقـــد اهـــتم السلطان صلاح الدين الأيوبي بهذه المحلة، فذكرت المصادر التاريخية داراً له بمجاورة للقســـطل الناصـــري قرب قسطل الهندي، وحدثنا الشيخ الغزي أنها كانت متوهنة حين وضع كـــتابه قبل خمسين سنة تقريباً. وحينما حكم ابنه الملك الظاهر غازي معمار حلب الكبير بنى الباب القـــائم حالياً عام ٦١٠ هـــ – ١٢١٣ م، ودعاه بـــ – باب النصر – بعد أن هدم الباب السابق والمعـــروف – بباب اليهود – وجعله من أحصن أبواب حلب. كما بنى أمام الباب جامعاً صغيراً في عـــام ٦١٢ هـــــ – ١٢١٥ م ربما جعله للحامية في أحد أبراج الباب، وصلى فيه. ولا يزال الجامع بجوار باب مخفر باب النصر قائماً.

وحين جاء المماليك شيدوا عدة أبنية عامة في الحي منها حمام القاضي أو النحاشي والتي ذكرها المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م، وقد جددت في عام ٩١٤ هـ ١٥١٧ م غير أنها اليوم متوهنة وبنوا أمامها مسجداً لا يزال قائماً. ثم بني جامع القرناصية في عام ٧٧٠ هـ - ١٣٦٩ م، وحول إلى مدرسة عام ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٧ م ولا تزال قائمة. وأخيراً جامع المهمندار أو القاضي الذي بني في أواسط القرن السابع الهجري أي أواسط القرن الرابع عشر الميلادي. وتعد مئذنته من أجمل مآذن القطر العربي السوري بل في بلاد الشام كلها وقد وضع نموذجان لها في أكبر فنادق حلب اليوم، فندق شهباء الشام. إضافة إلى ذلك تم بناء مصابن وقيسريات لا تزال عامرة إلى اليوم، وتدل على أهمية هذا الحي.

وفي فترة الحكم العثماني أضيفت إلى الحي أبنية عامة أخرى. من أجملها وأهمها المدرسة الرضائية أو العثمانية التي بناها والي حلب عثمان باشا الدوركي في عام ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م، وتعد من أهم وأجمل وأكبر مدارس حلب - وسنتحدث عنها بشكل موسع - ثم بني مخفر للشرطة كما جرت العادة آنذاك في بناء مخافر الشرطة قرب كل باب من أبواب حلب. وقد نقلت أعمدة مخفر باب النصر وهي من المرمر من جامع الرومي في عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م، بالإضافة إلى مقاهي ومدارات لطحن البرغل وحمامات، أكثرها دثر.

أما سوق المحلة الذي غطي بصفائح حديدية في أوائل هذا القرن فكان يأتي بالأهمية بعد أسواق المدينة المركزية، ويفوقها أهمية أحياناً؛ حيث كان يقدم الخدمات إلى سكان المحلة وإلى محلة الجديدة القريبة فضلاً عن الخدمات التي يقدمها لجميع سكان المناطق الشمالية - الغربية من القطر وكلنا نذكر مرائب السيارات التي كانت موجودة قرب السوق. لقد ضاعت أهمية هذه السوق بعد أن نقلت مرائب السيارات، وفتحت الشوارع الحديثة.

وبعد هل نبالغ إذا قلنا إن فعاليات ومدارس ومباني هذا الحي كانت تفوق ما هو موجود الآن فيه ؟..

حي باب النيرب

ينتسب المرء إلى وطنه حيث ولد وترعرع. والوطن يتحدد بالبلد أو المدينة أو القرية. ويبقى هذا الانتساب إلى الوطن طويلاً، فيستمر جيلاً بعد آخر وقد يصل إلى ثلاثة أجيال أو أربعة، فيحن المـــرء إليه إذا ما اضطرته الأيام إلى مغادرته. وفي المدينة الواحدة يضيق الانتساب – يتعلق المرء بحيه حيث نشأ، ثم بالبيت الذي ولد فيه وعاش. ويعتبر مواطنه بالحي أكثر من زميل أو صديق، كما تعتبر مباني الحي كلها داره وبيته.

وهكذا تنشأ الروابط بين البشر ومواطنهم، وتتعمق كلما مر الزمن، حتى إن الإنسان يحمل معه اسم وطنه وبلده وحيه أحياناً أينما رحل وحل؛ فيعرف أو يلقب به...

لقد عرف ذلك عن الحلبي، وهذا ما يفسر ارتباطه بمدينته، ارتباطاً وثيقاً، وبالحي الذي نشأ فيه.

لقـــد ذكـــرت هذه المقدمة لأمر واقع؛ فقد ضاقت المدينة القديمة بحلب، فلم تستطع استيعاب ســـكانها بعد أن تكاثروا؛ ولهذا اضطر أهلوها لمغادرتها، فنشأ مع هذه المغادرة الحنين إلى الحي والبيت.

إن ســـكان حي باب النيرب بحلب، وبعضهم غادر الحي لا يزالون يذكرون مرتع صباهم وفترة شبابهم.

وحديثي اليوم يتناول هذا الحي الواسع الكبير الذي يضم أكثر من محلة وزقاق وبوابة.

لـــن أتطـــرق إلى الباب الذي لم يعد موجوداً، وبقي اسمه قائماً وسيبقى، فله حديث آخر، إنما سألقي الضوء على الحي الذي كان يمتد داخل وخارج الباب.

فقـــد نشأ هذا الحي أولاً داخل الأسوار حياً سكنياً كباقي أحياء المدينة السكنية. وشكل محوراً بـــين الـــباب وقلعتها التي كانت المركز قبل أربعة قرون من ميلاد السيد المسيح، ثم توسع هذا المحور ليصل إلى المركز الجديد، وهو أسواق المدينة القديمة بعد القرن الخامس الميلادي.

فقـــد أنشأ ملوك حلب قبل ألف عام من الآن تقريباً سوراً خارجياً اعتبروه خطاً دفاعياً للسور القديم للمدينة. فتوسعت المدينة، وامتد حي باب النيرب قربه كما امتدت أحياء أخرى مثل حي باب المقام والقصيلة وغيرها، وهذه المنطقة تعرف بالفصيل.

ولما كانت الدولة الأيوبية قد أنشأت مباني دينية متعددة خارج الأسوار، فقد امتد حي باب النيرب أيضاً حولها وهكذا مرت مراحل ثلاث على توسع هذا الحي العريق.

لقد ضم هذا الحي كغيره، عدة مباني دينية هامة ففيه المدرسة الجابية، وكانت فيها محكمة على المذهب الشافعي. وفيه المدرسة الطرنطائية نسبة إلى مجددها طرنطاي بعد بانيها المؤرخ الحلبي الكبير ابن العديم في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وتربة العلمي الأيوبي ومسجد آشق تمر أو السكاكيني، وهو من العصر المملوكي وجامع التوبة المملوكي، وقد جدد عدة مرات وكل هذه المباني سنتحدث عنها بالتفصيل في أحاديث مقبلة. يضاف إلى ذلك حماما برسين والذهبي المملوكيان وقد دمر جزء كبير من الحمام الأخيرة في عام ١٨٥٠م ومقهيان وعدة خانات.

لقد كان للحي تقاليد بدوية ما زال بعضها قائماً، وبعضها دثر؛ كاجتماع النسوة من جميع الأديان كل يوم اثنين وخميس لبيع خيوط الصوف المغزولة في زقاق الزيتونة، وهو واحد من أزقة الحي إلى جانب زقاق النخلة والدحدالة والبستان ومحمد بك، وهذا الاسم الأخير كان يطلق أحياناً على مجموع الحي نفسه.

ردم الخندق المجاور للحي في عام ١٩١١ لفتح جادة باب النيرب، إحدى أكبر جادات حلب في ذلك الوقت، فازدادت أهميته.

لقد بقي هذا الحي، كما كان، محافظاً على نشاطه التجاري حيث يعتبر مركزاً للتبادل التجاري بين المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من القطر مع مدينة حلب، وأهالي المدينة يذكرون ذلك حتى اليوم.

أصاب الحي مؤخراً تبدلات جذرية أوجدتها مخططات مجلس المدينة التنظيمية، فزال قسم من الحي وفتحت شوارع عريضة، وبقيت أوابده التاريخية كما بقي اسمه حتى اليوم.

محلة الدباغة

يتساءل المرء مواطناً أو زائراً، عن وجود مئذنة أثرية قائمة بلا جامع جانبها، تحيط بها عشرات السيارات الصفراء اللون ومئات من الناس غير المصلين. كما يطرح السؤال نفسه عن وجود مئذنة مربعة الشكل أيوبية الطراز إلى جانب جدران جامع مجدد وبحرات عددها سبع...

إن وجود المئذنتين المذكورتين في أماكنهما هو دليل تاريخي على تطور مدينة حلب قبل حوالي سبعمائة سنة وأربعمائة سنة من الآن. وإن البحث فيهما اليوم لا يتناول طرازهما المعماري، بل سنستخلص منه مؤشرات التطور العمراني لمدينتنا القديمة، وسوف نستعرض حديث المئذنة الثانية ونترك الحديث عن الأولى، رغم أن موضعيهما مترابطان ترابطاً وثيقاً، لقد كانت حلب في العهد الأيوبي مزدهرة، وكان معمار حلب الكبير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، قد اهتم ببناء الجوامع والمدارس والربط - جمع رباط - والخانقوات وغيرها.

وكانت إحدى محلات حلب الهامة في عهده هي محلة الدباغة بالقرب من سويقة علي وسويقة حاتم في الطرف الشمالي الغربي. فالمدابغ عادة توجد على أطراف المدن لأسباب: حاجتها إلى الجلود التي يتم شراؤها من أسواق بيع الحيوانات التي تكون في أطراف المدينة بعيداً، وقربها من المسالخ، وهذه أيضاً تكون في نهاية أطراف المدينة، وحاجتها إلى الماء بالقرب من نهر أو قناة أو بحيرة، وكذلك حاجة الدباغين من أجل جفاف الجلود إلى مساحات واسعة؛ ولا يمكن تأمينها إلا في أطراف المدينة، وأخيراً هذه ملاحظة هامة جداً، وهي الأضرار التي تخلفها المدابغ بالنسبة للجوار، وخاصة الروائح الكريهة التي تنشرها.

ولما كانت الحياة الاقتصادية قد ازدهرت في حلب في العهد الأيوبي كعاصمة كبيرة في شمالي سورية، كما أن وجود بلاط وجيش كبير على استعداد دائم لمحاربة الصليبيين؛ كل ذلك أتاح بشكل خاص تطور صناعة الأسلحة وصناعة الجلود التي وجدت مجالاً حيوياً لمنتجاتها. وهكذا فإن هذا القسم من المدينة بدأ بالتخصص بصناعة الجلود، ونشأ بذلك حي كامل دعي بحي الدباغة وكانت هذه التسمية الجديدة قد ظهرت كمثيلاتها من الأحياء المشابهة كحي المصابن...

من أهم معالم الحي: الجامع الذي حفظت مئذنته كما هي من القرن الثالث عشر. أما الجامع نفسه فاعتقد أنه جدد في القرن الرابع عشر، وكان يعرف باسم جامع الرومي. ولم نر مصدراً يعلل هذه التسمية. ولقد أرخ أحد القبور في الجامع بتاريخ ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م، وقبر آخر بعام

٨٨٧ هـ - ١٤٨٣ م وبتاريخ ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م، وقبر آخر بعام ٨٨٧ هـ - ١٤٨٣ م وإلى جانبه مسجد شمعون، ونسب إلى نبي الله - ومسجد البكفالوني في الزقاق النازل لمسجد شمعون، ويؤرخ بعام ١١٥٠ هـ - ١٧٤٢ م كما ذكرت المصادر التاريخية حمام السكر تجاه جامع الدباغة، وقد تكون خصصت للدباغين.

هذه هي محلة الدباغة عاش فيها المسلمون إلى جانب اليهود ردحاً من الزمن. كانت إحدى فعاليات المدينة الاقتصادية، وقد أصابها ما أصاب غيرها. فقد خضعت إلى تنظيم عمراني منذ الستينات حيث شقت فيها الشوارع المؤدية إلى الجامع الأموي وإلى السجن القديم، فضاعت معالمها الأيوبية القديمة؛ إلا أن المئذنة القديمة الجميلة بقيت قائمة صامدة شامخة تجاور زميلتها الأقدم منها في الجامع الأموي بالرغم من مظهر الجامع الجديد والسبع بحرات المجاورة.

أما لماذا سميت بمئذنة الدباغة العتيقة فهذا موضوع الحلقة المقبلة.

حي الدباغة الجديد أو حي باب انطاكية

تحدثنا في مقالنا الأخير عن مئذنة بلا جامع تقف منتصبة أمام باب أنطاكية الأثري في دائرة تضم بناءً حديثاً جداً وآليات، وكل ما لا يمت بصلة إلى مبنى ديني، المئذنة هي إحدى مستلزماته الأساسية.

إن هذه المئذنة المربعة الشكل المبنية من الحجارة الكبيرة المنحوتة وحالتها جيدة ليست بالمائلة أو الناقصة، كانت لجامع عامر في محلة عامرة لعبت دوراً في التاريخ العمراني والاقتصادي لحلب القديمة قبل وخلال القرن السادس عشر وما بعده، واستمرت حتى وقت قريب جداً لا يتجاوز العقدين من السنين.

لقد سبق أن تحدثنا عن قسم من هذه المحلة التي كانت قائمة بالقرب من باب إنطاكية الأثري وإلى الغرب منه قريباً على ضفتي نهر قويق وفي المكان الذي قد تم الآن تغطيته تفادياً لأضراره بعد أن قطع الأتراك مياه النهر. قبل فترة قريبة كانت تلك المحلة جسر السلاحف والوراقة. وقد ذكرنا في حينه تاريخها وسبب تسميتها.....

واليوم نتحدث عن قسم آخر من هذه المحلة نشأ في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وعلى وجه التحديد قبل عام ١٥٧٠م بأمر من والي حلب العثماني محمد باشا المعروف أيضاً باسم إبراهيم خان زاده باني خان الجمرك. فقد أقام مجموعة عمرانية كبيرة عرفت بوقف إبراهيم خان زاده لأسباب عمرانية فرضها توسع المدينة الكبير في الفترتين الأيوبية والمملوكية وخاصة في الجهة الشمالية من الجامع الكبير في موقع السبع بحرات اليوم، حيث كان يقوم حي الدباغة والذي لم يعد بالإمكان استمرار بقائه هناك كما رأينا في المقال السابق - والذي لم يبق منه بعد فتح الشوارع الحديثة سوى جامع الدباغة العتيقة ومئذنته القائمة حتى اليوم.

وهكذا تم نقل الدباغين بأمر الوالي المذكور إلى غربي باب أنطاكية منذ عام ١٥٧٠م بالقرب من نهر قويق. وقد شيد هذا الوالي أوقافه التي عرفناها من دراسة صك الوقف الذي كتبه بتاريخ ١٥٧٤ باسم وقف إبراهيم خان زاده. وقد عرفنا من هذه الوثيقة أيضاً أن البناء الرئيسي بلغ أبعاداً كبيرة - ١٧٠ متراً طولاً و٤٠ متراً عرضاً ومساحة تتجاوز ٧ , ٠ هكتاراً. بالإضافة إلى خانين، أحدهما كان يحوي أربعين مخزناً في الطابق الأرضي و٥٥ مخزناً في الطابق العلوي و٥٣ حانوتاً في خارجه. وقد يكون الخانان هما خان العفص وخان اللبان. يضاف إلى ذلك مسجدان

وحمامـــان أفـــرد أحدهما، وقد يكون حمام الويوضي، للدباغين. واستكملت المجموعة بخانين في جوار الدباغة ابتاعهما الواقف، وأدمجهما في الوقف. وهكذا تكامل حي الدباغة الجديد إذا صح التعبير خارج أسوار المدينة، وبقي حي الدباغة العتيق داخل الأسوار.

ذكر المؤرخ الغزي مسجداً قرب جسر الدباغة كان قائماً على النهر. ودعاه بجامع – أولاد أبي بكـــر – أو الضوعي – دفن فيه مؤسسه أمير حلب محمد بن الحاج أبي بكر عام ٧٤٢ هـــ – ١٣٤٢ م، ونعتقد أن مئذنته هي الباقية حتى اليوم إذ إن طرازها المعماري يعود إلى تلك الفترة وقـــد دعي باسم حديث بجامع الحجارين، حيث كان الحجارون ينحتون بقربه شواهد القبور، وما زالوا حتى اليوم بعد إزالة الجامع.

كما ذكر الغزي مدارين ومعصرة من أوقاف إبراهيم خان زاده وعدة بساتين منها جنينة الشيخ طـــه والبســـتان الجديد وبستان قيصر وبستان بربرونوه أن – ماء قويق يفسد جنوبي جسر باب إنطاكية، فيحمر لونه من الأصبغة، وينتن ريحه، ويتغير طعمه من روث الجلود التي تغسل فيه. ومن الطـــريف مـــا ذكره المؤرخ الكبير فقال : – من العادات أن يخرج كثير من النساء والشبان إلى بساتين جهة الدباغة يومي الأربعاء والخميس من نيسان أربعاء الزوبعة وخميس البيض، قبل الأحد الذي هو أول يوم من عيد الفصح، ومن لا يخرج لا يأمن سنته من الصداع ووجع الرأس –

ســـتبقى الوثائـــق التاريخـــية تشير إلى الكثير من تاريخ حلب وتوسعها العمراني الذي يهتم به الدارسون في كل أنحاء العالم.

وعلينا نحن أن ننقل إلى الأجيال القادمة تاريخ هذه المدينة العريقة متحف التاريخ والحضارة.

درب الحطابين أو زقاق خان التوتون

قـد تتغير أسماء الأحياء والمحلات أكثر من مرة. تم هذا في الماضي ويتم في الحاضر. وكما نرى أيضاً في أيامنا هذه الأسباب كثيرة، أهمها تبديل جذري يجري في الحي، فيفرض هذا التبديل اسماً جديداً وهكذا.

سنعرض في حديثنا اليوم لمحلة من محلات حلب القديمة لا تزال قائمة، تبدل اسمها خلال تاريخها الطويل أكثر من مرة.

في حي الجلوم الكبير وفي قسم منه مجاور لأسواق المدينة وعلى الضبط في الجزء الملاصق لسوق البهرمية يقوم درب الحطابين. ويقصد بالدرب قديماً : المحلة الصغيرة وهي أصغر من الخط الذي يعني محلة واسعة. وفي حلب عشرات الدروب سنبحثها.

لم تذكـر المصـادر التاريخـية سبباً لتسمية درب الحطابين وكل ما نعرفه أن هذه التسمية لهذا الـدرب كانـت موجودة حتى عام ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م ففي تلك السنة هاجم الصليبيون الفـرنجة حلب بقصد احتلالها؛ وأمام فشلهم الذريع لقوة أبوابها وأسوارها المنيعة؛ قاموا بأعمال وحشية. ولجؤوا إلى نبش قبور أئمة رجال الدين، مما اضطر قاضي حلب أبا الحسن بن الخشاب إلى تحويل كنيسة في هذا الدرب إلى مسجد. وفي عام ٥٤٥ هـ - ١١٥٠ م أحال عز الدين ابن عبد الملك المقدم المسجد إلى مدرسة، فأضاف إلى البناء داراً كانت بجانبه. وانتهى البناء عام ٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م، وعرف بالمدرسة المقدمية وكان بناؤها هاماً حتى إن المدرسة الشرفية - مكتـبة الأوقـاف حالياً - بنيت على شاكلته. تولى إمامة المدرسة المقدمية عدد من مشاهير الأئمـة، ومنهم محمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم، وبقي عليها إلى أن قتل لدى استيلاء التتر على حلب ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م.

أنشـأ عـبد الملـك بن المقدم خانقاه المقدمية في الفترة نفسها في عهد الملك العادل محمود بن زنكي. وهي دائرة الآن ويعتقد المؤرخ الطباخ أنها كانت في الجانب الشرقي من المدرسة القائمة حتى اليوم عدا بعض الغرف المتهدمة.

اسـتمر درب الحطابين قائماً إلى أن جاء حكم المماليك، فاهتموا بهذا الدرب وبني في رأسه من جهة الشرق مسجد معلق أنشأه جعفر بن مزاحم، وجدده يوسف بن أحمد عام ٧٣٩ هـ -

١٣٣٨ م. غـــير أن كافـــل قلعـــة حلب الأمير ناصر الدين محمد بن سلار، وكان مقدماً عند السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين برقوق الذي حكم في القاهرة بين عامي ٧٨٤ و ٧٩٢ هـــــ أي ١٣٨٢ و ١٣٨٩ م اختار هذا الدرب لينشئ فيه داراً عظيمة لسكناه. وكذلك فعل مملـــوكه أســـنبغا. عـــندئذ تبدل اسم الدرب وأطلق عليه درب ابن سلار ونسي الناس درب الحطابين.

وفي العهـــد العـــثماني وفي القرن الثامن عشر، حين تكاملت أسواق المدينة، وازدادت أهميتها الاقتصادية بني مدار لطحن البرغل والحبوب في رأس الدرب. فأخذ الدرب اسماً جديداً، ودعي بدرب المدار وضاع اسم درب ابن سلار في غياهب التاريخ، إلى أن بني خان التوتون الحالي في ســـوق البهـــرمية - والخان أهم من المدار في الحياة الاقتصادية - فغاب اسم - درب المدار - ليحل محله اسم زقاق خان التوتون. وبقي إلى يومنا هذا..

إن الدرب أي الزقاق لا يزال موجوداً والمدرسة المقدمية قائمة يفتش عنها الدارسون والزائرون. أمّا ما عدا ذلك فقد ضاع أثره؛ ومع ذلك فالتاريخ لا يزال يذكر أسماء هذا الدرب العريق الذي يرقـــى إلى القـــرن الثاني عشر، عهد الزنكيين ونور الدين محمود الشهيد ويؤرخ جزءاً من حي الجلوم العريق. ولنا عودة للحديث عن دروب أخرى.

زقاق الزهراوي

مـــا زلنا نسير على دروب مدينة حلب القديمة العريقة في القدم والتي لا تزال تمسك خيوط تاريخهـــا الطـــويل بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد، أي خلال خمسة آلاف سنة من عمر الزمن.

إن أي باحث في تطور مدينة حلب القديمة لا يستطيع أن يحدد فترة زمنية في أي جزء من أجزاء المديـــنة، كما يجري ذلك في موقع تاريخي وأثري مثل إيبلا وغيرها. ذلك أن مدينة حلب ككل المـــدن القديمة القائمة اليوم - كائن حي - ينمو ويتطور باستمرار ويحتفظ في كل مرحلة من مـــراحل نموه بشاهد يشهد على تطوره قد يكون بناء أو جزءاً من بناء، وقد يكون الاسم فقط والاسم لا يحفظ تاريخ الموقع فحسب، بل وتطوره عبر التاريخ..

موضـــوعنا الـــيوم يتناول هذه الناحية الأخيرة إذ سنتحدث عن محلة من محلات حلب لا تزال تحتفظ باسمها التاريخي القديم، وببعض الأوابد القليلة.

إن زقـــاق الزهـــراوي الموجود شمالي أسواق المدينة القديمة، ويشكل امتداداً لها، هو اليوم زقاق حـــديث، بـــل هو شارع حديث فيه كل ما هو جديد من محلات ومباني وواجهات، حتى إن جامعـــه القديم قد أصبح جديداً تماماً، ويقوم في الطابق الأول، ولا يدلُّ مظهره الخارجي على وجـــوده. إنمـــا يتخلل أبنية هذا الزقاق بعض الدور القديمة والقليلة جداً، والتي لم تعد تستعمل للسكن، بل هي ورشات ومستودعات.

عرف زقاق الزهراوي قديماً باسم - درب البازيار - نسبة إلى أحمد بن نصر بن حسين البازيار المـــتوفى سنة ٣٥٢ هــ - ٩٦٣ م وكان من حاشية أمير حلب الكبير سيف الدولة الحمداني ونديمه. ذكر مؤرخ حلب الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - أن ســـليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز قد أقاما في هذا الدرب. اهتم به معمار حلب الكـــبير الملـــك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، فأوصل إليه مياه قناة حيلان، وفي بداية القـــرن الســـابع الهجري - الثالث عشر الميلادي. ذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى ٦٨٤ هـــ - ١٢٨٥ م فيه مسجداً معلقاً.

يعـــود المؤرخ الطباخ ليذكر أن هذا الدرب كان مليئاً بالمدارس والخانقاوات. وهي كما يلي: المدرســة البدرية التي أنشأها بدر الدين عتيق عماد الدين شادي بن الملك صلاح الدين الأيوبي وذكرها المؤرخ ابن شداد أيضاً.

المدرسة الرواحية أنشأها أبو القسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة المتوفى سنة ٦٢٢ هــ - ١٢٢٥ م وخانقــاه الشمســية أنشــأها أحمد شمس الدين أحمد أبو بكر المتوفى سنة ٦٣١ هــ - ١٢٣٣ م، وخانقاه الخادم التي خصصت للنساء مع دار ملحقة بها لا نعرف إلى من نسبت، وخانقاه أخرى لم يذكر المؤرخون من بناها.

يؤكد المؤرخ الطباخ أن هذه المدارس والخانقاهات قد دثرت منذ زمن طويل، إلا أنه رأى أبوابها ذات الأحجــار الــثلاثة السوداء لكل منها، وذكرنا سابقاً أن استعمال الحجارة السوداء من البازلت، كساكف للباب وجانبيه، يدل على أهمية البناء...

بقــي هــذا الدرب عامراً فذكر فيه خلال العهد العثماني، مسجد من آثار بني زهير ولم تذكر المصــادر من هم بنو زهير هؤلاء وقد يكونون قد أعطوا اسمهم للدرب، فدعي بدرب أو زقاق الزهراوي وكان مسجدهم مخصصاً لتعليم الأطفال في بعض أقسامه.

كما ذكر فيه سبيل وقسطل يقعان في بدء الزقاق من الجهة الجنوبية وقد حدثنا الرجال القدماء أن الــزقاق كان مسدوداً إلا أنه فتح من جهته الشمالية فمنه يمكن النفوذ إلى محلة السويقة يميناً وإلى محلة بحسيتا يساراً. وكان يشار إليه على أنه يقع إلى الشمال من المدرسة الشرفية التي لعبت دوراً في تــاريخ حلــب العلمي. ولا تزال ببعض أقسامها قائمة إلى اليوم، وتعرف حالياً باسم مكتبة الأوقاف.

إن الزائر لزقاق الزهراوي - هذا اسمه دائماً، وسيبقى - لابد له أن يعرف أنه يسير في درب ابن الــبازيار، حــيث ســكن خليفتان أمويان، وأن عمره يعود إلى ألف سنة ونيف مضت، وأن الورشات الكثيرة العاملة فيه والتي تصدر ما تنتجه من ألبسة جاهزة بالدرجة الأولى محلياً وعربياً ودولياً لن تغير من اسمه التاريخي العريق.

محلة : بوابة القصب

إن المستجول في أحياء وأزقة وبوابات حلب القديمة يظن لأول وهلة أن هذه المدينة قد بنيت عشوائياً بدون تخطيط عمراني مدروس. إنه في هذه الحالة لا يعرف تخطيط هذه المدينة العريقة المنظم على أسس عالية مدروسة، وأن هذا التخطيط لا يزال موضع دراسات واسعة وأبحاث مستفيضة تعقد من أجلها المؤتمرات والندوات. والأهم من هذا أن النظريات الحديثة في تخطيط المدن تعود إلى تخطيط مدينة حلب الواضح وأن بعضها نال جوائز دولية هامة. وسنعود يوماً إلى دراسة هذا في مجال آخر.

إننا نتحدث عن الواقع في مدينة حلب. فقد كتبنا عن بعض الأحياء والأزقة أو الدروب، ونكتب الآن عن البوابات. فالأبواب عامة لها دور كبير في مدينة حلب القديمة : أبواب المدينة والأحياء والحارات والأسواق والخانات وغير ذلك.. بعضها كبير صنع لمدينة. وهو بمثابة قلعة حصينة مثل باب قنسرين، و بعضها صغير لجزء من حي، وآخر صغير جداً ندعوه بوابة. إذاً الأبواب شيء هام في مدينة حلب، حين كان كل شيء صنع للإنسان وحده.

أما اليوم فقد صنع كل شيء للسيارة، هذا الوافد الجديد الذي فرض سيطرته على كل شيء، وبدله تبديلاً.

في الحي عادة يوجد أكثر من محلة وفي المحلة أكثر من زقاق وفي الزقاق الواحد أو الدرب يوجد أكثر من بوابة وهذه زقاق ضيق لا منفذ له يضم منزلاً واحداً أو عدة منازل تغلق بالباب خلال الليل، فتعزل عما حولها وعادة ما يقيم في البوابة أقرباء.

حديثنا اليوم عن بوابة القصب وكان لها باب، وتضم عدة منازل. ولا نعرف حتى اليوم سبب التسمية. وربما كانت مركزاً لبيع القصب، أو صنع الخيوط المقصبة لاستعمالها في النسيج أو غير ذلك... بنيت خارج أسوار مدينة حلب القديمة في حي الجديدة. اشتهرت بكونها تقع في حضرة قبر السهروردي فيلسوف حلب المعروف الكائن في مسجده. ويشكلان؛ القبر والمسجد قسماً من مبنى شرطة النجدة حالياً أو دائرة البرق والبريد سابقاً والتي بنيت عام ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م. كما اشتهرت بوابة القصب بقربها من سوار المدينة وبرج الثعابين الذي هدم في العهد العثماني عام ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ ونقلت حجارته لإكمال بناء الرباط العسكري - مركز التدريب الثاني اليوم - وكان الهدف من هدمه فتح الجادة العظمى - آنذاك - أي جادة الخندق اليوم الممتدة

مـــن باب الحديد حتى باب الفرج. وقد بني فوق أنقاض البرج دكاكين باب الفرج، وبالأخص الـــدكان المعروفة بدكان الأفندي لبيع المرطبات والمثلجات. ومن غريب الصدف أن تهدم هذه المخازن مؤخراً في عام ١٩٨٠ م لينفذ مشروع باب الفرج، ويعود برج الثعابين أو ما تبقى منه إلى الظهور ثانية إلى جانب السور والسور الفصيل.

لقـــد لعـــبت بوابة القصب دوراً في تاريخ المدينة فقد كانت فيها دور جميلة كان بعضها مقراً لمخـــتلف المطـــرانيات، وبعضـــها مدارس لطائفة الروم الكاثوليك منها واحدة أسسها المطران كيرلـــس جحـــا عام ١٣٠٤ هـــ - ١٨٨٦ م على اسم القديس نقولا لتعليم العلوم الحديثة واللغة العربية. وكان فيها أربعمائة تلميذ منهم سبعون تلميذاً مسلماً.

كانت بوابة القصب آخر عمران مدينة حلب القديمة فلم يكن خارجها من عمران سوى التكية المولوية بجانب المتحف الوطني حالياً حتى عام ١٣٠١ هـــ - ١٨٨٣ م في هذه السنة بنى جميل باشـــا والي حلـــب داره فوق التربة الدقماقية - ثانوية معاوية التخصصية حالياً، ودعيت المحلة بالجميلية نسبة إليه.

ومنذ عام ١٩٢٥ م وبعد أن ظهرت محلة بستان كل آب التي أنشئت لاستقبال السيارة وما جاءت بـــه مـــن تبديل وتغيير، بدأت تظهر في بوابة القصب المحلات التجارية. وأول من أنشأها عبد الإله العلمـــي مـــتولي وقف جامع البهرمية الذي أنشأ ثلاثة دكاكين في عام ١٣٤٣ هـــ - ١٩٢٥ م وحذا الآخرون حذوه. لقد بقيت تسمية بوابة القصب حتى اليوم، إلا أن المحلة تغيرت تغييراً جذرياً. وأصبحت اليوم من المراكز التجارية، و لكن هذا لن يغير التاريخ.

درب البنات أو بوابة خان القاضي

في علم الآثار يدل الجزء الصغير المكتشف من بناء، دلالة كبيرة على البناء كله. والمؤرخ الذي يفتش عن الوثيقة قد يفيده النص الصغير وحتى الكلمة الواحدة. فكيف الأمر إذا وضعنا عالم الآثار أمام البناء كله، ووضعنا أمام المؤرخ الوثائق كلها كاملة واضحة.

إن الدارس لتاريخ مدينة حلب القديمة يقرأ في كتاب مفتوح، ويرى أوابد هذه المدينة العريقة قائمة كاملة تملأ الدنيا عليه أينما وجه نظره.

في بحثي عن الدروب، دروب هذه المدينة الخالدة، قرأت عن درب البنات فتبين لي أنه من دروب حلب. عُرف في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي. أي أنه وجد قبل أكثر من ألف ومائة عام، وهو موجود فعلاً يسكن الناس دوره ويسيرون في منعطفاته، ويصلون في جامعه. ولكنهم للأسف لا يعرفون اسمه قد أطلقوا عليه اسم - بوابة خان القاضي - لأن الخان مركز تجاري له أثره في حياتهم، ومن الطبيعي أن يطغى على الاسم التاريخي القديم. لقد نسوا درب البنات الذي كان يضم قصراً كبيراً يعرف بأم ولد اسمها (بنات) كانت لعبد الرحمن بن عبد الملك الهاشمي وهي أم ولده داود، فعرف الدرب باسمها. وحين وضع سيما الطويل نائب حلب من قبل الخليفة العباسي المعتمد باباً على جسر أنطاكية، كان هذا الباب الحديدي من القصر نفسه أخذه في عام ٢٥٨ هـ ـ ٨٧١ م.

وفي عام ٤٥٢ هـ ـ ١٠٦٠ م حين قام الصراع على حلب بين أعضاء الحكام المرداسيين، استطاع معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس أن يهاجم حلب ليطرد ابن أخيه محمود منها، وأن يصل إلى درب البنات. وكان هذا نصراً.

درب البنات هو أحد أقسام حي الجلوم العريق لا يزال قائماً يلاصق مبنى البيمارستان الأرغوني من شماليه، ويقع أمام باب خان القاضي. وهو زقاق غير نافذ، لا يزال على حاله القديم بتعرجاته ومنعطفاته ودوره الجميلة. وقد ذكر المؤرخ ابن شداد أن خانقاها للنساء أنشأتها فيه زمرد خاتون وأختها بنتا حسام الدين لاجين وأمهما أخت صلاح الدين الأيوبي. وقد دثر، إلا أن مسجد بني شنقس أو سنقر كما تذكره المصادر لا يزال موجوداً إلى اليوم، وإن كان المصلون لا يذكرون اسمه فهم يعرفونه باسم محلتهم فقط.

لقد اهتم الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي بإيصال مياه قناة حيلان إلى الدرب المذكور عبر باب قنسرين وبرج الغنم.

وفي عام ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨ م ولي كمال الدين المعري للمرة الثانية قضاء حلب حتى عام ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م فتوفي، ودفن في داره في درب البنات. ثم نقلت رفاته إلى مقبرة الفردوس فيما بعد، لقد اهتم هذا القاضي بهذا الدرب، وعمل على بناء - خان القاضي - وستتحدث عن هذا الخان فيما بعد.

إن المتجول في درب البنات أو بوابة خان القاضي كما هو اسمه اليوم كما تجول المؤرخ الطباخ والمؤرخ الغزي قبل سبعين عاماً، يحاول التفتيش عن قصر بنات أم داود، كما يفتش عن خانقاه النساء التي بنتها أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي فلا يراهما. إلا أن مسجد بني سنقر لا يزال قائماً. ولا تزال الدور القديمة قائمة، وإن تغيرت بعض معالمها قليلاً. وإنه في كل حال يشم عبق التاريخ، ويستشف رؤى الماضي البعيد البعيد.

إن خان القاضي المقابل للدرب قد بني بعد ألف سنة منه ليكون أمام هذا الدرب القديم وفي حضرته. كما أن البيمارستان الأرغوني الملاصق له، والذي بني في ١٤٥٣م ليكون ذكرى للخانقاه الأيوبي. الخان والبيمارستان شاهدان على قدم الموقع. لكن الدرب أقدم بكثير.

اليوم، وما دام مجلس مدينة حلب يطلق الأسماء على الشوارع والأزقة والدروب هل يعيد لهذا الدرب العريق اسمه وتاريخه... ؟ من يدري ؟ !!!.

درب بني الخشاب او زقاق الفرن

كانـــت الأحـــياء والأزقة والدروب تسمى كما هي اليوم، في حلب وفي كل مكان في العالم، نسبة إلى مكان بارز هام له أثر في الحي، أو إلى شخصية تاريخية هامة لعبت دوراً مفيداً في الحي أو الزقاق نفسه. وتبقى التسمية، ولا تتغير أبداً إلا لظروف طارئة وهامة جداً ونادرة جداً، حتى إن إزالـــة الحـــي نفسه لا تستدعي إزالة الاسم، إذ يبقى الاسم تاريخاً للحي الجديد يدل على القديم. إن تغيير الاسم لا يتم بسبب نزوة أو تجديد - موضة - أو رغبة مهما كانت، فالتاريخ شـــيء مقـــدس. وأذكر أن زعيم الهند الراحل ألمهاتما غاندي رفض حذف وتغيير الأسماء التي أطلقهـــا المستعمرون الإنكليز في بلاده. وأكد أن هذه التسميات هي جزء من تاريخ الهند. وأن ملكـــة مصر الشهيرة حين استلمت الحكم حذفت، وغيرت بعض الأسماء والتاريخ. ولكن حتى الـــيوم تذكر الأسماء السابقة، وإن التسميات الجديدة مهما كانت، يمكن أن تطلق على مواقع جديدة وتبقى التسميات القديمة ملكاً للأجيال القادمة وللتاريخ وللعبرة و العظة والتوجيه.

مـــن دروب حلب القديمة في حي الجلوم، وحي الجلوم من الأحياء الكبيرة والعريقة، درب بني الخشاب. بنو الخشاب من الأسر الكبيرة القديمة في حلب عرفوا منذ حوالي ثمانمائة عام وسكنوا هذا الدرب ومنهم المؤرخ والإمام والقاضي؛ وتذكرهم المصادر التاريخية. منهم على سبيل المثال الحسن بن طاهر الخشاب المتوفى سنة ٦٤٨ هـــ - ١٢٥٠ م الذي عمر المسجد الأصفر والذي لا يـــزال قائمـــاً حتى اليوم. والقاضي ابن الخشاب وقف بوجه الغزو الصليبي لحلب ورده؛ وأعماله معروفة. وإلى جانبهم مسكن في الدرب نفسه عبد الله مشكور الحلبي ناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨ هـــــ - ١٣٧٦ م، والذي عرف بأعماله العمرانية؛ منها جر المياه إلى الجامع الناصري وبناء جامع باب قنسرين واهتمامه بالسجناء وغير ذلك، حتى إن بعض المصادر تذكر مدرسة بني العجمي التي بنيت عام ٥١٦ هـــ - ١١٢٢ م، كانت بين هذا الدرب ودرب الزجاجين المجاورة.

وقـــد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـــ ١٤٧٩ م وجود بيوت بني الخشاب ومسجد ابن مشكور والتربة الخشابية والفرن الأصفر. وأكد المؤرخ الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الذي أعيد طبعه مؤخراً، أن الشيخ مصطفى بن الشيخ إبراهيم الهلالي الدرعزاني الخلوتي المتوفى عام ١٣٣٧ هـــ - ١٩١٨ م قد عمر في الدرب المذكور في عام ١٣١٥ هـــ-

١٨٩٧ م زاوية، وترك فيها بعض القبور القديمة لبني الخشاب وأصبح يقيم الذكر فيها مساء كل يـــوم جمعـــة بعد أن كان يقيمه في المسجد الأصفر والذي لم يعد يستوعب أتباعه الذين زادوا. الـــدرب قائم حتى اليوم ضمن حي الجلوم والزاوية الهلالية بقاعتها الكبيرة. وأماكن الخلوة فيها قائمـــة إلى الآن أيضاً بالقرب من الدرب، يقام فيها الذكر كما كان بعد عصر كل يوم جمعة. وقبور بني الخشاب ما زال بعضها موجود منذ عام ٦٣٣ هـــ - ١٢٣٥ م.

حتى الفرن الأصفر لا يزال موجوداً، ولا يزال الجيل القديم يذكر اسمه كما كان، وقد لا يعرف الاسم العدد الكبير من الجيل الجديد.

لقـــد أصـــبحت التسميات حديثة تطلق على الدرب ولا تمت إلى القديم بصلة تارة؛ يطلق على الـــدرب اســـم زقاق الفرن وأخرى الجلوم عامة – وفي أحسن الحالات اسم الزاوية. حتى اسم زقاق أبي الدرجين الذي ذكره المؤرخ أبو ذر أيضاً لم يعد معروفاً إلا للبعض من الجيل القديم.

إن تسمية درب بني الخشاب التي نعيدها اليوم إلى هذا الحي القديم قد تكون للذكرى وللدراسة والـــبحث و للتعـــريف بـــتاريخ مديـــنة حلب القديمة. وقد تكون تذكرة للذين يطلقون الآن التسميات مجدداً على شوارع المدينة وأحيائها. فيعملون على إحياء مجد تليد وتاريخ عريق.

درب بني الديلم

حـــين دشنت دار الحكومة - التي بنيت في عهد الانتداب الفرنسي - في أوائل الأربعينات مقراً رسمياً للمحافظة، ثم بني فيما بعد قصر العدل وملحقه؛ لم تكن الأفكار حول الحفاظ على المدينة القديمـــة قد نضجت كما هي اليوم، إذ لم يدرس بناة دار الحكومة وقصر العدل أن هذه الأبنية الرسمية ستفرض على الآلاف من السكان والغرباء التوجه إليها كل يوم من الصباح وحتى انتهاء الدوام الرسمي ولتسهيل وصول هؤلاء الآلاف، ولتسيير السيارة التي تخط لها الشوارع والطرق في كل مكان، اضطرت الدولة إلى شق الشوارع عبر المدينة القديمة وتقسيمها وإقامة الأبنية العالية ذات الضرر البالغ على البنية التقليدية والنسيج العمراني للمدينة القديمة.

لقد شق الشارع الأول في جسم المدينة القديمة في عام ١٩٥٦ م ليؤمن الاتصال بواسطة السيارة بـــين الجامع الأموي وبين القلعة وبالتالي إلى دار الحكومة وقصر العدل، فهدمت عشرات الدور والمساجد والجوامع والأضرحة والأسواق والقيسريات والحمامات والمدارس. ولا تزال آثار هذا العمل التهديمي ماثلة إلى الآن في الجزء الشمالي من خان الوزير، والذي يجري ترميمه الآن، وفي البناء العالي الحديث الذي قام على الجزء الشمالي من خان الصابون - خان أزدمر - المملوكي، وفي البـــناء العـــالي الذي قام على أنقاض حمام الواساني أقدم حمامات حلب. ومن المعروف أن المدرســـة العصرونية أقدم وأهم مدارس حلب قد هدمت أيضاً. وقام محلها بناء عالٍ يطل على خان الوزير من الناحية الشرقية. كما هدم جزء كبير من بناء المطبخ العجمي، أقدم قصور حلب من القرن الثاني عشر، وشوهت واجهته الجنوبية، ووضع له الباب الحالي من القرن السابع عشر، والذي لا يمت إلى تاريخ البناء بصلة.

لقـــد هدم في هذا الشارع، درب بني الديلم موضوع حديثنا اليوم - والذي كان يمتد من باب الجامع الكبير الشرقي إلى عقبة الياسمين وكان من أهم مبانيه المدرسة الشرفية الحالية. وقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـــ - ١٤٧٩ م هذا الدرب، وأضاف أن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي قد أجرى قناة حلب لتصل إليه.

لقـــد نسب هذا الدرب إلى بني الديلم. وبلاد الديلم كما هو معروف بالقرب من أذربيجان - وربمـــا نزحوا من بلادهم إلى حلب في يوم ما. لقد كانوا من أشجع أهالي حلب أوكلت إليهم مهمة حماية قلعة حلب في العهد الحمداني. وحين هاجمها إمبراطور البيزنطيين نقفور فوكاس في

عهد سيف الدولة الحمداني عام ٣٣١ هـ - ٩٦٢ م. يذكر المؤرخ الحلبي المعروف ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب عن حصار البيزنطيين لحلب ما يلي ((... فمضى رجال الشرط وعوام الناس إلى منازل الناس وخانات التجار لينهبوها. فاشتغل شيوخ البلد عن حفظ السور، ولحقوا منازلهم فرأى الروم السور خالياً فتجاسروا. ونصبوا السلالم على السور. وهدموا بعض الأبدان، ودخلوا المدينة...)) ويتابع ابن العديم ((... فقتل الدمستق - إمبراطور الروم - معظم الرجال، ولم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعة.. ولم يكن على القلعة يومئذ سور عامر فإنها كانت قد هدمت... وكانت بها جماعة من الديلم الذين ينسب إليهم درب الديلم بحلب فزحف إليها ابن أخت الملك، فرماه ديلمي فقتله...)).

سكن هذا الدرب العريق قاضي حلب شهاب الدين أحمد المتوفى ٨٠٥ هـ - ١٤٠٢ م وعمر بن محمد البصير المتوفى سنة ١١٣٧ هـ - ١٧٢٤ م - وكان أستاذاً للشيخ عمر بن شاهين الرفاعي أحد أجداد أبي الوفا الرفاعي المعروف. كما سكنه بنو الترجمان أيضاً.

نتساءل اليوم ما ضرنا اليوم لو أعدنا الاسم التاريخي للشارع الجديد بدلاً من أن نطلق عليه أسماء كثيرة لا تمت إلى الماضي بصلة، فنعمل على إحياء تاريخ حلب العريق، ونجعله موضوعاً للدراسة، وعبرة وذكرى...

درب الزجاجين من دروب حي الجلوم

لا يمكننا الفصل بين تطور مدينة حلب القديمة العمراني وبين تطورها الاقتصادي وخاصة في التجارة والصناعة. ولقد ذكر الباحثون أهمية موقع المدينة على الطرق التجارية الدولية القديمة بين الصين في أقصى الشرق، وأوربا في أقصى الغرب عبر طريق الحرير. كما ذكروا اهتمام الحلبيين بالتجارة وبراعتهم فيها منذ أقدم العصور حتى قيل - أعرج حلب وصل إلى الهند -.

ولكن الذي لم يذكره الباحثون هو أن التاجر الحلبي ليس وسيطاً تجارياً فقط بل كان يحمل المصنوعات الحلبية إلى جانب المواد التي يتاجر بها. فقد اشتهرت حلب بالصناعات النسيجية والدباغة والخزف والأسلحة والزجاج، وقد عرف الزجاج الحلبي في أطراف العالم؛ حيث وصل التجار الحلبيون إلى الهند والبحر الأسود وإيطاليا وجنوب فرنسا. وسنعرض لكل ذلك في أبحاث مقبلة.

إن دراسة أسماء الأحياء القديمة تاريخياً يبين لنا انتشار الصناعة في حلب فقد كان لكل أبناء حرفة حي وسوق خاصة بهم كما كان اجتماعهم يشبه النقابة اليوم، يرأسهم شيخ المهنة أو شيخ السوق، ويشرف عليهم من قبل الدولة، العريف في العصر المملوكي.

لقد كان في حلب القديمة أكثر من مكان لصناعة الزجاج، وأكثر من بناء حمل اسم الزجاجين وهكذا..

من أقدم أماكن صناعة الزجاج في المدينة القديمة درب عرف باسم درب الزجاجين فيه أفران الزجاج التي كانت تنتج الزجاج الحلبي الذي طارت شهرته، وامتدت إلى دمشق حيث نشأت فيها صناعة الزجاج أيضاً.

يقع درب الزجاجين بين خان الشيباني - مستودع إدارة حصر التبغ سابقاً، ومركز الفنون حالياً - وخان صولا في محلة الجلوم الكبرى، ويعتبر من الدروب القديمة في حلب. وأقدم معلوماتنا عنه تعود إلى أكثر من ثمانمائة عام من اليوم. بنيت فيه المدرسة الزجاجية، وهي أول مدرسة بنيت في حلب بعد أن كانت قاعات الصلاة والزوايا في الجوامع والمساجد أماكن لتدريس الأولاد والصبيان. بنى المدرسة الزجاجية صاحب حلب في الفترة الأرتقية بدر الدين أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق في عام ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م، وجعلها على شاكلة المدارس النظامية

الـــتي بناها الوزير نظام الملك في بغداد، والتي عرفت في التاريخ بالمدارس النظامية نسبة إليه. وقـــد عـــرفت المدرسة المذكورة بمدرسة بني العجمي، حيث درَّس فيها شرف الدين بن العجمي المتوفى سنة ٥٦١ هـــ - ١١٦٥ م.

كما بنى في الدرب المذكور أحمد بن عبد الرحمن القصري مسجداً صغيراً في عام ٥٥١ هـــ ١١٥٦ م لا يزال قائماً بجانب خان الطاف من الجهة الغربية وتذكر الكتابة فوق الباب أنه عُمر في عهد محمد بن أيوب خليل أمير المؤمنين.

لقـــد كـــان لصناع الزجاج في الدرب نفسه حمام خاص، فقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـــ - ١٤٧٩ م وجود حمام الزجاجين.

لقـــد دثرت المدرسة الزجاجية، وبني في مكانها خان الطاف الحالي الذي بناه أحمد موتياب باشا بن مطاف أمير الأمراء بحلب والذي توفي عام ١٠٠٨ هـــ - ١٥٩٩ م. ويذكر الطباخ أنه بني ببعض أحجار المدرسة الدائرة، ولقد خصصت زوجة موتياب همايون خاتون الأوقاف العديدة للخـــان بـــوقفها المؤرخ في ٩٩٢ هـــ - ١٥٨٤ م، وفعل الشيء نفسه زوجها بصك وقفه المؤرخ في ١٠٠٤ هـــ - ١٥٩٥ م.

يظهـــر أن درب الـــزجاجين قد وسع فيما بعد فأخذ شكله الحالي، حيث يذكره المؤرخ الحلبي المعروف الشيخ كامل الغزي باسم الجادة الكبرى أمام خان الشيباني.

إن القلـــيل النادر اليوم يعرف تسمية درب الزجاجين إذ طغى اسم الجلوم الكبرى واسم خان الطـــاف وضاع اسم الدرب في غياهب التاريخ حتى إن الجامع الصغير الذي بناه القصري قبل أكثـــر مـــن ثمانمائة عام يعرف باسم خان الطاف، ولا يفكر أحد الداخلين إليه أن يقرأ اللوحة الحجرية التي تخلد القصري ومحمد بن أيوب خليل أمير المؤمنين والقائمة فوق باب الجامع اليوم وهي تعتبر من أقدم النصوص التاريخية في مدينة حلب القديمة.

حي الرمضانية في منطقة ميسلون

نحـــن نعـــيش التاريخ في تقاليدنا وعاداتنا وأسمائنا وفي بيوتنا التقليدية الرائعة وفي كل ناحية من نواحي حياتنا. التاريخ هو كل شيء في حياتنا ولولاه لما كان الحاضر ولا جاء المستقبل.

نحن نذكر تاريخ حلب كل يوم في ترداداتنا لأسماء الأحياء القديمة والتي لا يزال بعضها موجوداً. والـــويل لمن يطمسها. إذ يطمس تاريخاً عريقاً وهو في الواقع لا يستطيع. فالكثيرون يتمسكون بتاريخ بلدهم والدارس لتاريخ هذا البلد لا تعوزه الوثائق المتوفرة في كل زمان ومكان..

قـــبل ســـتمائة عام ونيف وفي فترة. قامت الدولة الرمضانية التي أسسها في الأناضول أحمد بن رمضـــان وهو من سلالة الأمراء التركمان وأصلهم من بلاد خوارزم. وقد حاربه في عام ٧٨٥ هـــ - ١٣٨٣ م نائب حلب يلبغا الناصري لخروجه على طاعة السلطان.

فقد أنشأ أحد أمراء هذه الدولة مدرسة في حلب عرفت باسم المدرسة الرمضانية؛ المعروف أننا لا نعـــرف الكثير عن هذه المدرسة سوى أنها هدمت بعد انقراض الدولة الرمضانية، عام ٧٩٠ هـــ - ١٣٨٨ م ونقل محرابها إلى جامع قسطل الحرمي وليس الحرامي - في عام ١١٣٣ هـــ - ١٧٤٠ م كمـــا نقلت منارتها إلى تكية الشيخ أبو بكر الوفائي - وأصبحت أرضها من جملة بستان كان موجوداً غربي المستشفى العسكري. وعرف ببستان الرمضانية، وليس كرم الكسمة كما يقال له اليوم.

وفي عـــام ٨٩٠ هـــــ - ١٤٨٥ م بنى برد بك - الذي أوصل قناة حلب إلى جامع قسطل الحرمـــي، وعرفت باسمه - قسطل الرمضانية. وأجرى له مياه القناة من فرع تكية بابا بيرم - هدمت مؤخراً وكانت تقوم أمام مدرسة حمدي المؤذن الحالية ويظهر أن جرها لم يكن شرعياً، فقد سدت في عام ١٢٧٥ هـــ - ١٨٥٨ م بحجة شرعية صادرة عن المحكمة الشرعية بحلب.

وقـــد بقي هذا القسطل حتى أوائل القرن العشرين، حيث يصفه المؤرخ الغزي فيقول : - فيه عوامـــيد صـــغيرة، وله إطارات محفورة وشعارات ومكتوبات.. - وقد نقل القسطل، وبني في أرض ســـوق الأحـــد، ومكانها اليوم حديقة ميسلون. ثم هدم ثانية، ونقلت بقاياه لتنضم إلى الأنقـــاض المتراكمة في مستودعات المتحف الوطني بحلب حسبما ذكره الدكتور أسعد طلس في كتابه الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب.

وحـــين جـــاء إبراهيم باشا المصري إلى سورية في عام ١٨٣٠ م وأعجب بمحلة الرمضانية بنى مستشفاه – المستشفى العسكري سابقاً – غربي تكية الشيخ أبي بكر الوفائي في المحلة المذكورة ويصـــفه المؤرخ الشيخ كامل الغزي بأنه أعظم مستشفيات سورية بسعته وكثرة غرفه وخلواته وبستانه وحسن موقعه ولطف مناظره.. – ويضيف – أن غرفه زادت خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ – ١٩١٨ م – كما يذكر أيضاً وله في جهته الجنوبية حمام ذكره المؤرخ الطباخ باسم الخســته خانة نسبة إلى كلمة مستشفى باللغة التركية – كان يفتح أبوابه في بعض الأحيان للناس غـــير العسكر – وأنه من الأهمية بمكان أن نذكر أن المؤرخ الغزي وقد أرخ لمدينة حلب في بداية القرن العشرين، وهو مرجعنا الرئيسي قد قال : – إن أسطحة المستشفى مفروشة بالقرميد الذي كان يصنع في معمل مبني في شماله. وقد رفع وفرش بدله بنوع من الصفيح ومعنى كلام المؤرخ الغزي أن معملاً للقرميد الذي يستعمل في غطاء سقوف الأبنية كان موجوداً في محلة الرمضانية أيضاً. واليوم يهدم المستشفى العسكري شيئاً فشيئاً، وتزداد الأبنية الحديثة حوله.

وبعـــد، ألا يحق لنا أن نؤكد أننا نعيش التاريخ كل يوم. إذ إن حي الرمضانية وقد أصبح حياً حديـــثاً تماماً وما بقي من آثاره القديمة في طريق الزوال بعد أن أهملت تكية الشيخ أبي بكر التي تحمـــل منارة المدرسة الرمضانية، وبعد أن تم هدم المستشفى العسكري. ومع هذا كله فلا يزال اسم الرمضانية موجوداً، ولا ندري ما مصيره مع التسميات الحديثة لشوارع حلب ؟ ؟.

زقاق الأربعين

يتساءل المرء، لماذا يهتم الناس منذ قديم الزمان بعدد معين فيرددونه دائماً، ويلعب دوراً بارزاً في حياتهم كالعدد سبعة. وكأن له سحر خاص منذ فجر التاريخ، فقد جاء في كتب التنـزيل أن الله خلق سبع سماوات وفي الحديث : سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله حتى إن الاستغفار يجب أن يكون سبع مرات وهكذا...

كما أن العدد " أربعين " يتردد كثيراً في حياتنا، فهناك أربعون شهيداً وأربعون مقاماً وأربعينية الشتاء ومثلها أربعينية الصيف، وباب الأربعين ومقام الأربعين وهكذا.

إن العدد في شكله البسيط مفهوم مجرد، إلا أنه شغل الفكر البشري منذ القديم ونحن هنا لا نريد أن نبحث في ذلك. ولكننا نقول إن العدد سبعة يعني تمام الشيء أو كماله كما أن العدد أربعين ورثناه عن الحضارات القديمة، إذ إن المصريين القدماء كانوا يحنطون جثة الميت أربعين يوماً..

إن انتشار استعمال العدد أربعين في حلب دفعني إلى البحث فرأيت أن هنا في حلب زقاقان يحملان اسم زقاق الأربعين في محلتين مختلفتين، أحدهما داخل السور والآخر خارجه. الأول في محلة العقبة داخل الأسوار يبدأ بجانب سوق المجيدية الذي أصبح يدعى سوق وطفة اختصاراً لكثرة العاملين فيه من هذه العائلة، وينتهي في قمة حي العقبة. ذكر فيه الشيخ كامل الغزي مسجد الأربعين. وهذا واحد من عدة مساجد تحمل نفس الاسم، وفيه مقام الأربعين – وربما جاءت تسمية الزقاق بسبب ذلك. ولا يعرف باني المسجد، إلا أنه جدد عام ١١٤٧ هـ – ١٧٣٤ م. كما ذكر الغزي قيسرية ومداراً وفرناً وسبعة عشر مصبغة كانت تستعمل مادة النيلة لصباغة الألبسة المخاطة بالقماش الخام الدرعوزي. وقد تبين لي أن الجامع لا يزال قائماً، غير أن مقام الأربعين – وهو ربما كان مدفناً جماعياً تحت الأرض – قد ردم مؤخراً كما ردم معه صهريج جمع ماء المطر وإن القيسرية قائمة أيضاً، إلا أنها حولت إلى معصرة للسمسم ومصنع لعمل الحلاوة، والمدار حوّل أيضاً إلى معصرة صغيرة، والفرن كما هو، وكذلك المصابغ قائمة، إلا أن العمل فيها عدا واحدة قد حول أيضاً.

لقد عرف زقاق الأربعين بأهميته لقربه من أسواق المدينة، فقد كانت فيه عيادات بعض الأطباء كما سكنه بعض المسيحيين مثل عائلة سابا عائدة التي انتقلت فيما بعد إلى حي الجديدة، وبنت منزلاً فخماً لها يعرف اليوم ببيت غزالة.

أمـــا زقـــاق الأربعين خارج الأسوار فهو لا يزال قائماً في حي الجديدة يصل بين محلة الهزازة وســـاحة الحطب. وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان سليم العثماني الذي أنهى حكم المماليك في حلـــب عـــام ٩٢٢ هـــــ - ١٥١٦ م أتى بأربعين أسرة مسيحية من التجار ومثلها من المســـلمين وأسكنهم هذا الزقاق الذي يسكنه حتى اليوم المسيحيون والمسلمون. ولا ننسى أن عـــادة نقـــل التجار معروفة في التاريخ. فقد قام الاسكندر الكبير المكدوني بذلك، فنقل التجار السوريين، وأسكنهم مناطق متعددة في إمبراطوريته الضخمة..

في هذه المناسبة نذكر باب الأربعين أحد أبواب حلب المندثرة - سنعود إلى بحثه مفصلاً - فقد سمـــي بـــذلك لأن أربعـــين محدثاً أو شريفاً خرجوا منه، وقيل أيضاً أن أربعين ألفاً من الجنود خرجوا، و لم يعد سوى واحد منهم.

إن القلـــيل مـــن أحياء حلب لا تزال تحتفظ باسمها القديم. وهذان الزقاقان من بينهما. ويعود تاريخهما إلى أكثر من أربعمائة عام خلت. ومن الطريف أنهما احتفظا بنسيجهما العمراني حتى الـــيوم ســـوى أن بعـــض الفعاليات فيهما قد تغيرت وهذا أمر طبيعي يحدث على مر الأزمنة المتعاقبة.

درب السبيعي

الحلـــبي فخور دائماً بماضي مدينته العريق، يعلم أنها كانت يوماً عاصمة بني حمدان، وأن سيف الدولة الحمداني جعلها قاعدة لانطلاق جنده لمحاربة الروم، وقد خلد الشاعر أبو فراس الحمداني، حلـــب وســـيف الدولة في أشعاره التي لا نزال نرددها إلى اليوم في مدارسنا ومجالسنا وفي كل مناســـبة قومية. كان الروم يهاجمون حلب ويوقعون بها أضراراً، إلا أن سيف الدولة سرعان ما يهتم بإعادة بنائها. فقد حصن قلعتها وأبراجها وأسوارها، واهتم بأبواب المدينة وبنى الكثير من الأبنية لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم.

إن دروب حلب القديمة أيضاً تحفظ لنا ذكرى هذا الفارس المغوار، فبين جامع البهرمية المعروف وأطـــلال البيمارستان النوري، يقوم درب السبيعي الذي ينسب إلى الحسن بن أحمد بن صالح الســـبيعي الحافظ الهمذاني الحلبي المتوفى سنة ٣٧١ هـــ - ٩٨١ م. سمع هذا الدرب خطوات ســـيف الدولة وارتياده له، فقد كان الحسن من أصدقاء سيف الدولة يزوره في داره، ويجالسه وقد ألف الحسن بعض الكتب له.

إن درب الســـبيعي هو أحد الدروب التي تتفرع عن أسواق المدينة القديمة لا بل كان من أهمها وأفضلها إذ حين أصبح الملك العادل نور الدين محمود الزنكي ملكاً على حلب في عام ٥٤١هـــــ - ١١٤٦ م أراد أن يـــبني مدرســـة للطـــب ومستشـــفى؛ وهو ما ندعوه اليوم - البيمارســـتان. تقدم إلى الأطباء، وطلب منهم أن يختاروا من حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارســـتان بها، فذبحوا خروفاً، وقطعوه أربعة أرباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً. فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الذي كان في درب السبيعي، فبنوا البيمارستان النوري فيه ولا تزال آثاره قائمة إلى اليوم وستعمل مديرية الآثار على ترميمه قريباً. كما ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـــــ - ١٤٧٩ م حمامـــاً بدرب السبيعي. وحدثنا الطباخ فقال إنه خراب، لكن آثاره باقية. وحـــين ولي بهرام باشا ولاية حلب خلال الحكم العثماني بنى جامعه - البهرمية - في رأس هذا الـــدرب في ســـنة ٩٨٨ هـــ - ١٥٨٠ م، وكان حينها من أجمل جوامع حلب وأهمها. فقد درب الســـبيعي اسمـــه ودعي بدرب البهرمية أو زقاق البهرمية. وبقي هذا الاسم إلى أن قام أحمد أفـــندي بـــن طه أفندي زاده الملقب بالجلبي ببناء مدرسته الرائعة المعروفة بالمدرسة الأحمدية في عام ١١٣٦ هـــــ ١٧٢٣ م، وهـــي قائمة إلى اليوم وكأنها بنيت البارحة، وجعلها مدرسة ومدفناً

ومكتـــبة عامـــرة مليئة بالمخطوطات النفيسة. نسي الناس اسم درب البهرمية وأطلق عليه اسم درب بـــني الجلبي، وبقيت هذه التسمية طالما أن المدرسة الأحمدية التي دفن فيها كبار عائلة بني الجلبي بقيت مزدهرة ومنارة للعلم والعلماء.

وفي النصـــف الثاني من القرن العشرين انطفأت شهرت هذه المدرسة وتضاءلت أهميتها العلمية بـــنقل مخطوطاتها إلى المدرسة الشرفية العائدة إلى مديرية الأوقاف، وعاد إلى الدرب اسمه السابق وأصبح اليوم يعرف بزقاق البهرمية..

إن درب الســـبيعي أو زقاق البهرمية يحفظ هذه الذكريات ويحفظ أيضاً داراً جميلة جداً سكنها القنصل الإيطالي صولا وعائلته وهي مدرسة إنطاكية اليوم، وتقوم أمام بناء البيمارستان النوري وتعتبر جزءاً من تاريخ علاقات حلب الدولية إبان ازدهارها الطويل.

إن دربـــاً كهذا يحمل تاريخاً حافلاً لهو دليل على عراقة هذه المدينة التي لا تزال تحتفظ بتاريخها وأوابدها ماثلة أمام أعيننا.

لنقم إذن بزيارة متأنية – ونتذكر، فلعل الذكرى تنفع.

زقاق الخواجة

لماذا لا نستقرى التاريخ في كل أعمالنا ؟. أليس التاريخ هو من أقدم العلوم الإنسانية التي انصرف الإنسان إلى الاهتمام بها ؟؟ ولا نزال به نفهم الحاضر ونصنع المستقبل ؟ سؤال يجب أن يخطر في بال كل مثقف وخاصة حين يريد أن يعرف ماضي مدينته وحاضرها ومستقبلها أيضاً.

خطر لي هذا وأنا أريد الكتابة عن زقاق الخواجة، أحد أزقة حلب القديمة ضمن الأسوار في حي العقبة، عقبة بني المنذر؛ فيه جامع كان قد عمّر أيام الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. هذا الزقاق يتعامد مع سوق البهرمية في المدينة، وتوجد فيه حمام الفقاس حاليا، ومسبح الأدنى وعشرات المحلات التجارية. إن أحد الساكنين أو العاملين فيه لا يعرف اسمه، وهو اليوم زقاق أرطولو، ولا أدري من أين جاء هذا الاسم.

الخواجة كلمة فارسية تعني مربى أولاد الأمراء وقد لفظها الحلبيون خوجة والدمشقيون خجا، وفي تاريخ حلب أكثر من خواجا، من أهمهم : الخواجا أحمد بن تيمور الملطي له أوقاف كثيرة في حلب وعنتاب، توفي عام ٨٤٦ هـ - ١٥٣٩ م. وآخر بنفس الاسم توفي عام ٩٤٤ هـ - ١٥٣٩ م وجامعه في حي البياضة، وقد وصفه المؤرخ الغزي بأنه عين تجار حلب وأحد فضلائها. ترى إلى أي منهم ينتسب الزقاق كما ينتسب الحمام أو الجامع فيه. ؟ وإن الثلاثة قد لقبوا بالملطي، وقد يكون أصلهم من جزيرة مالطة والتي لها صلات تجارية مع حلب منذ القديم.

في رأس الزقاق من الجهة الشمالية الذي يتصل بالمنطقة السكنية يوجد مسجد موجه شرقاً يدعى مسجد ديك العرش، ولا نعرف سبب التسمية ذكره المؤرخ الشيخ الغزي، وذكر أن أحد أئمته أبو بكر أحمد عبد الله الحلبي الجلومي توفي عام ٩٨٦ هـ - ١٥٦٠ م وإلى جانبه باتجاه الجنوب يوجد سبيل ماء مستخرج من جامع الخواجا مغلق، ولا تزال آثاره قائمة. ثم إلى جانب السبيل من جنوبه يوجد جامع الخواجا : ذكر المؤرخان الحلبيان الغزي والطباخ أنه عُمر أيام الملك الظاهر غازي، ثم دثر فجدده عز الدين أيدمر بن عبد الشماع في سنة ٧٤٣ هـ - ١٣٤٢ م. وفي جدار الجامع كتابة تفيد كما يوجد حجر فوق الباب يذكر أوقاف الجامع في سوق التتن المجاور؛ وحين توهن الجامع، ولئلا يندثر، بادر الحاج خليل كريم في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م بترميمه. وشاركه في نفقات الترميم سكان المحلة وذكر الغزي اسم الحاج عبد القادر ميسر الذي دفع حصته ليرات عثمانية ذهباً...

أمـــام الجامع كانت توجد حمام الخواجا الملطي، ويذكر ابن الشحنة المتوفى ٨٩٠ هـــ - ١٤٨٥ م أنهـــا كانت من الحمامات العظام، هدمت وأصبح بدلاً منها حديقة، واليوم يوجد مكان الحمام خـــان صـــغير وبـــركة سباحة يرتادها الأولاد في الصيف، كما توجد حمام الفقاس، ويذكر المتقدمون في السن أن حمام الفقاس بنيت على أنقاض حمام سابقة في عام ١٩٢٩ م. إلى جانب جامـــع الخـــواجا كـــان يوجد مسجد له مدخلان وأحد عشر ردهة للمرضى وأربعة آبار ماء وثـــلاث فسح سماوية كان أبناء الطائفة اليهودية بحلب يرتادونه، وقد أصبح اليوم كل قسم فيه مخزناً مستقلاً لاستصناع أكياس الخيش وترميمها. وأخيراً وبجانب سوق البهرمية يوجد المسجد الصغير، وقد أنفق على ترميمه وترتيب نفقاته محمد محمد مهروسة، وقد يأتي يوم فيسمى باسمه.

إن زقاق الخواجا أضاع ذكرى الظاهر غازي معمار حلب الكبير، وأضاع اسمه، وقد نفتش له يوماً عن اسم حديث جداً فهل. يصح هذا ؟؟؟

زقاق الصليبة في أحياء :
الجلوم والمشارقة وبنقوسا والتلل والجديدة

إن البحث في أحياء حلب وأزقتها وبواباتها مع ما يتطلبه من جهد واستقصاء للمعلومات والتي لا تتوفـــر أحياناً في كتاب أو مخطوط، يقودنا إلى نتائج هامة تتناول تخطيط المدينة وتطورها عبر القرون والسنين؛ كما يتناول الحياة البشرية فيها كانتقال السكان واستقرارهم في أحياء قديمة أو حديثة. وبكلمة واحدة يقودنا هذا البحث إلى تاريخ المدينة عبر العصور. حين فكرت في الكتابة عـــن حـــي الصليبة اعتقدت أن الأمر لن يتجاوز الحديث عن حي الصليبة في منطقة الجديدة، ولكني فوجئت بعد البحث الجاد بمعلومات هامة جداً.

يـــوجد في حلب أكثر من زقاق أو حي باسم الصليبة، منها ما هو داخل الأسوار ومنها ما هو خارجهـــا. فزقاق الصليبة داخل المدينة القديمة، ويمكن أن يكون هو الأقدم، هو الزقاق الموجود في حـــي الجلوم الكبير وعلى الضبط في منطقة تقاطع أو تصالب الأزقة التالية : زقاق المخازن وزقاق درويش إسماعيل وزقاق عربي كاتبي وزقاق الزاوية الهلالية. وكما نعلم فإن تخطيط حي الجلوم تخطيط شطرنجي وهو يعود إلى بداية تكوين مدينة حلب في القرن الرابع قبل الميلاد، بينما تخطـــيط بقية الأحياء القديمة مختلف تماماً تسوده المنعطفات والبوابات.. وفي زقاق صليبة الجلوم يـــوجد أكثـــر مـــن مبنى أثري : فهناك سبيل مملوكي مجدد في عام ١٢٥٠ هــ - ١٨٣١ م وينسب إلى محمد وفا كما تفيد الكتابة على بابه، ويوجد فرن الصليبة ومدار يطلق عليه مدار أفـــتل وهو من أوقاف الزاوية الهلالية القريبة، كما يوجد مسجد الزيتونة الصغير وبقايا أعمدة بازلتـــية لابد أنها جلبت من كنيسة الشيباني القريبة. أما أوقاف الزقاق فكانت لعايشة بنت عبد الله الحلاج وتاريخها ١٢٦٥ هــ -١٨٤٨م.

أمـــا الصليبة الثانية فهي في الحارة الفوقانية في حي المشارقة في المكان السابق لانطلاق سيارات الـــبولمان أمـــام مشـــروع القصر البلدي. والصليبة الثالثة في حي بنقوسا، وفيها أوقاف لجامع المستدامية، كما ذكر المؤرخ الغزي.

والصليبة الرابعة، وهي الأحدث، فهي الصليبة الكبرى في حي الجديدة. وهي من القرن الخامس عشر وما زالت كما هي.

أمـــا الصليبة الصغرى وهي الأكبر فتمتد غربي حي الهزازة، وهي من القرن التاسع عشر ١٣٠٠ هـــ - ١٨٨٢ م. ويذكر المؤرخ الغزي أنها عرفت أولاً باسم محلة التلل، ويحددها بجـــادة الـــساعورة جنوبي بستان الشاهبندر خلف شارع بارون إلى بستان كل آب ثم إلى برج الســـاعة في حضرة باب الفرج كما يقول إلى محلة العزيزية. وأقدم أبنيتها بناء جرجي بن سمعان الخياط الذي هدم مؤخراً وعمارة نصري البلدي وأوتيل روض الفرج..

والســـؤال لمـــاذا سمـــيت هذه الحارات والأزقة باسم واحد الصليبة، مع أنها متباعدة في المكان والزمان.

لا شـــك أن أشكال هذه الأزقة مختلفة عن الأزقة الأخرى فهي متصالبة بشكل واضح لا عوج فيها كغيرها، ومنذ العهد الروماني دعي تقاطع الشوارع بالمصالبة التيترابيل كما في تدمر وأفاميا وغيرهـــا. وكما ذكرت فإن بعضها أقدم من البعض الآخر؛ فصليبة الجلوم قديمة ثم تأتي بعدها صـــليبة بانقوســـا ثم صليبة المشارقة ثم صليبة الجديدة وأخيراً صليبة العزيزية، ونرى أن سكان صـــليبة الجلوم قد نزحوا يوماً منها إلى صليبة الجديدة وتبين لنا هذا لدى سؤالنا السكان كبار السن في الجلوم.

أما علاقة التسمية بسكنى الطوائف المسيحية فيجب أن ندرك أولاً أن المسيحيين كانوا يسكنون إلى جوار المسلمين في كل أنحاء المدينة، وكثير من أحيائهم التي سكنوها كالشرعسوس والقبب وأقيول والسبع عوجات والبسارنة والجلوم لا تحمل اسم الصليبة؛ والمسيحيون المسجلون في حي الجلوم ربما يفوق عدد المسلمين وإن عدداً من العائلات المسيحية كانت تسكن صليبة الجلوم إلى عهد قريب مثل ستيبان وكنيدر وكنيدي وحلاق وبرغل وغيرهم ثم نزحت إلى أحياء حديثة.

إن بحـــثاً متأنـــياً في دفاتر السجل العقاري والمدني القديمة المكتوبة باللغة التركية القديمة وحتى الأحدث منها يوضح هذه الأمور ولنا عودة إلى هذا الموضوع.

زقاق الطويل

الدارس لأحياء وأزقة حلب القديمة العريقة في تاريخها الطويل يكتشف تاريخاً حافلاً بالأحداث والبطولات، وبالمآسي والصراع الوطني ضد الاستبداد.

لقـــد مرت على هذه المدينة الصامدة جحافل الغزاة البيزنطيين، ثم شراذم الصليبيين، وبعدهم هولاكو وتيمورلـــنك. وفي كل مرة تعود هذه المدينة إلى النهوض، وتتابع مسيرتها الطويلة. وإن شعبها الذي دفع جميع هذه الاعتداءات اكتسب على مر الزمن خبرة وتمرساً ضد العدوان أياً كان مصدره.

إن الحكم العثماني الذي دام أربعمائة عام في ربوع هذا الوطن، ترك بصماته على دروب وأزقة هـــذه المديـــنة، وإن ظلم الولاة العثمانيين، وسوء تصرف حاشيتهم خلق رد فعل عنيف لدى الحلبيين، فقامت ثورات عارمة، وكان لهم فيها جولات وبطولات.

حـــين اعتلى محمود الثاني عرش السلطنة في إستانبول عام ١٢٢٣ هـــ - ١٨٠٨ م أراد أن يقضي علـــى الانكشارية في كل أنحاء سلطنته، وبعضهم كان قد استوطن مدينة حلب واستقر بين أهليها، كما فرض ضريبة تدعى خراج الدور. فإذا أضفنا إلى ذلك سوء إدارة والي حلب خورشيد باشا والمتســـلم فيها، أدركنا لماذا ثار أهالي حلب عام ١٢٣٤ هـــ - ١٨١٩ م وحاصروا الحامية العثمانية في القلعة، كما هاجموا مقر الوالي في هضبة - الشيخ أبو بكر - وقد اشتركت في هذه الثورة جميع طوائف حلب التي تعاني من فساد الإدارة ما عدا اليهود، بينما بقيت الجالية الأجنبية على الحياد.

إنـــنا لسنا في صدد الحديث عن الثورة تفصيلاً، غير أننا سنتحدث عن أحد أزقة حلب والذي كان بمثابة ميدان قتال عنيف، وخط دفاعي بين الحلبيين وبين جند الوالي والنجدات التي أتته من المدن والولايات المجاورة. لقد كان زقاق الطويل والذي لا يزال يقوم حتى اليوم بين دوار شارع أقيول الحديث من جهته الشمالية القريبة من محلة الشيخ أبو بكر وبين ساحة قسطل الحرمي - لـــيس الحرامـــي - هو ميدان الصراع العنيف. فقد هاجم الثائرون المتسلم، ثم منازل الجند في الزقاق المذكور، وانطلقوا منه شمالاً لمهاجمة مقر الوالي، واحتدم القتال بين الطرفين، وحين ينجح جند الوالي بهجومهم يحتلون الزقاق، ولكن الحلبيين سرعان ما يستردونه، وهكذا دواليك.. إلى أن ســـقط الزقاق في يد الوالي والقوات التي أتت إلى نجدته في أوائل عام ١٢٣٥ هـــ - ١٨٢٠ م وفشلت الثورة.

لا يـــزال هذا الزقاق قائماً، ويحتفظ باسمه التاريخي؛ وهو طويل فعلاً بالمقارنة مع الأزقة الأخرى في المديـــنة القديمة. وإن أزقة صغيرة ضيقة تتفرع عنه تدعى بالاسم نفسه. ويطلق القاطنون فيه اسم الملك سيف على القسم الرئيسي منه. ولا ندري من أين جاؤوا بهذا الاسم إذ ليس له أي مصـــدر تاريخـــي متوفـــر حتى اليوم. وربما جاء الاسم من الروايات التاريخية العربية التي تمجد البطولات القديمة...

في الـــزقاق جامع الابن ويعود إلى الفترة المملوكية؛ يدّعي أهالي المحلة أن ابن باني جامع قسطل الحرمـــي هـــو الذي بناه، بينما يذكر المؤرخ الغزي أن ثلاثة أخوة أبناء ناصر الدين أحد أمراء المماليك بحلب هم الذين بنوا مئذنته..

لا يزال هذا الزقاق يحافظ على حالته القديمة وإن بعض حجارة أرضيته السوداء من البازلت قد جددت في الثلاثينات من هذا القرن بينما بقيت الحجارة البيضاء القديمة في مكانها. ومما يميز هذا الزقاق ستائر الأسطحة القرميدية القديمة على شكل خلايا النحل التي تفصل بين أسطحة الدور وأكشاكه الخشبية الرائعة ودورها الجميلة التي زخرت أواوينها بالزخارف الحجرية الجميلة التي تعجـــز صواريخ الحجارين الأوتوماتيكية اليوم عن عمل مثلها. وفي الطرف الشرقي من الزقاق وجـــدت خانـــات متعددة للتجارة أزيلت مؤخراً بعد فتح الشارع الحديث الواصل بين باب الحديد ومركز التدريب المهني أمام جامع ميسلون ما عدا واحداً منها أصبح مطحنة، ثم أغلقت مؤخراً...

سكن الزقاق جميع الطوائف. ولجأ إليه بعض الأرمن في أوائل القرن العشرين. ولولا بعض الأبنية الحديثة التي قامت فيه مؤخراً لاستطعنا أن نقرأ بوضوح على كل حجر فيه أخبار ثورة الشعب الحلبي ضد سوء إدارة الوالي العثماني وحاشيته وهزيمتهم...

حي ساحة بزة

لكـــل مدينة نكهتها التاريخية التي تسهم في إعطائها هويتها الحضرية المتميزة. وحلب من أقدم المـــدن في العالم، ما تزال تحتفظ بأصالتها الحضارية تاريخياً وعمرانياً. وقد تتشابه مع غيرها من مـــدن تاريخـــية وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط، إلا أنها تتميز بالحفاظ على مخططها العمراني القديم الذي يبدو للبعض وكأنه نشأ عشوائياً؛ مع أنه نظم وفق أصول تاريخية عرفت بها المدينة العربية والتي دخلها الإسلام، فترك بصماته عليها إلى اليوم.

إنـــنا إذا تجاوزنـــا تخطيط المدينة القديمة الذي يعتمد التخطيط الشطرنجي وهذا واضح في امتداد الأســـواق وموازاتها بعضها لبعض وتعامدها، وكذلك المدينة السكنية المجاورة لها كحي الجلوم ووصلنا إلى الأحياء السكنية ضمن الأسوار لرأينا تخطيطاً مدروساً لا يزال قائماً إلى اليوم منذ أكثر من ألف سنة. ففي حي ساحة بزة المجاور لقلعة حلب من الجهة الشمالية، وهو حي واسع جـــداً يضم معه محلة السفاحية؛ تقوم ساحة عامة تعرف بساحة بزة وإليها ينسب الحي بكامله. إن هذه الساحة والتي تتجه إليها ستة شوارع : شارع إسماعيل باشا وزقاق الزق وشارع الفرن وزقـــاق الـــنخلة وشارع السوق وجنينة الفريق؛ وتحيط بها محلات : قلعة شريف وداخل باب قنســـرين والجلوم الكبرى والفرافرة والتونبغا وحارة الأعجام والمغازلة. هذه الساحة تلعب دوراً هاماً في حياة المحلة، فهي مركزها وهي واسعة تستوعب حركة سير وبيع وشراء فضلاً عن أنها مركـــز لتجمع سكان الحي في المناسبات، يحيط بها جامع وقسطل وحمام فضلاً عن سوق للبيع والشراء.

لم تكن الساحة مغلقة على نفسها أو بعيدة عن مركز المدينة وأسواقها الكبرى، بل كانت على العكس من ذلك محور مرور من خارج إلى المدينة إلى داخلها عبر الأسواق؛ ومن المعروف أن في حلب القديمة أكثر من محور عبور من خارج المدينة إلى داخلها، مثال ذلك : محور باب قنسرين ومحـــور بـــاب النصر ومحور باب المقام ومحور باب النيرب وأخيراً محور ساحة بزة الذي يتيح الدخول إلى الداخل إلى مركز المدينة من باب الأربعين الذي دثر منذ مدة طويلة.

ولمـــا كانـــت هذه الساحة من الأهمية بمكان، إذ كانت مركز تجمع بشري كبير؛ فقد تم توسع مديـــنة حلب في جهتها فبعد أن كان سور المدينة يمر بجانب جامع الطواشي المجاور لساحة بزة أصبح بعيداً، وظهر باب النيرب والسور الجديد المتصل به وبقيت للساحة أهميتها، إذ لا يوجد

في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة ساحة أخرى تضاهيها سوى ساحة الملح، والتي لم يعد لها وجود بعد أن فتح الشارع الجديد المؤدي إلى قصر العدل فيها.

إننا لن نتحدث اليوم عن المحلة نفسها، وسيقتصر حديثنا عن الساحة فقط لنبرز أهميتها كموقع تاريخي ودورها في تخطيط المدينة.

إن ساحة بزة وجاء اسمها ربما من البزازين صانعي وبائعي البز أي القماش؛ ساحة واسعة لولا الأبنية الطفيلية التي قامت فيها. تحيط بها أبنية الخدمات العامة التي تؤمن الخدمات للقاطنين في الأحياء المجاورة؛ ففيها الحمام - ويعرف أيضاً بحمام الحمداني - ولا ندري سبب التسمية يعتبر من أجمل حمامات حلب المملوكية في القرن الثالث عشر الميلادي وخاصة مدخلها المزين بالمقرنصات الجميلة، وقد شوه معظمها من قبل أهالي المحلة فضلاً عن إهمال الحمام الذي يسبب انهياره شيئاً فشيئاً؛ وإلى جانب الحمام قسطل الخريزاتي، وسمي بذلك لقربه من مسجد الخريزاتي وزاويته وقد بنى القسطل نائب حلب قانصوه اليحياوي عام ٨٨٣ هـ - ١٤٨٧ م وهو من مماليك السلطان جقمق وقد تصدر رنكه جدار القسطل، ويحوي رموزه : البقجة والكأس والسيف والدواة والمقلمة وهو الرنك الوحيد في حلب الذي يضم السيف، دلالة على أهمية هذا النائب ووظائفه الكثيرة تجاه السلطان.

أما الجامع في الساحة فهو بعيد عن مدخل الحمام وهذا من تقاليد المدينة الإسلامية؛ وهو جامع الشيخ أبو بكر الخريزاتي ومزاره إلى جانبه.

لقد أصاب الساحة كما أصاب حلب كلها زلزال عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١ م، فدمرها، ولكنها استعادت أهميتها بسرعة، وسكنتها جميع الطوائف وجددت أرضيتها بالبلاط البازلتي الأسود في حين بقيت حجارة الأزقة المجاورة بيضاء وبقيت فيها شجرة التوت المعمرة وقديماً قيل - خشب التوت لا يموت - وكذلك فإن حلب الخالدة لن تموت مهما أثخنت بالجراح وستبقى أوابدها الأثرية حية، وخاصة أحياء هذه الساحة التي كانت تضم دار السلطان صلاح الدين الأيوبي ودور بني الشحنة وغيرهم ولنا حديث آخر.

حي ساحة الملح

في الحديث السابق تناولنا في البحث موقع ساحة بزة، وبيّنا أهميتها في تخطيط مدينة حلب القديمة بشــكل عــام وتخطيط حي ساحة بزة بشكل خاص، وتبين لنا أيضاً أهمية الساحة من النواحي العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة إذا ما قمنا بمقارنة بسيطة بين الأحياء القديمة والأحياء الحديــثة. ففــي الأحياء الحديثة لا تتوفر المساحات الواسعة الضرورية لحياة السكان وكثافتهم العالية في الأبنية الطابقية المرتفعة. وإذا أردنا أن نقوم بمقارنة سريعة لرأينا أن المساحات الفارغة في أرقى أحياء المدينة الحديثة وأقلها كثافة سكان. هي أقل بكثير مما يوجد من ساحات فارغة في المدينة القديمة : ساحات الدور وفسحة الشوارع الخاصة بالإنسان، والساحات العامة.

في حلــب القديمــة أكثر من ساحة وحديثنا اليوم عن ساحة الملح والتي لم تعد موجودة اليوم كساحة إلا بالاسم فقط بعد أن فتح الشارع العريض بين حي جب القبة وبناء مديرية الأوقاف الحالي.

لقــد كانــت هذه الساحة تشابه ساحة بزة بأبنيتها العامة والخاصة وكانت تتميز عنها بكونها ســاحة خاصة ببيع كميات الملح الكبيرة التي ترد إلى حلب من مملحة الجبول ومنها توزع إلى باقــي أحياء المدينة وإلى المدن الأخرى. عرفت ساحة الملح في القديم باسم الميدان الأسود، وفي حلب أكثر من مكان يوصف باللون الأسود والذي يعني في الواقع المكان الذي يوجد فيه بقايا الــرماد الأســود رماد المواقد التي كانت تتوسط البيوت منذ الألف الخامس والرابع قبل ميلاد الســيد المســيح أي قــبل ستة أو سبعة آلاف سنة من اليوم. ويعني هذا وجود مكان التجمع البشــري قبل آلاف السنين في حلب مثل تلة السودا. وحين أراد المقر الأشرف العالي العلائي ألطنــبغا الناصري نائب حلب أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣١٨ - ١٣١٩ م بناء جامعه، اختار هذا الميدان لبنائه وعرف الجامع باسم جامع ألطبغا الناصري ولا يزال موجوداً إلى الآن كمــا عرف باسم جامع الساحة. إن اختيار المكان تم بناءً على دراسة عمرانية، فهو يجاور الســاحة، كما يجاور السور والخندق الذين عرفا باسم سور وخندق الروم، لأنه كان موجوداً منذ عهد الروم البيزنطيين أي من القرن العاشر الميلادي بعد ظهور الإسلام. وقد رمم السور في عهــد السلطان قايتباي عام ٩٠٣ هـــ - ١٤٩٧، ١٤٩٨ م وفي عهد قانصوه الغوري آخر الســلاطين المماليك قبل مجيء العثمانيين في عام ١٥١٦ م. لم يأخذ الجامع فراغ الساحة كله، كان

يوجد إلى شماليه خانقاه يتبع الجامع. ويذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أن الخانقـــاه استعمل فيما بعد مخزناً كبيراً للملح، ويضيف أن أجرته كانت تصرف إلى المرتزقة الفقراء.

لقد كانت الساحة فضلاً عن كونها سوقاً كبيرة لبيع وتوزيع الملح فهي كانت محور دخول إلى المدينة عبر باب النيرب وخندق الروم؛ وقد ذكر أكثر من مؤرخ وجود جسر على الخندق للخروج من المدينة كالجسر الذي كان على الخندق بجانب باب النصر والأبواب الأخرى. كان يحيط بساحة الملـــح سبيل وبئر ومسجد عرف باسم مسجد المزوق، غير أن زلزال عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م الكـــبير قـــد دمر أبنية الساحة كما دمر خان الشونة المجاور؛ وقد بنيت بعد الزلازل زاويـــة أبي الجدائل عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤، ١٨٥٥ م. ولم ترمم الأبنية الأخرى المتضررة كخـــان الشونة والحمام الناصري إلا في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م. لا نرى اليوم ساحة الملح. وقد زالت، وقد كانت ساحة مستديرة كساحة بزة أو ساحة التنانير أو غيرها إلا أن اسمهـــا بـــاق ولا يزال القاطنون في هذا الحي الذي أصبح حديثاً يذكرونها؛ وإن طغى عليها الشارع العريض الذي تمر فيه آلاف السيارات يومياً، ويخشى المشاة عبوره أو الوقوف فيه وقد حرموا من التمتع بالساحة التي أزالها.

حي التلل

إن البحث في نشوء وتطور أحياء حلب القديمة والحديثة ضروري جداً لمعرفة تاريخ المدينة بل ومستقبلها أيضاً. وإن هذا البحث قد استأثر باهتمام الدارسين لتخطيط المدن وتطورها. وتعتبر حلب من أفضل المدن القديمة لهذا النوع من الدراسة؛ حيث لا تزال تحتفظ بأوابدها التاريخية عبر تاريخها الطويل منذ خمسة آلاف عام وحتى اليوم.

إن في دراسة حي أو محلة أو زقاق أو بوابة الكثير من المعلومات، وهي : تاريخ الأشخاص وتاريخ البناء، وبالتالي تاريخ حلب. وسأتناول الحديث اليوم مركزاً تجارياً يعد من أهم المراكز التجارية في حلب، وهو شارع التلل : متى نشأ؟ وكيف توسع؟ وما سبب التسمية؟ وما مستقبله ومستقبل المنطقة المحيطة به ؟

لقد كانت منطقة التلل خارج أسوار حلب بالقرب من باب الفرج الذي عاد مع أبراجه إلى الظهور مؤخراً. وأول بناء قام فيها في عام ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠، ١٥٤١ م يعرف بالهوكيدون، ومعناه دار الأرواح، يترل فيه العابرون مدينة حلب الآتون من الشمال من منطقة الأناضول والمتوجهون إلى الجنوب، وخاصة الحجاج الذين يتوجهون إلى بيت المقدس لأداء فريضة الحج وكان زبائنه من الأرمن. وهذا ما يوضح الكتابات الموجودة على أبواب غرف هذا المترل.

ولما كانت منطقة التلل خارج عمران المدينة فقد كان أصحاب الحمامات ينشرون الزبل عليها تمهيداً لجفافه لحرقه في قميم كل حمام. فكانت كميات الزبل الكثيرة تشكل تلالاً، وعرفت المنطقة باسم مناشر الزبل، أو تلال الزبل، وإلى جانبها من الغرب تنتشر الأراضي الزراعية. وكانت مواقع هذه التلال والأراضي أوقافاً للمدرسة الحلوية، خصصها لها نور الدين الزنكي الشهيد منذ عام ٥٤٤ هـ - ١١٤٩، ١١٥٠ م وقد تولاها آل طلس وزادوا فيها حتى عام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨، ١٩١٩ م لما لهذه المدرسة من أهمية سنتحدث عنها. وفي عام ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥، ١٦٥٦ م كانت منطقة التلل مسرحاً لأعمال حربية بين والي حلب قرة مصطفى باشا ومعه أهالي حلب يؤيدونه وبين سيدي أحمد باشا الوالي الجديد للمدينة والذي رفضه الأهالي لما سمعوا عنه من ظلم وجور. وقد لجأ أحمد باشا ليضايق أهالي المدينة إلى جمع التراب أمام باب الفرج حتى علا وسامت السور كما يقول المؤرخ مصطفى نعيما، ويضيف الغزي مؤرخ حلب فيقول : هذه

الأتــربة بقــيت مكردسة وصارت روابي متصلة مسافة عشر دقائق. واشتهرت باسم التلل. وقد أدركــناها على تلك الحال. وفي نواحي سنة ١٣١٠ هــ - ١٨٩٢، ١٨٩٣ م أزيلت جميعها في مدة سنتين أو أكثر، وبني مكانها دور عظيمة. ووسمت تلك الدور بمحلة التلل ويضيف الغزي فــيقول : حــين كانت تلالاً كالجبال، لم يهتم أحد بها بقرش واحد. فلما كثر الأمان بحلب، وانتشــر الناس خارج السور أخذ الناس يشترون كل ذراع مربع من التلل المذكورة من متولي المدرســة الحلوية بعشرين قرشاً. ثم تصاعد السعر حتى بيع الذراع على طريقة التحكير الشرعية بذهبيين عثمانيين فأثرى وقف المدرسة المذكورة، وكثرت عقاراته، وعمرت المدرسة.

ويقــول الغــزي أيضاً : كان الحكر السابق لأراضي التلل عشرة أرطال زيت وفي عام ١٣١٥ هــ - ١٨٩٧، ١٨٩٨ م حكرت بأجر المثل وفي عام ١٣١٩ هــ - ١٩٠١ - ١٩٠٢ وقف الشيخ محمد بن مصطفى طلس أربعة دور متصلات في التلل. لقد نسي المؤرخان الغزي والطباخ أن يبرزا الأهمية الكبرى لفتح الجادة العظمى وجادة الخندق ودرب العربية، في عام ١٣٠٠ هــ - ١٨٨٢ م ودورهــا الكــبير في إعمار منطقة التلل وازدهارها للسكن والتجارة. وحتى عام ١٩٢٤/١٣٤٣ كانــت التلل تدعى الصليبة الصغرى، إلى أن غلب عليها اسمها الأساسي وهو (الــتلل). وفي عام ١٣٣٥ هــ - ١٩١٦، ١٩١٧ م، ولما شحت مياه قناة حيلان ومياه نهر قويق، ولم تعد تكفي المدينة أدخل جمال باشا السفاح بطل مشانق ٦ أيار ولمصلحة جنوده مياه عــين التل بأنابيب معدنية إلى حلب وكان حي التلل الحديث آنذاك أول حي في حلب يشرب منها. والآن ماذا بقي من التلل هذا الحي التاريخي. إننا لا نسأل عن مناشر الزبل أو تلال التراب الــتي جمعها سيدي أحمد باشا. إننا نسأل عن وجود بناء واحد عمر في التلل قبل مائة عام كما نتساءل عن مستقبل هذا الحي. فقد ضاعت معالم الهوكيدون وأصبحت الدور التقليدية الرائعة المجاورة لهذا الشارع مخازن أو مستودعات أو ورشات بل أكثر من ذلك شوّه ما تبقى من شارع الــتلل بقــوس النصر الغريب في شكله ومادته زخارفه البعيدة جداً عن التقاليد والبيئة والذوق الحلبي المعروف. أما مستقبل الحي فسنتحدث عنه فيما بعد.

محلة السفاحية

حـــين تحدثـــنا عن ساحة بزة، لم نتطرق لبحث حي السفاحية الذي كانت السلطات العثمانية تعتـــبره مـــرتبطاً بمحلة ساحة بزة. ونحن آثرنا الفصل بينهما لاعتبارات متعددة أهمها غنى محلة السفاحية بالمباني الأثرية والتاريخية والتي لا يزال معظمها قائماً سليماً رغم مرور أكثر من ستمائة عـــام علـــى بناء بعضها، وأن هذه المحلة لعبت، ولا تزال، دوراً أساسياً في حياة المدينة القديمة؛ اقتصـــادياً واجتماعياً. وأخيراً فإن هذه المحلة بعيدة حتى الآن عن تأثرها بالحداثة التي تغزو المدينة القديمة وأسواقها، فتشوهها، وتفقدها شخصيتها ونكهتها التاريخية.

تعتبر محلة السفاحية من أقدم محلات حلب. فقد بنيت بعض أوابدها في الفترة الأيوبية في أوائل القـــرن السابع الهجري أي في القرن الثالث عشر الميلادي، كما توسعت في الفترة المملوكية في القـــرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي. وحين جاء الأتراك العثمانيون إلى حلب في عام ٩٢٢ هـــ - ١٥١٦ م ازدهرت، وتكاملت، ووصلت إلى الحالة التي نراها عليها اليوم.

بنـــيت السفاحية على إحدى التلال السبعة التي قامت عليها مدينة حلب مثل : تلة القلعة وتلة الجبـــيلة وتلة السودا وتلة العقبة وغيرها. وكانت التلة التي بنيت عليها محلة السفاحية تدعى تلة عائشـــة نســـبة إلى عائشة بنت صالح بن العباس البارعة الجمال التي تزوج بها موسى الهادي. وكانـــت ميداناً في فترة دولة المماليك الجركسية يلعب بها مماليكهم بالرماح. وعرفت أيضاً بتلة الست فأنشئت عليها حماما الست أو حماما النحاسين، وكذلك خان النحاسين في قبالتها وفيه الـــيوم دائـــرة القنصلية الفرنسية حتى عام ٢٠٠٣م، يلحق بالمحلة المدرسة الظاهرية الجوانية أو السلطانية كما تسمى اليوم وهي أمام قلعة حلب، وقد بنيت أيام الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيـــوبي ســـنة ٦١٣ هـــ - ١٢١٦، ١٢١٧ م. والمدرسة الأتابكية ٦١٨ هـــ - ١٢٢١، ١٢٢٢ م الـــتي هدمت خلال تدمير هولاكو لمدينة حلب، ودرَّس فيها المؤرخ ابن العديم سنة ٦٦٠ هـــ - ١٢٦١ م. وبعد أن رممت درَّس فيها المؤرخ ابن الشحنة، ثم دثرت نهائياً. وحين أنشـــأ أحمد بن صالح بن أحمد السفاح المدرسة السفاحية على أنقاض معصرة للسيرج عام ٨٢٨ هـــ - ١٤٢٤، ١٤٢٥ م نسبت المحلة إليها، فدعيت بالسفاحية. وبقيت تحتفظ باسمها هذا حتى اليوم وفي المحلة حمام ميخان التي ذكرها المؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ٨٩٠ هـــ - ١٤٨٥ م.

أمـــا خـــلال الحكم العثماني فقد اهتم بها ولاة حلب الأتراك - فأنشأ فيها خسرو باشا مدرسته الخسروية عام ٩٥١ هـــ - ١٥٤٤، ١٥٤٥ م. وحين عادت السلطانة كوهر ملكشاه بنت

عائشـــة الســـلطانة حفيدة السلطان بايزيد وجدة أحمد دوقه كين باشا والي حلب، من الديار المقدســـة، و توفيت هنا دفنت بجانب المدرسة السفاحية. وما زال قبرها موجوداً، ولكن بحالة سيئة ثم سيطر عليه أحد الأهالي وقطن عليه. ثم أنشأ الوالي المذكور في المحلة جامعه بجوار دار العدل وسمـــي بالعادلية عام ٩٦٣ هـــ - ١٥٥٥، ١٥٥٦ م. وهو من أجمل جوامع حلب لا يزال قائماً بحالـــة جـــيدة. وفي المحلة فضلاً عن ذلك جامع تغري بردي الذي أُنشى عام ٧٦٩ هـــ - ١٣٩٣، ١٣٩٤ م وقـــد بـــناه ابن طومان المعروف بالموازيني. أما السبلان والقساطل والمدارارت فقد كانـــت كثيرة، اندثر أكثرها. وكذلك المدارس كالمدرسة الحدادية والمساجد كمسجد درب الاسفريس، ويطلق عليه المسجد العمري. ويذكر بعض المؤرخين أن ولي الله العارف إبراهيم بـــن أدهم وضريحه في جبلة المعروف بضريح وجامع السلطان إبراهيم، قد نزله ويطلق عليه أحياناً اســـم مشهد علي، وأن الزوايا التي بنيت في المحلة قد دثرت أيضاً، وكان أشهرها زاوية شيخ تراب الـــتي بنيت عام ١١٩٥ هـــ - ١٧٨٠، ١٧٨١ م. أما الخانات والأسواق التي تحلق بالمحلة فكثيرة مـــثل ســـوق القطن وسوق الحمام وخان الفرايين وخان العلبية وسنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعـــد. إن محلة السفاحية السكنية المجاورة للأسواق القديمة كانت مزدهرة، وقد سكنها العاملون في الأسواق بشكل خاص ومن مختلف الطوائف وعرفت فيها بعض العائلات العريقة مثل عائلة راغب زادة والعادلي وغيرهم.

إن عمران المحلة التقليدي ونسيجه القديم لا يزال يحافظ على حالته الأولى منذ سبعمائة سنة حتى اليوم حتى إن زلزال عام ١٢٣٧ هـــ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م الكبير قد دمر عدداً من أبنية المحلة ولم يبق منها سوى اسمها إلا أنه أبقي على أهمها كخان الشونة والخسروية والعادلية وغيرها. وقد جـــددت المحلـــة، ورممت مبانيها التاريخية في عام ١٣٠٠ هـــ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م، كما وسع رأس الجادة على قدر الكفاية كما يقول المؤرخ الطباخ في عام ١٣١٨ هـــ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م.

السؤال الذي يتبادر هل وصلت رياح التغيير وآثارها إلى هذه المحلة العريقة ؟ ؟ إن حمام ميخان قد هجرت، ومئذنة المدرسة السفاحية تميل قليلاً وأبواب كثيرة فتحت في جدار خان الفرايين، وحديقة جامع العادلية قد ملأتها الأبنية الطفيلية. وورشات ميكانيكية ثقيلة قد ظهرت في خان العلبـــية؛ وأهم من هذا كله تحويل المباني السكنية الجميلة إلى مستودعات وورشات ميكانيكية ثقيلة قد ظهرت في المحلة. فهل من يهتم بالحفاظ على أصالة هذه المحلة العريقة... ؟

محلة السليمانية

لا شك أن بداية ظهور مدينة حلب قد تم وفق أسس عمرانية كانت معروفة منذ بدايات التاريخ. وأن المجموعات الأولى في أي مدينة قديمة كانت تتم على مرتفع من الأرض لأسباب متعددة منها دفاعية، ومنها اتقاء فيضان الأنهر القريبة، وأخيراً لتوفير الأراضي المنخفضة الصالحة للزراعة. وهكذا بنيت حلب الأولى فوق مرتفع القلعة وهضبة العقبة وتلة السودا وغيرها. وحين ظهر ما نسميه تخطيط المدن لدى اليونان والرومان قبل مئات السنين من ميلاد السيد المسيح وظهر ما يسمى بالشارع المستقيم كما في تدمر وأفامية وجرش ودمشق، توسعت مدينة حلب وكان الطريق المستقيم ولا يزال حتى اليوم هو الذي يبدأ بباب أنطاكية وينتهي في سوق الزرب تحت أقدام القلعة. وقد أصبح هذا الشارع المستقيم نواة مدينة حلب قبل ألفين وأربعمائة عام تقريباً.

ظهرت لمدينة حلب كما لغيرها، ضواحيٍ سكنية نشأت خارج الأسوار وقد تحدثنا عن بعضها كالحاضر السليماني والجديدة وبانقوسا وغيرها وهذا طبيعي في المدن القديمة المزدهرة. وقبل مائة عام ونتيجة لازدياد السكان وازدهار الحياة الاقتصادية توسعت مدينة حلب خارج ضواحيها القديمة، فنشأت أحياء حديثة كالنيال والحميدية والجابرية والسليمانية في الجهة الشمالية وحديثنا اليوم يتناول السليمانية التي تكونت بدءاً من عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥، ١٨٩٦ م.

لقد كانت حلب في تلك الفترة محاطة في جبهاتها الجنوبية الشرقية والشرقية بكروم الفستق والتين والزيتون والعنب أما في الجهات الشمالية والغربية والجنوبية الغربية فقد كانت محاطة بالبساتين يرويها نهر قويق والمياه الفائضة من نهر حيلان.

من بساتين الجهة الشمالية بستان النيال وبستان سليمان حلبي. وكان هذا من أكبر بساتين تلك الجهة والمتصرف فيه جرجي بن سمعان خياط الحلبي المولد والمنشأ، الموصلي الأصل، كما يصفه المؤرخ الغزي الذي يضيف فيقول : فقد كان البستان المذكور جارياً في تصرفه، وكان يبيع الذراع منه إلى الفقراء ببضعة قروش، ويقسط مجموع القيمة عليهم إلى عدة سنين. ويجري معهم من التساهل مالا يفعله غيره.

وهكـــذا انتشـــر العمـــران في البستان المذكور كما انتشر في بستان النيال قبله، ودعيت المحلة بالسليمانية وأحياناً بالخياط. وضمت طبقة من السكان أقل غنى من الطبقات التي سكنت أحياء المديـــنة داخل الأسوار كالجلوم والفرافرة أو خارج الأسوار كالجديدة وبانقوسا، كما سكنتها جمـــيع الطوائف، وغلبت عليها طائفة الروم الكاثوليك، وقد بنيت كنيسة القديس بونا فانتورا للآبـــاء الفرنسيســـكان في عام ١٣٢٥ هـــ - ١٩٠٧ م وما زالت قائمة حتى اليوم. وفي عام ١٩١١ م ســـكن المحلـــة عـــدد متزايد من الأرمن فتوسعت المحلة وامتدت وظهرت فيها أزقة وحارات كالرام وتلفون هوائي، وأخذت أسماءها حسب المناسبات فالرام كان مركز تجمع المياه في المحلـــة، والتلفون الهوائي موضع إنشاء محطة اتصالات لاسلكية أقامها الجيش الألماني الحليف للأتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى.

توســـعت المحلة أكثر فأكثر ووصلت حدودها إلى جسر الصيرفي شمالاً ونهر قويق غرباً ونشأت فـــيها أفـــران وحوانيت لتأمين حاجات سكانها وفتحت فيها في عام ١٣٣٩ هـــ - ١٩٢٠، ١٩٢١ م جـــادة يصفها المؤرخ الغزي بقوله جادة عظيمة لا مثيل لها في جواد حلب من جهة عرضها وما تؤدي إليه من بساتين حلب ومتنزهاتها. وفي مكان آخر من كتابه يصف الغزي هذه الجادة فيقول : طريق معبودة مفروشة بالرصاص مدحرجة بالدحروجة (يقصد أنها معبدة) أولها مـــن محلـــة السليمانية بحلب وآخرها مقبرة المسيحيين والفرنسيين الحديثة - التي دفن فيها ضحايا الحرب العالمية الأولى من جنود الحلفاء الفرنسيين - طولها نحو ١٥٠٠ متراً وعرضها عشرون متراً.

والخلاصـــة ظهـــرت محلة السليمانية بتخطيطها الحديث حياً حديثاً مكتظاً بالسكان، ويشكل شرياناً حيوياً ساعد على توسيع المدينة شمالاً وغرباً ولا يزال يلعب هذا الدور إلى اليوم.

لم يبق من مباني حي السليمانية السابق سوى النادر من البيوت التقليدية القديمة وبعض الكنائس القديمـــة وأصبح حياً حديثاً بمبانيه وشوارعه وساحته وخدماته خاصة إذا قورنت بأحياء المدينة القديمة داخل السور وفي الضواحي القديمة كالجديدة المجاورة له.

ومـــع ذلك فإن حي السليمانية يشكل مرحلة تاريخية في تطور مدينة حلب لا نزال نذكره بل يجب أن نحافظ على ما تبقى منه خوفاً من أن تضيع معالمه أمام تيار الحداثة الجارف.

محلة سراي إسماعيل باشا

منذ القديم وحتى قبل أكثر من مائة عام كانت حلب تتعرض إلى هزات أرضية بين فترة وأخرى. آخرها وأعنفها ما جرى في عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م وكانت شديدة جداً، حدثنا عنها الشيخ المعمر محمد آغا مكانسي. وكان مما قاله إلى للمؤرخ الغزي : - إن أعظم فزعة عرتني مدة حياتي فزعة ارتعدت لها فرائصي وأوقعتني في مهاوي اليأس من الحياة. كنت في ليلة الزلزلة الكبرى.. - ويتابع وقد شاهدها مع أصحابه : (... حتى أوقر أسماعنا دوي كهزيم الرعد وإذا بالأرض قد مادت بنا يمنة ويسرة ثم انتفضت أربع مرات متوالية وإذ بالجدران تتداعى وتخر السقوف، فيسمع لها جلبة ودوي تقشعر منها النفوس. كل هذا جرى في برهة من الزمن لا تزيد على نصف دقيقة...) وكانت نتائج هذه الهزة الأرضية كما ذكرت المصادر التاريخية خمسة عشر ألف قتيل وتدمير جزء كبير من مدينة حلب تركتها خراباً قرابة خمسين عاماً. لقد كانت الساحات الخربة التي خلفها الزلزال تدعى اختصاراً خرابات. من أكبرها خرابة سراي إسماعيل باشا، وكانت هذه المحلة تتبع في الفترة العثمانية محلة ساحة بزة. وقد وصفها مؤرخا حلب الغزي والطباخ بأنها تبلغ عشرة آلاف ذراع شطرنجي، وقد عمرت بعد الزلزال حتى تكاملت عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦م.

نسبت المحلة وهي كما هو معروف داخل أسوار المدينة إلى الغرب من مديرية الأوقاف الإسلامية وجامع الخسروية - حالياً الثانوية الشرعية - نسبت إلى والي حلب إسماعيل باشا بن عثمان باشا في عام ١١٦١ هـ - ١٧٤٨ م. وكانت والدته الحاجة عفيفة، ويظهر أنها اهتمت بهذه المحلة فأنشأت فيها جامع الروضة. ووقف ولدها إسماعيل باشا عليه أوقافاً واسعة خلال ولايته، وقد جدد الجامع واستمر. وكان الشيخ علي الطباخ عم المؤرخ المعروف قد اتخذه مركزاً له بعد أن تلقى العلم الديني على الشيخ أحمد الترمانيني والشيخ مصطفى الهلالي شيخ الزاوية الهلالية المعروفة، إلى أن توفي عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨، ١٨٩٩ م غير أن الجامع دثر بعده ولم يستطع أحد من المؤرخين تحديد مكانه في المحلة. كما دثر معه جامع آخر عرف بجامع الخيمي. أما السراي التي دعيت المحلة باسمها فقد وصفها المؤرخ الغزي أنها كانت من الدور الكبيرة الجميلة بحلب فيها بستان ودولاب وماء وأحواض. وقد تكون أهملت حين انتقل بانيها إلى خارج أسوار المدينة وأسس محلة جديدة عرفت بالإسماعيلية في عام ١١٦٤ هـ - ١٧٥٠، ١٧٥١ م - فقام السيد عبد الرحمن الجوبي بعده ببناء دار كبيرة في مكانها، وكان من المعروفين

بحلـــب باستقبال الضيوف وإكرامهم. ثم غادرها، فاستأجرها مديرية التربية في حلب، وجعلت منها مدرسة دعيت بمدرسة الإخاء العربي ثم لم تُبْقِ عليها، فخربتها مؤخراً، وبنت مكانها مدرسة حديـــثة ضـــخمة تعرف اليوم بمدرسة الشهباء. لم يبق من آثار محلة سراي إسماعيل باشا سوى جامع أنشأه إسماعيل باشا الوالي بجانب السراي عرف باسمه. وقد جدد أكثر من مرة و لم يبق من آثـــاره ســـوى بعض الأعمدة ملقاة في باحته. ويعرف اليوم أيضاً باسم جامع الجوبي. كما بنى إسماعـــيل باشـــا جامعاً آخر بجانب السراي، وقد دثر أيضاً، فعمره الشيخ حسام الدين الصيني الـــبخاري في عـــام ١٣١١ هـــــ - ١٨٩٣، ١٨٩٤ م. ومن الواضح أنه جدد بعد الزلزال المعروف. لقد ضاعت السراي والدار الكبيرة بعدها، ولا يعرف أحد من طلاب مدرسة الشهباء الحالـــية أن مدرستهم تقوم على أنقاض السراي الجميلة والوحيدة التي عرفت بحلب. فهم يعرفون أن اســـم المحلـــة هو سراي إسماعيل باشا. حتى إن كل ما حول المدرسة من دور قديمة قد بنيت بشكل بســـيط بعـــد عام ١٨٢٢ م ولم يبق من أثر واضح سوى البئر المجاورة لجدار المدرسة الغربي والتي حفـــرها الحاج عبد القادر بن عمر الشهير بالميسر التاجر المعروف في عام ١٣١٨ هـــ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م ليستقي منها جميع أهل المحلة. لقد بقيت البئر وحجر الأساس فوقها تذكر عمل الخير هـــذا بعـــد مضي تسعين عاماً على حفرها. كما يوجد في المحلة جامع عمري ضاعت وثائقه ومعالمـــه، حـــتى الطرقات المبلطة بالحجر الأبيض قد بقي بعضها، إلا أن بعضها الآخر ضاعت معالمـــه حتى طبقة الزفت. رحم الله إسماعيل باشا إذ لا يزال أهل المحلة يذكرونه صباح مساء. ولابد أن مجلس مدينة حلب سيحفظ الاسم والذكرى معاً.

حي الجميلية " السليمية "

من الأحياء الحديثة التي نشأت خارج أسوار المدينة القديمة وإلى الغرب منها حي سليمية. ورغم أن هـذا الاسم مدون في بطاقة هوية الآلاف من سكان هذا الحي إلا أن القليل منهم يعرف أن حي سليمية هو حي الجميلية الواسع الذي يرقى تاريخه إلى مائة سنة مضت.

في عام ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩، ١٨٨٠ م عين جميل باشا بن نامق باشا والياً على حلب بطلب من أهاليها. وقد عرف عنه اهتمامه بالأعمال العمرانية، منها افتتاح الجادة العظيمة من جسر الناعورة إلى باب الفرج وهو شارع الناعورة حالياً، كما أكمل طريق حلب - الاسكندرونة، وحصل على وسام الامتياز من السلطان.

في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م أسس محلة الجميلية، وقد ذكر المؤرخ الغزي فيها حمامين باسم حمام شهاب الدين العجمي وحمام فخر الدين أياس وذكر أن أراضيها كانت وقفاً على المدرسة العثمانية بحلب. وكان أول بناء فيها عام ١٣٠٠، ١٣١٦ هـ - ١٨٨٣، ١٨٨٩ م هو المكتب الإداري الذي دعي فيما بعد بالسلطاني ثم التجهيز الأولى وأخيراً باسم ثانوية المأمون، وكان أول مؤسسة تعليمية على الأساليب الحديثة؛ وفيها افتتح في عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣، ١٩٠٤ م معرض عام لمنتجات حلب وولايتها الواسعة. وفيها اتخذ باجتماع جماهيري الفتوى بدخول العرب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ إلى جانب الدولة العثمانية وسنتحدث عن كل ذلك في مناسبة أخرى.

أما البناء الثاني فكان قصر جميل باشا بني في جنينة بيت الناقوس وكان لا يزال قائماً أمام ثانوية معاوية التخصصية حتى هدم في أواخر عام ٢٠٠٠ م. وجاء بعده علي محسن باشا القائد العام لحامية ولاية حلب الواسعة فبنى قصره مع حديقة واسعة شمالي جدار ثانوية المأمون وهو البناء الذي اتخذه مندوب المفوض السامي الفرنسي بحلب مسكناً له وكان يعرف ببيت الجنرال - ثم أصبح بعد الاستقلال مدرسة الوليد بن عبد الملك وهدم مؤخراً ليحل محله بناء حديث ضخم.

وفي عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦، ١٨٨٧ م ورد الإذن من استنبول بإحداث المحلة رسمياً. وسميت بالسليمية نسبة إلى سليم أفندي بن السلطان عبد الحميد خان الثاني. ورغم ذلك فلم يقبل أهالي حلب على السكن فيها لملوحة مياه آبارها واضطرارهم إلى بناء الصهاريج لجمع ماء

المطــر، ولكثرة بعوضها إذ ليس فيها مصارف للمياه المالحة، وقرب نهر قويق منها. وأهم من ذلــك كلــه الخــوف من اللصوص وقطاع الطرق الذين عاثوا فيها الفساد إلى أن أنشئ مخفر للشرطة فيها.

وفي عــام ١٣١١ هــ - ١٨٩٣، ١٨٩٤ م بنت بلدية حلب مبنى لسكن ولاة حلب أصبح فــيما بعد داراً للمعلمات باسم سليمان الحلبي تحت إدارة مدير المكتب السلطاني، وقد عرفت فيما بعد باسم ثانوية معاوية التخصصية للبنات. وفي عام ١٣١٧ هــ - ١٩٠٠ م بنيت أول دار للســكن للأهــالي كانــت وقفاً للمدرسة العثمانية، وكانت مطلة على المكتب الإعدادي الســلطاني. وفي عام ١٣١٨ هــ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م بنى عبد الرحمن ذكي المدرس الجامع الحمــيدي علــى أسلوب المدرسة العثمانية ولكن بحجم أصغر وما زال قائماً إلى اليوم، وكان الــتدريس فيه للشيخ بشير الغزي ثم لأخيه الشيخ كامل مؤرخ حلب المعروف وهكذا ظهرت معالم الحي الجديد وبدأ السكن فيه، إلا أن معظم سكانه كانوا من الأغراب والموظفين والمنفيين من قبل السلطان عبد الحميد.

ثم انــتقلت إليه الطائفة الموسوية من حي بحسيتا، وشكلت أكثرية السكان، وكان لها أكثر من كنيسة. ومن بعدهم أتى الأجانب ثم المهاجرون من ماردين. ولما ازداد إعمار منطقة باب الفرج في عام ١٣٣١ هــ - ١٩١٢، ١٩١٣ م وهي المنطقة الأقرب إلى حي الجميلية، وعاد المنفيون إلى بلادهــم بعد سقوط السلطان الطاغية عبد الحميد عام ١٣٢٦ هــ -١٩٠٨م أقبل أهالي حلب على السكن فيها، فعمر مستشفى القديس لويس المعروف بمستشفى فريشو عام ١٣٢٥ هــ - ١٩٠٧، ١٩٠٨ م وقد أسسته رهبنة ماريوسف، ولا تزال تعمل فيه. كما عمرت محطة الشــام لسكة الحديد في عام ١٣٢٣ هــ - ١٩٠٥، ١٩٠٦ م وكان لاختيار موقعها مناقشة طويلة سنتحدث عنها في مناسبة أخرى..

وفي عــام ١٣٣٩ هــ - ١٩٢٠، ١٩٢١ م عمر الميتم الإسلامي مكان بيت الناقوس وأصبح فــيما بعد مقر ثانوية الفنون النسوية حتى اليوم... وهكذا عمرت المحلة، وأصبح تعداد منازلها ٢٢٠ بيتاً وعدد سكانها ١٧٣٥ نسمة في عام ١٩٢٢ م حين وضع المؤرخ الغزي كتابه.

وبعد : لقد هدم قصر علي محسن باشا، وشوه بناء ثانوية معاوية الجميل بسيطرة المسرح المجاور علــيه، وكان يفضل أن يبنى وراء الثانوية. فهل نبقي الآن على بعض أوابد هذا الحي للذكرى والتاريخ ؟؟.

محلة سويقة حاتم

الخلاف حول القديم والحديث موجود منذ الأزل وهو يشكل مظهراً من مظاهر الحياة الإنسانية، كمـا أن الحفـاظ علـى الأبنية التاريخية كان مثار جدل، ولا يزال. أما حفظ وصيانة التراث القومـي من علم ومعرفة وبناء، فهذا أمر يستحق من كل مواطن واع الاهتمام الكبير لارتباط التراث بالحاضر والمستقبل، وبمعنى آخر قد يختلف اثنان حول طريقة للعمل أو الحديث أو اللباس أو حـتى الـتفكير. أما أن يختلف حلبيان حول إزالة قلعة حلب فهذا باعتقادي أمر بعيد وبعيد جداً. ورغم ذلك فالكثير من تراثنا يزول أمام أعيننا وبسرعة وسهولة كبيرتين.

قـبل عـام ١٩٥٦ م كانـت محلة سويقة حاتم من - أشهر حارات حلب وأعمرها، مبانيها متـزاحمة، السـكنى فـيها مرغوبة، كما يقول المؤرخ الغزي. كانت هذه المحلة تضم الجوامع والمسـاجد والمزارات والمدارس والخانكاهات والبيمارستانات والحمامات ودور الحديث، وفي مقدمـتها الجامـع الأمـوي الكبير؛ إذ كانت المحلة تقوم حول بابيه الغربي والشمالي المعروف بالجراكسية، أي أنها كانت تمتد من الباب الغربي باتجاه الشرق، وتضم قسماً من زقاق أو سوق الزهراوي لتصل حتى خان الوزير أي أنها كانت في مكان الشارع العريض والأبنية على جانبيه والـذي يصـل بين الجامع الكبير ومبنى المطبخ العجمي مع مرآب السيارات أمام جدار الجامع الكبير الشمالي سابقاً. ومن المعروف أن هذا الجدار مع الباب الشمالي بنيا في الستينات من هذا القـرن. وهكـذا يتبين لنا حجم محلة سويقة حاتم التي زالت فجأة من الوجود وبكاملها؛ حتى جدار الجامع وبابه الشمالي لم يسلما من الهدم والتجديد تماماً.

لم نر في المصادر المتوفرة سبباً للتسمية أما تسميتها بالسهلية أو السهيلية، فربما نسبة إلى يعقوب بن أبي سهل الذي ينتهي نسبه إلى الإمام جعفر الطيار والذي سكن أحد أحفاده في المحلة... .

إن أقدم مباني هذه المحلة هو بلا شك الجامع الأموي الكبير. وقد جدد أكثر من مرة لكن مئذنته الحالـية وقـد بنيت عام ٣٨٠ هـ - ٩٩٠، ٩٩١ م هي أقدم أثر باق في المحلة. ثم إن حمام الواساني أمام جامع حاج موسى الأميري أو جامع الخير وكان يقال إن فيه جرناً مقدساً يتبرك الناس بزيارته. ثم مسجد ومزار نبي الله شمعون، وكان يعرف بمسجد سويقة حاتم ثم بنيت فيما بعـد المدرسة الشرفية وكانت أول مدرسة في حلب في عام ٥١٧ هـ - ١١٢٣، ١١٢٤ م وتعرف اليوم بالمكتبة الوقفية، وهي في مدخل سوق النسوان. وسنبحثها فيما بعد لأهميتها. وقد

ذكر ابن الشحنة خانقاه الملك المعظم التي بنيت عام ٥٣٦ هـ - ١١٤١، ١١٤٢ م، وجددها الملك الظاهر ومظفر الدين كوكبوري عام ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢، م وعرفت بخانقاه الزينية وقد عاصرها المؤرخ الطباخ ووصفها. أما زكي الدين بن رواحة المتوفى ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م فقد بنى المدرسة الرواحية التي هدمها تيمورلنك، ثم جددت، ثم دثرت ثانية. وجاء بعده يمين بن حمزة كاتب بكلمش، فبنى دار حديث على مذهب أبي حنيفة عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤، ١٣٧٥ م بقيت قائمة حتى نهاية القرن الماضي وبجانبها المدرسة السمشية وبيمارستان ابن خرخاز بجانب الباب الشمالي للجامع الكبير الذي أصبح فيما بعد داراً للكحالين يداوون بها أمراض العيون. أما دار الحديث السهيلية فقد عاصرت دار السيد حمزة والتي جددها محمد الكيالي مدير أوقاف حلب عام ١٨٦٢ م وكانت تعرف بالزاوية الجبغرية. وقد ذكر أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م حمامين في المحلة لابن عصرون باني المدرسة العصرونية، وكانت قائمة قرب مكان البناية العصرونية الحالية وراء خان الوزير عرفت إحداهما بالابارين والثانية بالنعيم ثم صارت لابن مشكور عبد الله الحلبي ناظر الجيش الذي وقفهما على رباط في القدس، ثم حمام الابرية ذكرها ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م، فضلا عن دار حديث أنشأها أحمد موتياب باشا والي حلب عام ١٠٠٤ هـ - ١٥٩٥، ١٥٩٦ م وكانت من أوقاف خان الطاف الذي بناه. وقد عاصرها المؤرخ الغزي في أوائل القرن العشرين، ثم المدرسة الجاولية التي أنشأها عفيف الدين جاولي، وهدمت نهائياً عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥، ١٩٢٦ م. وكان للمدرسة الرضائية - العثمانية أوقاف في المحلة ومنها حمام في زقاق الشهبندر بنيت عام ١١٥٢ هـ - ١٧٣٩، ١٧٤٠ م أدخلها الحاج عبد القادر أفندي الجابري في سوق التوكل المعروف اليوم باسم سوق حاجي أفندي. كما كان في المحلة الخانقاه السمشية، ولم يذكر أين محلها ثم المدرسة الجبغرية التي عاش فيها حسين الدركزلي المتوفى عام ١١٧٧ هـ - ١٧٨٧ م وسبيل أحمد بن خليل الخباز التونسي المعروف بالجزماتي، وقد بناه عام ١١٨٦ هـ - ١٧٧٢، ١٧٧٣ م وكانت أوقافه كثيرة. وأخيراً زاوية الكيالي التي جددت عام ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧، ١٧٨٨ م وكانت والدتي تأخذني معها حين تود زيارتها لتحقيق رغبة تريدها، فتطرق باب الزاوية، وتطلب المدد...

إن هذا العدد الكبير من دور العلم والعبادة دثر بسرعة كبيرة عام ١٩٥٦ م، وحل محله شارع واسع فتح لدخول السيارات، فتنشر ضجيجها، وتلويثها للبيئة... - يذكر اليوم عدد قليل سويقة حاتم. وسينسى الجيل الجديد كل هذا التراث - فهل يكون هذا عبرة لنا لنحتفظ بالبقية الباقية. أرجو ذلك.

محلة سويقة علي

يلاحظ الدارس لتطور مدينة حلب في تاريخها الطويل، أن مركز المدينة الإداري والتجاري قد انتقل من مكان إلى آخر. فهو في الألف الثاني قبل ميلاد السيد المسيح، في قلعتها وربما في موقع حي العقبة. وفي الألف الأول هو في شارعها القديم الذي يمتد من موقع باب أنطاكية وحتى القلعة مروراً بساحة المدينة الرئيسية حيث توجد الحلوية والجامع الأموي الكبير. أما في عصرنا الحاضر بعد الميلاد والهجرة فهو في جميع هذه المواقع وفي مراكز أخرى كمنطقة الجلوم وأسواق المدينة القديمة أي ضمن أسوار حلب وأبوابها، وفي ضواحيها المتعددة التي لم يبق منها سوى الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة وجزء من بانقوسا.

حديثنا اليوم عن أحد مراكز حلب هو حي سويقة علي أو السويقة الذي يقوم بدراساته عدد من الخبراء الفرنسيين بإشراف الجغرافي المعروف جان كلود دافيد، وأشاركهم فيها منذ أكثر من سنتين، فقد كان هذا الحي مركز المدينة في الفترة المملوكية التي تمتد بين عامي ١٢٥٠ و ١٥١٦ م رغم أن بعض مبانيه تعود إلى فترة الحكم المرداسي التي امتدت بين عامي ١٠٢٥ و ١٠٨٠ م والبعض الآخر إلى عام ٥٠٩ هـ ١١١٥ م ومعنى هذا أن تاريخ هذا الحي يمتد أكثر من ثمانمائة وخمسين سنة إلى اليوم.

إن أقدم وثيقة لدينا تذكر اسم الحي، تتحدث عن حكر حمام علي من بين أوقاف المدرسة العصرونية التي كانت في مكان بناء العصرونية الحالي. وأخرى تتحدث عن مسجد علي. وفيه قبر علي العريقي الذي ينسب إليه هذا الحي أوردها المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م وذكر المؤرخ الغزي هذا المسجد، وكيف أنه احترق عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، وبني على أنقاضه مسجد آخر دعي بمسجد سيجر، ربما باسم بانيه، ثم جدده مدير الأوقاف السيد محمد الكيالي في عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ويعرف اليوم لدى الجوار باسم جامع السيجري جانب خان التوتون وقرب سوق حاجي أفندي الذي كان يعرف سابقاً باسم سوق التوكل.

أول مباني هذا الحي هو خان الست، ذكر في وثائق الحكم المرداسي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ويعرف اليوم بخان الكتان. ثم زاوية أصلان داده في عام ٥٠٩ هـ - ١١١٥، ١١١٦ م التي توسعت في الفترة العثمانية، وقد بني إلى جانبها قصر الأمير حسن بن الداية الأخ غير الشقيق لنور الدين الزنكي عام ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م والمعروف اليوم ببقاياه بالمطبخ العجمي؛ وإلى

جانبه المدرسة النارنجية وستتحدث عنها مفصلاً. ثم جاء بنو العديم وشيدوا دورهم في الحي عام ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦،١٣٣٧م إلى أن هدمها تيمورلنك، وفي عام ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩، ١٣٥٠ م بني جامع الفستق والمدرسة الصحابية أو الصاحبية.

ولما ازدهرت المنطقة تجارياً بني فيها أجمل خانات حلب وهو خان أبرك أي خان الصابون، وخان خاير بك. ثم تكتمل سوق المحلة - السويقة. ولا شك في أن وجود هذه المباني ثم وجود عدد كبير من المدارس كالجوشنية والأقصراوية والصلاحية والقصماوية والجاجية، وعدة أفران ومصابغ وسبلان لا يزال أحدهما قائماً بجانب مدخل خان جامع موسى الكبير لدليل كبير على ازدهار هذا الحي في الفترة المملوكية.

وفي فترة الحكم العثماني، وبعد أن بنى الحاج موسى الأميري جامع الخير في عام ١١٧٧ هـ - ١٧٦٣، ١٧٦٤ م والخانين المعروفين باسمه أوقافاً له بالإضافة إلى عشرات الدور الكبيرة له ولأسرته ولعتقائه، توسعت المحلة وازدهرت أكثر؛ فبُنيَ خان الوزير والبردغخانة المعدة لصقل الأقمشة، ولا تزال قائمة، وخان قورت بك المملوكي - العثماني وخان الدق، و العدسات لطحن الحبوب والأوتيل في خان الدوه لك ومقهى نور العين، ومصبغة شمال خان حاج موسى الأعوج، وكثير من الأوابد سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

وهكذا عمرت المحلة وسوقها - السويقة - فوصفها المؤرخ الغزي بقوله في أوائل هذا القرن : إنها أعمر محلات حلب وأعظمها موقعاً وأكثرها أسواقاً وأروجها تجارة، جيدة الهواء غزيرة المياه. ونضيف نحن فنقول : إنها كانت مركز مدينة حلب ومقر ولاتها المماليك بقيت مزدهرة وانتعشت بعد الاستقلال وحتى السبعينات، فكانت مركز استيراد وتصدير على المستوى الدولي والمحلي، سيطرت اقتصادياً على أسواق المنطقة وخاصة تركيا المجاورة. فقد كان في حي سويقة علي أكبر المخازن وأجمل الدور وأقدمها، إذ لا تزال فيها أقدم دور السكن في حلب في عهود أسبق من الفترة العثمانية وستظهر الدراسة التي تجري الآن أهمية هذه المحلة العريقة.

ولكن.. تفقد هذه المحلة والسوق فيها، باستمرار، طرازها المعماري القديم، وتتحول الدور الرائعة فيها وخاصة دور آل الأميري إلى ورشات لطحن الزعتر وغيره وإلى مستودعات ضخمة لقربها من السوق، حتى إن الاعتداء يصل إلى السبيلين الأثريين فيها، فهل نبادر إلى الاهتمام بها جدياً فنحفظ تاريخنا وبلدنا العريق.. ؟

محلة الهزازة أو محلة السيد علي

يعتبر القطر السوري بين أكثر البلاد العربية تزايداً للسكان وإن متوسط عدد أفراد العائلة السورية يتجاوز السبعة أفراد، ولهذا فإن عدد المدن في القطر والتي يزيد عدد سكانها عن المليون نسمة سيزيد في المستقبل القريب.

لقد كان عدد سكان مدينة حلب في أوائل القرن العشرين الذي انقضى مائة ألف نسمة، وإن المدينة تتوسع باستمرار ويتحمل القسم القديم منها ضغطاً متزايداً ليستوعب أكثر فأكثر تزايد السكان مع هجرة الريف والهجرة المؤقتة والعمال المياومين وغيرهم، وأن الضواحي القديمة خارج الأسوار تتحمل النصيب الأكبر، وخاصة الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة وأحيائها المتعددة. من هذه الأحياء محلة الهزازة التي وجدت قبل أكثر من ألف عام : فقد ذكر المؤرخ ابن العديم المتوفى عام ٦٨٨ هـ - ١٢٨٩ م في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب هجوم إمبراطور الروم نقفور على حلب عام ٥٣١ هـ - ٩٦٢م فقال : ((... وكان سيف الدولة على بانقوسا، ووردت عساكر الروم إلى الهزازة...)).

فالهزازة وجدت في فترة الحكم الحمداني وكانت كبانقوسا مركز قتال ضد الروم. كما ذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥، ١٢٨٦ م في المحلة حماماً في بستان كافي اليهود بالهزازة، واثني عشر مسجداً فيها. ثم جاء المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م وابن الشحنة بعده فأكدا على عودة الحمام إلى العمل. وهذا دليل واضح على أن المحلة كانت مزدهرة في الفترة المملوكية الممتدة بين أعوام ١٢٥٠ - ١٥١٦ م عام مجيء الاحتلال العثماني. وأكد المؤرخ الغزي المتوفى عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م بقوله إن تخطيط هذه المحلة كان في أواخر أيام المماليك الجراكسة.

لا ندري سبب تسمية الهزازة، فلم نحصل على نص تاريخي، وإن كانت الروايات تنسج الكثير حول هذه التسمية التي عاشت ألف عام ونيف إلى أن طغى عليه اسم محلة السيد علي التي لم تكن محلة سكنية، فقد كانت هذه مقبرة عامة نسبت إلى السيد علي بن السيد علاء الدين العجمي والهمذاني. وقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م أن السيد علي كان يعظ الناس بجامع الزكي، ويفسر القرآن والتوراة والإنجيل حتى إن يهودياً سمعه من الشباك فأسلم. توفي السيد علي عام ٨٦٣ هـ - ١٤٥٨، ١٤٥٩ م، ودفن في مقبرة القطب

ابــن العجمي، والغريب أن ينسى الناس اسم القطب ابن العجمي، وينسبون المقبرة إلى السيد علي، وربمــا لأن قبة ضربت فوق المقبرة، وفي التاريخ يحدث كثيراً أن ينسى الناس الاسم القديم لأي مكان، إذا لم يكــن هــناك من يحميه ويقدره.. لم تسلم مقبرة السيد علي في عام ١٣٠٩ هــ - ١٨٩١، ١٨٩٢ م مــن اعــتداء الجوار عليها. فقد زحفوا عليها، وبنوا بيوقم فيها؛ مما اضطر أصحاب القبور إلى منعهم من تعديهم وباعوا - كما يذكر الغزي - بعض قطع منها، وصرفوا أثمانها على سـياج أداروه عليها.. وهكذا يتبين لنا أن بداية السكن في مقبرة السيد علي كان في عام ١٨٩١ م أي قبل مائة عام. غير أنه لم يكن بكثرة حيث يملأ المقبرة بكاملها، فقد ذكر المؤرخ الطباخ حين وضع كتابه عام ١٩٢٥ م عدة قبور معروفة في المقبرة.

توســعت محلة السيد علي كثيراً بالمقارنة مع محلة الهزازة الصغيرة والتي بقيت لها أهميتها وخاصة حين بنى فيها جمال باشا السفاح في عام ١٣٣٥ هــ - ١٩١٦، ١٩١٧ م خزان الماء القديم في موقــع مــبنى الإطفائية القديم ليجلب إليه ماء عين البيضاء بالقرب من عين التل ليسقي جنوده وأهــالي حلــب بالتالي، وبعد أن شحت مياه حيلان، و لم تعد تكفي المدينة فضلاً عن ازدياد تلوثها. وقد ساعد وجود الخزان على توسيع محلة السيد علي في البداية ثم تكاثر السكان الكبير، فبني جامع السيد علي الحالي في محلة الهزازة بالذات، بعد أن أصبح مسجد الشيخ عبد الله القديم لا يكفي جموع المصلين، وبعد أن ازداد عدد السكان المسلمين على عدد السكان من الطوائف المــتعددة. لقد بقيت محلة الهزازة ذات الألف عام محلة عريقة، وتوسعت محلة السيد علي كثيراً، لكن التحديث طغى على الاثنين معاً فأضاع هويتهما، و لم يبق لهما سوى الاسم.

محلة شاهين بك

قبل زمن قصير، كان المركز الإداري لولاية حلب الواسعة في حي قديم داخل الأسوار، وفي دار واحدة وصفها المؤرخ الغزي بأنها تضاهي محلة عظيمة. عرف هذا الحي باسم العوينة أو شاهين بك. سميت محلة العوينة نسبة إلى عين ماء تنبع من جبل الحوار بجانب المدخل الحالي لحي الجبيلة. وكان أهالي حلب يغتسلون فيها قبل فجر يوم السبت لاعتقادهم بأنها تساعدهم على الشفاء من أمراضـــهم. كما كانت مياهها تغذي قسماً كبيراً من أحياء حلب منذ عام ٩٣٥ هـــ – ١٥٢٨، ١٥٢٩ م. وفي عام ١٣١٧ هـــ – ١٨٩٩، ١٩٠٠ م بني بدلاً من القسطل الذي كان بجوارها؛ حـــوض ضخم زود بمضخة لرفع الماء عن طريق دولاب عالٍ بحركة الهواء كالدولاب الحالي في منتـــزه الســـبيل، لتغذية محلة باب الفرج. وكان في الحي أكثر من مدار، ومسجد عمري فوق القسطل، وباب الأربعين وتكية القرقلر، وقد تكون التسمية وتعني الأربعين قد جاءت من الباب المجـــاور لهـــا. ودار الحكومة أي المركز الإداري المذكور سابقاً. والذي بقي جزء منه قائماً إلى الشمال من مبنى قسم الهجرة والجوازات السابق.

وفي عـــام ١٣٠٨ هـــــ – ١٩٠٠، ١٩٠١ م فتح شارع الكواكبي الذي يصل خندق القلعة الشمالي بخندق المدينة عند منعطف السراي. فهدم الحوض وزالت عين الماء، كما هدم المسجد العمري وبني بدلاً منه الجامع الصغير الذي يقوم حالياً في منتصف شارع الكواكبي. ولم يبق إلا زاوية القرقلر أمام مبنى قسم الهجرة والجوازات.

أمـــا دار الحكومة أو ما عرفت بالسراية العتيقة، والتي بقيت حتى عام ١٩٣٠ م المركز الإداري الوحيد. والتي لم يبق منها اليوم سوى الباب الحديدي الضخم وجزء صغير من البناء الأساسي؛ فقـــد أسسها أحد أغنياء الطائفة الموسوية، ثم آلت إلى ورثة الحاج حسين البابي جد عائلة بني الميسر الحالـــية وصـــاحب الأوقاف الكبيرة في حلب ١١٦٠ هـــ – ١٧٤٧م. ثم اشتراها واقف المدرسة الأحمديـــة ضمن أسواق المدينة، محمد أفندي بن أحمد طه زاده الجلبي عام ١١٦٨ هـــ – ١٧٥٤، ١٧٥٥ م، ثم اشـــتراها إبـــراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر حين حارب الدولة العثمانية، واحـــتل ســـورية عام ١٢٤٧ هـــ – ١٨٣١ م وجعلها مقراً له. ولما انسحبت الجيوش المصرية من سورية عام ١٨٤٠ م أصبحت مقراً للولاة العثمانيين. وفي عام ١٢٩١ هـــ – ١٨٧٤، ١٨٧٥ م أصـــبحت داراً للعدلـــية ضمن دوائر الملكية ودار البريد والبرق والبلدية وثلاثة سجون. غير أن

أكثر هذه الأقسام زالت كما هو معروف مع زوال السجن القديم، وبقيت دوائر العدلية. وهي اليوم مدرسة أبي عبيدة بن الجراح. وهكذا زال المركز الإداري الضخم مع زوال محلتي العوينة وشاهين بك وكان العاملون في هذا المركز يشرفون على ولاية تمتد من أضنه حتى تخوم دمشق. ولا يزال كثير من المعمرين يذكرون مقر محافظ حلب فيه قبل عام ١٩٣٩ وهو الجزء الباقي إلى اليوم.

لا أدري لماذا غاب عن الجميع الحفاظ على السراي. و لم نحتفظ بها كما تفعل كل شعوب العالم حين يحافظون على أوابدهم التاريخية للأجيال القادمة تاريخاً حياً.

فهل نبقي على البقية الباقية؟.

حي الشرعوس

باســـم الحداثة، وسعياً وراء الجديد من أي مصدر جاء، والتقليد، كل ذلك أفرغ ويفرغ المدينة القديمـــة من سكانها والذين يترحون إلى الأحياء الحديثة ويخلفون وراءهم دورهم التقليدية. إننا لســـنا الـــيوم في صدد المقارنة بين تلك الدور والطوابق، وإنما سنبحث في بعض نتائج عمليات التروح والتي بدأت قبل خمسين سنة...

حـــي الشرعسوس، أحد أحياء ضاحية حلب الشمالية القديمة خارج الأسوار والمعروفة بـــ الجديدة -. كـــان سكانه من المسلمين ومن جميع الطوائف وهذه كانت تشكل نسبة عالية كما في الأحياء المجـــاورة مثل : العاشور والناصر والشابورة والماوردي والقبب وغيرها... وربما كانت له ميزة خاصـــة، نستخلصـــها من التسمية إذ يذكر المؤرخ الغزي أن الاسم محرف عن الشريعتي أي المتشرع، وربما سكن فيه قاضي الشرع ؟.

بـــني في وسطه بين عامي ١٢٤٩ و ١٢٥٠ هـــ - ١٨٣٣، ١٨٣٥ م كنيسة جميلة على اسم القـــديس جـــرجس، ويذكر الرواة كيف أن المحتفلين بعيده يزورون الكنيسة جماعات، وبعض النســـوة يـــأتين حافـــيات ومعهن نذورهن. وإلى جانب الكنيسة جامع زاوية الشيخ عبد الله والقسطل المجاور له الذي يؤمن توزيع مياه قناة حيلان على الحي كله، وفي مدخل الحي الجنوبي جامع الفتال. والجامعان لا يزالان قائمين...

ساهم حي الشرعسوس في النهضة التعليمية الأولى في مدينة حلب فقد كان إلى جانب الكنيسة مدرسة لتعليم العلوم العصرية واللغات، وتؤهل الطلاب إلى المدارس العالية. وكانت تضم مائتين وخمسين طالباً بينهم عدد من المسلمين، ولا يزال الجيل القديم يذكر الكثير عنها...

عـــرف حي الشرعسوس كالأحياء المجاورة، تقاليد رائعة لا يزال سكانه يذكرونها، فقد كان ســـاكنو الحي يتعاونون جميعهم على تنظيف حيهم ويعمدون إلى غسل بلاط الشارع كل يوم ســـبت. ويتـــزاورون فقيرهم وغنيهم في اليوم التالي. ففي الحي دور كبيرة وجميلة ودور أخرى بسيطة بجوار بعضها بعضاً. وعلى غرار جميع أحياء حلب القديمة داخل الأسوار وخارجها كان للحـــي بابـــان كبيران أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب يغلقان مساءً، فيصبح الحي داراً واحدة وعائلة واحدة، وخاصة أمام أحداث فئات الحامية الانكشارية التي كانت تعيث الفساد في المدينة بين آن وأخرى، وخاصة حين تتأخر أجورهم المرسلة من السلطان...

إن زيارة هذا الحي اليوم بحالته الراهنة تجعلنا نلاحظ أن الحي ما زال يحافظ على نسيجه العمراني المنسجم كما كان منذ بداياته: بدوره وأزقته وبواباته وملاقف الهواء - بادنج - على أسطحته. وهي مكيفات رائعة تعمل بدون قدرة كهربائية، والحواجز القرميدية الجميلة بين السطوح تمنع الرؤيا، ولكنها لا تمنع الشمس والهواء كما بقي بلاط الشارع أيضاً، وآثار الأبواب التي كانت تغلق. كما بقي للحي هدوءه الرائع وملاعب الأطفال بعيداً عن السيارات والدراجات القاتلة...

ولكـــن... نـــزح جميع سكانه الأساسيين إلى الأحياء الحديثة، وأهملت العناية وخاصة النظافة وأغلقت المدرسة ثم الكنيسة في عام ١٩٦٨ م، بعد ثلث قرن من النشاط. ونقلت روائعها إلى كنيســـة حديثة بنيت بنفس الاسم. وتبدل وجه الحي السابق؛ ومن يدري، فقد يعود الحي إلى مجده السابق إذا حافظنا عليه، ويعود الأحفاد إلى بيوت الأجداد - وبدأت الهجرة المعاكسة فعلاً - في حلب وغيرها - وتعود التقاليد الرائعة، وتعود مدينة حلب القديمة إلى ماضيها التليد...

محلة الشمالي

أليس من المستغرب أن يجهل ساكن المحلة أو العامل فيها، اسم محلته فيطلق عليها اسماً يسمعه أو يختـــرعه، وفي الحالتين لا يمت إلى الاسم الصحيح بصلة. حتى إنه لا يحاول أن يسأل عن الاسم الصـــحيح. ويأتي أحدهم وقد يكون غريباً، فيطلق اسماً كيفما اتفق. وبذلك يضيع الاسم شيئاً فشـــيئاً ولا يعود له وجود إلا في باطن الكتب. وقد يقدر له أن يظهر في معرض الذكريات أو البحث العلمي، أو لا يظهر.

محلة - الشمالي - في حلب من أكثر المحلات نشاطاً يقصدها أغلب أهالي المدينة لشراء حاجاتهم اليومـــية، فهي للسكن فضلاً عن أنها سوق نشيط يرتاده الجميع. في المحلة خان وجامع وثلاث قيســـريات ومقهى وحمام وفرن وسبيل وعشرات المخازن. وأكثر من فيها لا يعرف اسمها ولا اســـم صاحب الوقف الكبير فيها؛ فيدعونها تارة باسم محلة الجديدة أو سوق الجديدة، أو سوق الدجاج أو سوق بهرم، حيث فيها حمام جميل بناه بهرم باشا والي حلب في القرن السادس عشر وأمامه جزيرة من الأبنية هي جامع إبشير باشا ومقهاه والخان وبقية المحلات التي ذكرناها...

إن محلـــة الشـــمالي واحدة من عدة محلات تتشكل منها الضاحية الشمالية لمدينة حلب خارج الأســـوار. فهي شمالي خندق المدينة القديمة - شارع الخندق - الممتد من باب الحديد إلى باب الفـــرج والتي تشكلت منذ القرن الحادي عشر الميلادي. أراضي المحلة حكر للمدرسة الحلوية، وحـــين حكم حلب الوالي مصطفى إبشير باشا للمرة الثانية عام ١٠٦١ هـــ - ١٦٥١ م بـــنى في المحلـــة بعد الوالي بهرم باشا أوقافاً ضخمة : الجامع في الزاوية الشرقية - الشمالية وعشـــرات الأبنية أوقافاً له - الخان والقيسارات والمقهى و... - وكتب صكاً مستفيضاً. وكان جزءٌ من ريع الوقف يرسل إلى العاملين على خدمة الحرم الشريف والأماكن المقدسة في الحجاز. يقول المؤرخ الغزي في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب الذي طبع أوائل هذا القرن العشـــرين : -... وريـــع هذا الوقف آخذ بالزيادة يوماً فيوماً، وربما يبلغ سنوياً في هذه السنين ألفي ذهب عثماني وزيادة -...

الملاحظ أن محلة الشمالي بكل أقسامها، لا تزال تحتفظ بنسيجها العمراني القديم الذي يعود إلى القـــرن السابع عشر كما تحتفظ بفعاليتها الاقتصادية القديمة تقريباً، غير أن المقهى ويقوم حالياً أمـــام بوابة الياسمين المؤدية إلى سوق الصوف حيث متحف التقاليد الشعبية وكان يعد من أجمل

مقاهي حلب بأعمدته الرشيقة وقبابه اللطيفة وواجهاته المزخرفة - والذي استعمل أكثر من مرة مقهـــى ومخفراً للشرطة ومطحنة و... قد شوه مؤخراً. ونأمل يوماً أن يزول هذا التشويه ويعود إلى حالته الأولى خاصة وأن وزارة السياحة - كما علمت تعد مشاريع سياحية في المنطقة على غاية الأهمية ...

لقــد صــدرت مؤخراً دراسة علمية رائعة عن وقف بشير باشا، قام بها المركز الوطني للبحث العلمـــي في بـــاريس - فرنسا، أظهرت هذه الدراسة فن العمارة وتقنية البناء العالية في القرن الســـابع عشر في حلب. ونحن بدورنا نرجو لهذه المحلة ولهذه المباني الوقفية أن تحتفظ بأصالتها، فلا تصيبها الحداثة بأكثر مما أصابتها حتى الآن.

محلة الشميصاتية

ينتشر اليوم بائعو الزهر في جميع أنحاء المدينة القديمة والحديثة على السواء بمخازن متفرقة. وحين لم تكن المدينة الحديثة قد وجدت؛ كان في أحد أحياء حلب القديمة سوق خاص للزهر في محلة تدعى – الشميصاتية –. هذه المحلة واحدة من عدة محلات تشكل ضاحية بانقوسا الواقعة خارج أسوار المدينة القديمة في الطرف الشمالي الشرقي بالقرب من باب القناة أو باب الحديد كما هو معروف حالياً وهو أحد أبواب حلب القديمة، الموجودة حتى الآن.

يذكر المؤرخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب أن تسمية المحلة محرفة عن الكلمة التركية – سميزاتلي – ومعناها ذات اللحم السمين، ويعتقد أنه ربما كان يباع فيها لحم الأغنام الجيدة، بينما أورد الأستاذ عبد الفتاح القلعجي في كتابه "حلب" أن المحلة نسبت إلى جماعة سكنتها جاءت من سميساط مدينة على شاطئ الفرات من طرف الروم غربي الفرات، ولها قلعة في قسم منها يسكنها الأرمن ونحن لا نستبعد هذا الرأي، لأن مدينة حلب كانت مقصد كثير من الجماعات الذين جاءوا من الشمال وحتى من هنغاريا المجر – كما أن الأرمن سكنوا هذه المحلة مع طوائف أخرى، ثم نزحوا عنها.

لا تزال هذه المحلة قائمة – وهي بالقرب من محلة ابن يعقوب في حي بانقوسا – وكانت أكبر محلات حلب القديمة – إذ إن وجودها في أطراف المدينة الشمالية الشرقية جعلها تضم مناطق واسعة منها : الجبل الأحمر الذي تقوم عليه ثكنة إبراهيم باشا المصري، بالإضافة إلى منطقة الشيخ فارس في حي الهلك وأيضاً قرية بابللى – حالياً منطقة باب الله – أي أن هذه المحلة تحيط بمدينة حلب حتى تصل إلى أطرافها الشمالية البعيدة.

كانت هذه المحلة حياً كاملاً، ففيها أبنية السكن المنتشرة في زقاق الطليعة التي يصعد فيها الإنسان قاصداً الثكنة – وإلى طليعة الماملي نسبة إلى إحدى العائلات فيه وزقاق المدار وغيره... وفي هذه المحلة حمامان حمام الأفندي أو هنانو، وهو من أوقاف التكية المولوية الموجودة في حي باب الفرج، والحمام الجديد، وهو من الفترة المملوكية وتاريخه يعود إلى سنة ٨١٠ هـ – ١٤٠١ م وقد رمم مؤخراً وأربع مدر (مفردها مدار) لتحضير البرغل والنشاء وغير ذلك. وجامع الحدادين، وسنفرد له بحثاً خاصاً – وقسطل العقرب المحرف عن كلمة الأقرب لتوزيع مياه قناة حيلان على المحلة ومزار الشيخ إبراهيم الجركسي – ومزار الشيخ أعرابي، وتلحق مقبرة بنفس الاسم –

والـــرباط العسكري أي ثكنة إبراهيم باشا المصري، وكانت تعتبر محلة لوحدها. سنتحدث عنها بالتفصيل...

وأخـــيراً في هذه المحلة سوق هامة جداً في الاقتصاد المتبادل بين الريف والمدينة، ولا يزال قائماً يدعـــى سوق الجيج - سوق الدجاج - وخان سنو الذي لم نستطع تحديد مكانه. وكانت فيه محكمة على المذهب الشافعي...

أما خان الزهر أو سوق الزهر فهو السوق التي كانت تجتمع فيه النسوة لبيع الزهور المزروعة في حدائـــق المنازل والبساتين المحيطة - ومن الواضح أن هذه التجارة قد تقلصت كثيراً وزال قسم من السوق بعد فتح الشارع الحالي والذي لا علاقة له بالزهر لا من قريب أو بعيد...

لا تـــزال محلة الشيمصاتية قائمة بنسيجها العمراني القديم وبمنازلها الجميلة المزخرفة وسوق الجيج فـــيها والحمامـــات، غـــير أن فتح الشارع الجديد في بنقوسا قد اقتطع جزءاً من طرف المحلة الجنوبي...

إنـــنا نلفت نظر مجلس المدنية إلى هذه المحلة العريقة والثكنة المجاورة لها وسوقها القديم، لنحفظ تراثها ضمن هذه المدينة العريقة...

محلة " الشيخ أبو بكر "

قبل أربعين سنة كتب المؤرخ الحلبي الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشــهباء ما يلي : ((إذا أرسلت طرفك للشمال الشرقي من مدينة حلب تجد جبلاً صغيراً فيه عـــدة بنايات وفي وسطه أربع قباب مرتفعة وهناك أشجار من السرو؛ تحت إحدى هذه القباب ضريح الشيخ أبي بكر بن أبي الوفا رضي الله عنه - وقد اشتهر هذا المكان باسمه...))

توفي الشيخ أبو بكر عام ٩٩١ هـــ - ١٥٨٣ م غير أن التكية التي دفن فيها كانت مسجداً في عهـــد المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـــ - ١٢٨٥ م، ومعنى ذلك أن هذه الهضبة وهي في وســـط المدينة اليوم، كانت خارجها وبعيداً عنها، وعلى قمتها مسجد لا نعرف شيئاً عنه. وعلى شاكلة التكايا والمدارس التي كانت تبنى خارج المدينة، فقد بني على أنقاض المسجد تكية كـــبيرة عـــرفت منذ القرن العاشر الهجري أي القرن السادس عشر الميلادي - مقراً لدراويش الطريقة الوفائية - إحدى الطرق التي انتشرت في حلب...

وحين جاء العثمانيون إلى حلب عام ١٥١٦ م سميت الهضبة " أورته تبة " بمعنى الهضبة الوسطى لأنها كانت تتوسط بين جبل الغزالات حيث ثكنة إبراهيم باشا المصري وجبل العظام، حيث لا تـــزال المقـــبرة المعـــروفة إلى الـــيوم. ونظراً لارتفاعها وبعدها وأهميتها، فقد درج ولاة حلب العثمانـــيون علـــى النزول فيها أولاً لدى استلامهم مناصبهم، ومنها يدخلون المدينة بمراسيمهم المعتادة. وبقيت على هذا الشكل حتى نهاية القرن التاسع عشر. ولقد ذكرنا في مقالنا عن زقاق الطـــويل - الصراع الذي جرى بين أهالي حلب والوالي العثماني خورشيد باشا الذي تحصن في الهضـــبة المذكـــورة، واعتصـــم فوقها إلى أن انتهى في عام ١٨١٩ م. في عام ١٢٧٩ هـــ - ١٨٦٢، ١٨٦٣ م بـــدأ البناء حول التكية، وتكاثر في عام ١٣١٥ هـــ - ١٨٩٧، ١٨٩٨ م على الأراضي الوقفية العائدة إلى التكية. وفي عام ١٣٢٥ هـــ - ١٩٠٧، ١٩٠٨ م بنى محمد أســـعد الجابـــري قصراً له قرب الهضبة و لم يسكنه إلى أن جاءت هجرة الأرمن إلى حلب عام ١٣٤٠ هـــ - ١٩٢١، ١٩٢٢. فسكنه المهاجرون إلى اليوم وأعطوه اسم بلدهم في الأناضول ولا يزال يعرف بخان الزيتون...

وهكـــذا تطـــور هذا الحي الصغير، وقد لاحظت بلدية حلب في بداية عهد الاستقلال ضرورة الحفـــاظ على مظهر الهضبة كما ذكره المؤرخ الطباخ، فوضعت له نظاماً عمرانياً خاصاً، بحيث

مـــنعت أي بناء يعلو فوق مستوى أرض التكية. وهكذا جاءت لوحات الفنانين وصورهم عن حلـــب معبرة عن هذا المنظر الذي تميزت به الهضبة، ولا يقل من حيث الأهمية عن قلعة حلب نفسها.

وكالعـــادة، ألحـــق بهذا الحي مناطق واسعة شمالي المدينة مثل الميدان الأخضر ومبنى دار المعلمين والعين البيضاء وعين التل.

والآن يتبادر لنا السؤال التالي أو الأسئلة التالية :

١. هل بقيت هذه الهضبة تاريخياً كما عرفناها أي هل حافظنا عليها ؟

٢. هـــل بقـــيت هـــذه التكية تحكي تاريخها : مقراً لطائفة الدراويش الوفائية، ومقراً للولاة العثمانيين... ؟

٣. هل بقيت رؤوس أشجار السرو المعمرة تطل من على الهضبة على مدينة حلب كما كانت في لوحات الفنانين وصورهم ؟

هل من جواب لهذه الأسئلة ؟؟.

محلة الطبلة

يـــرى الـــبعض أن الاهتمام بالمدينة القديمة وآثارها ينحصر في مباني ضخمة بارزة متفرقة وفي مركـــزها التاريخـــي. إن هؤلاء مثلهم مثل بعض المؤرخين الذين كتبوا للأمير والسلطان وحده وأهملوا الحديث عن بقية أفراد المجتمع بطبقاته وفعالياته وأثرهم في التاريخ...

إن اهتمامـــنا بحلـــب، بالقلعة والجامع والمدرسة والأسواق فقط، لا يعطينا الأهمية التاريخية التي تســـتحقها مدينة حلب القديمة بأحيائها وأزقتها وبواباتها - وما تضمه من أوابد تاريخية تحكي قصة تطور هذه المدينة العريقة عبر تاريخها الطويل ونسيجها العمراني الكامل...

إن حياً صغيراً أو جزءً من حي إذا ما درس دراسة وافية يعطينا الكثير من المعلومات التاريخية : اقتصـــادية واجتماعية وسياسية وغيرها، ويلقي الضوء بالتالي على مجموع المدينة بل إنه يكشف عن معلومات لم يهتم بها مؤرخ الأمير والسلطان فيما كتب.

إن الكـــثيرين في حلب لا يعرفون ما يجب معرفته عن محلة - الطبلة - حتى القاطنين فيها، رغم أنها أحد محلات حلب المسجلة في السجل المدني. وإن البعض يعرفها باسم آخر، وهو محلة زين الدين...

تقـــع هـــذه المحلة خارج أسوار المدنية القديمة وبالقرب منها، وهي جزء من الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة. وتتوسط الطريق بين الضاحية ومركز المدينة القديمة داخل الأسوار. نصل إليها عـــن طريق باب النصر، أحد أبواب حلب المختبئ المغمور، الذي يذكرنا دائماً بالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي وأعماله الخالدة. هي من المحلات القديمة وتشكل وحدة عمرانية متكاملة. كما كان الأمر في محلات أخرى في الفترة المملوكية والفترة العثمانية التي تلتها، فهي تضم سوقاً وخانات وقيسريات وأفراناً وحمامات تكتفي اكتفاءً اقتصادياً ذاتياً، خلال الأزمات وما أكثرها آنذاك.!

يعـــود تاريخ جامع الزكي والأسواق المجاورة له، وهي أقدم مبانيها، إلى عهد المماليك أي إلى أكثر من ستمائة عام قبل اليوم...

فقـــد وجد عام ٧٠٠ هـــ - ١٣٠٠ م. شيد الجامع علي بن سعيد الزيني، أمير في دولة المماليك - كمـــا يقـــول الغزي والطباخ - ثم جدده محي الدين محب، وله محلة مجاورة باسمه، عام ١١٣٧ هــ - ١٧٢٤ م ونسب الجامع إلى عمر بن محمد وشهرته " الزكي "، توفي عام ٩٤٦ هـــ - ١٥٣٩ م...

إلى جانـــب الجامع تقوم زاوية البعاج، وتنسب إلى الشيخ عمر الحسيني الوفائي الشهير بالبعاج حيث لا يزال قبره وقبر ابنه فيها. وقد توفي عام ٩٤٦ هـــ - ١٥٣٩م أيضاً، وجددها بعدهما محمد هاشم عام ١٣٣٦ هـــ - ١٩١٧ م. أما حمام القواس المجاورة للزاوية - ولا نعرف سبب التسمية - فقد ذكرها المؤرخ ابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ هـــ - ١٤٣٩ م. وهي ما زالت قائمة، ولكنها مهملة، وتنهار شيئاً فشيئاً.. وهي من أوقاف حسين باشا البابي جد بني ميسر. وإلى جانب الحمام تقوم قيسرية القواس، ولا تزال فيها صناعة النسيج اليدوية التي تتقلص لهجـــرة أفـــرادها إلى الـــبلاد المجاورة، فهي قائمة فيها كما كانت منذ عدة مئات من السنين واشـــتهرت حلب بها عالمياً. كما يوجد في المحلة مسجد الشيخ صالح الكيلاني. وقد كتب على بابه : - الله عوني جابري ميسر عبد القادر و لم نستطع معرفة المقصود منها.

ســـكنت جميع الطوائف محلة الطبلة وخاصة الأرمن وعاشت بسلام كما في مجموع حلب كلها حـــتى فتـــرة متأخرة؛ حيث نزح معظمهم إلى المدينة الحديثة. كما نزح سكانها القدماء، وحل محلـــهم سكان الأحياء المجاورة، وبعض المهاجرين من الريف وقد هجرت لذلك الدور الكبيرة والجمـــيلة، فأصابها الإهمال والتهديم. غير أن نسيج المحلة العمراني لا يزال قائماً في كل تفاصيله عدا بعض الأبنية الحديثة التي حلت محل بعض الخانات التي كانت تبيع حتى فترة قريبة الأخشاب كغيرها من الخانات المجاورة.

تلك نبذة تاريخية عن محلة لا تعرف شهرة القلعة أو غيرها، رغم أنها من أقدم الأوابد في حلب. يجـــب علينا أن نعرفها قبل أن نقرر شيئاً في حلب القديمة، فتذهب هي وتاريخها العريق ضحية الجهل بها كما ذهبت محلات مثلها وأقدم منها، فهل نعتبر؟ !!.

خان النحاسين

ما زال في جعبتي الكثير من الأحاديث وخاصة في القسم الأول منها عن أحياء حلب القديمة التي لا تزال تحتفظ بذكريات المئات من السنين غير أنني رأيت الكتابة اليوم عن حدث أثار اهتمامي يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً. ولابد لي من مقدمة قبل أن أعرض الحدث المذكور...

عُرف التاجر الحلبي منذ أكثر من سبعمائة عام بنشاطه الواسع؛ فقد عمل على نقل تجارته من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب عبر مدينة حلب، هذه المدينة التي كانت مزدهرة بأسواقها وخاناتها وقيسارياتها؛ والتي لا تزال قائمة حتى اليوم شاهدة على حركة تجارية واسعة شملت العالم القديم المعروف في ذلك الوقت.

وقد عاشت في حلب جاليات أجنبية تعمل بالتجارة جاءت من مختلف دول العالم سكنت في الخانات والقيساريات حيث كانت الطوابق الأرضية مستودعات ومخازن للبيع، والطوابق العليا لسكنها ومعاشها.

وقد استمرت منذ حوالي عام ١٢٢٠ م حتى عام ١٨٢٢ م حيث حدث الزلزال الكبير الذي دمر نصف حلب، وقتل أكثر من خمسة عشر ألف حلبي؛ عندها سمح السلطان العثماني محمود الثاني للجاليات الأجنبية بمغادرة سكناها في الخانات إلى خارج أسوار المدينة، ورغم ذلك بقي بعضها حتى وقت قريب جداً وخاصة في خان النحاسين في مدخل سوق المحمص، أحد أسواق المدينة القديمة...

في خان النحاسين هذا لا يزال أقدم منزل من منازل الجاليات الأجنبية بني عام ١٥٣٩ م. في الخان نفسه كانت القنصلية البلجيكية العامة، وأحدثت بدلاً عنها القنصلية الفرنسية العامة فترة من الزمن. وفي مدخل الخان أقيمت لوحة مرمرية كبيرة تخليداً لذكرى مستشرق مجري معروف هو شاندرو كوروشي تشوما وذكرى مروره بحلب، وفي الخان المذكور عام ١٨٢٠ م أي قبل نيف ومائة وسبعين عاماً خلت.

إننا لسنا في صدد الحديث عن الخان فله حديث طويل، إنما أردنا اليوم الحديث عن الذكرى المائة والخمسين لوفاة المستشرق المجري المذكور أستاذ اللغات الشرقية والتي تم الاحتفال بها في الخان المذكور وأمام اللوحة المرمرية، حيث جاء السيد سفير المجر المعتمد لدى الجمهورية العربية السورية بدمشق وأركان سفارته بصحبة المسؤولين بحلب والقنصل المجري لدولة المجر وحضور الجالية المجرية فألقيت الكلمة المناسبة، ووضع إكليل من الغار مع شرائط تحمل ألون العلم المجري.

لقد أردت من هذا الحديث الإشادة بالتاجر الحلبي العريق ذي الصلات الدولية الواسعة والثقافة الكبيرة. ففي عام ١٨١٩ م بدأ العالم المجري شاندرو رحلة طويلة من بلاده نحو الشرق بحثاً عن الموطن الأصلي لشعب المجر. وفي نيسان عام ١٨٢٠ م وصل من بيروت إلى اللاذقية حيث سار مشياً على الأقدام إلى حلب؛ حيث بقي فيها حوالي ثلاثة أسابيع وأقام علاقة صداقة حميمة مع تاجر حلبي استقبله، واستضافه عنده، وساعده في رحلته هذه عبر بغداد وإيران ثم بخارى وأفغانستان حتى وصل عام ١٨٢١ م إلى الأراضي الهندية. ومنها زار منطقة التيبت وهمالايا. لقد قدم التاجر الحلبي ولا نعرف اسمه حتى الآن، مساعدات أخرى للعالم المجري في رحلاته الأخرى إلى الشرق الأقصى. وفي عام ١٨٤٢ م عاد شاندرو الأستاذ المجري الكبير إلى التيبت ليتابع أبحاثه، ولكنه أصيب بمرض وتوفي في نيسان من ذلك العام.

لقد خلد المجريون عالم اللغات. ونحن خلدنا ونخلد التاجر الحلبي، وفي مقر دياره في خان النحاسين أيضاً وسنخلد دائماً تاريخ مدينتنا حلب العريقة وأسواقها وخاناتها وكل حجر فيها وفي كل مناسبة. ونرجو أن يعترف الآخرون بخلودها هذا، فيعملوا على حمايتها أبد الدهر.

محلتنا : عبد الحي وعبد الرحيم

التاريخ ذاكرة الشعوب والويل لشعب يضيع تاريخه! فإنه يقطع جذوره بيده، وتضيع بالتالي معالم هويته الأساسية، ويفقد مقومات حياته حتى القومية منها...

أتيت بهذه المقدمة لأني خلال بحثي المستمر عن أحياء حلب وإبراز أهميتها التاريخية والتعريف بها وبالتالي الاهتمام بها والحفاظ عليها كتراث نفخر به وماض نعتز به ونتطلع من خلاله إلى مستقبل نريده مشرقاً ومشرفاً. خلال بحثي هذا كنت أتعثر أحياناً في معرفة سبب تسمية أكثر من حي ومحلة. من هذه المحلات : محلة عبد الحي ومحلة عبد الرحيم، وهما في الضاحية الشمالية خارج أسوار المدينة القديمة والمعروفة اليوم بالجديدة.

إن أهمية هاتين المحلتين لا تقل عن أهمية المحلات الأخرى. فإن محلة عبد الحي، وتضم اليوم جزءاً من ساحة الجديدة المعروفة سابقاً بساحة الحطب والطريق المؤدي إلى شارع التدريبة وفيها قيسرية، وأكثر من مخزن لبيع الحلويات وعشرات الدكاكين، كانت في الماضي وقفاً على المدرسة الأحمدية في الجلوم والمدرسة الحلوية أمام الباب الغربي للجامع الأموي، كما يوجد في المحلة جامع شرف والقسطل المجاور له وهما من أواخر القرن الخامس عشر ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أي خلال الحكم المملوكي لحلب.

لم نعرف نسبة هذه المحلة إلى عبد الحي سوى أن مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي ذكره في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب أن عبد الحي بن عبد الله قد أوقف عقارات متعددة في هذه المحلة عام ١٣١١ هـ - ١٧١٨ م وفي عام ١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م فهل نسبت هذه المحلة إليه بسبب هذا العمل الخيري ؟ لا ندري ! لقد كانت هذه المحلة تضم أكثرية سكانها من الطوائف. وقد استرعت انتباه المسؤولين مؤخراً ووضع مشروع ضخم لترميم مبانيها، رغم أن جامع شرف والقسطل المجاور له بحاجة جيدة - وسنفرد لهما بحثاً خاصاً - القسطل المحمي بحاجز حديدي قامت بوضعه الإدارة المحلية يضاف إلى ذلك أنه كانت في المحلة مدرسة للبنات تحت إدارة الراهبات اليسوعيات، يعلمن فيها اللغتين العربية والفرنسية وبعض المهن اليدوية. وكانت من أولى المدارس في حلب.

أمـــا محلة عبد الرحيم المجاورة والتي تقع في الجهة المقابلة من حي الأربعين، أي في منتصف حي التدريـــبة وتتعامد معه، فقد كانت هي الأخرى تضم دكاكين كانت وقفاً على المدرسة الحلوية وكانت الطوائف تؤلف أكثرية سكانها. فيها مسجد القلومي الذي لم نقف أيضاً على سبب تسميته وإن كـــان المؤرخ الغزي يذكر أن أوقاف هذا الجامع تعود إلى عام ١١٣١ هـــ - ١٧١٨ م، في الفتـــرة العثمانـــية، ولا يـــزال مسجد يحمل الاسم نفسه منقوشاً فوق المدخل بعبارة وحيدة - مسجد قدومي - دون ذكر شيء آخر.

وفي المحلة كانت قيسرية ضخمة تعرف باسم قيسرية البطرك هدمت مؤخراً، وحلت محلها أبنية جديدة غير أن المنطقة لا تزال تحمل الاسم نفسه والاسم معروف للجميع في المحلة، لعبت هذه القيســـرية دوراً اقتصادياً هاماً كغيرها من قيسريات محلة الجديدة، فقد كانت تنسج فيها يدوياً أنواع السجاد الحلبي القديم والذي اكتسب شهرة عالمية إلى جانب السجاد العجمي المعروف.

والســـؤال الآن هـــل هناك من يفيدنا عن سبب تسمية هاتين المحلتين، أو تكشف لنا الوثائق في المستقبل شيئاً من ذلك؟ وعندها نستطيع أن نوثق ونسجل هذه المعلومات.

لقـــد بذل المؤرخان الحلبيان الحديثان الغزي والطباخ جهداً كبيراً، ووضعا الأسس. وعلينا أن نكمل المعلومات، وننشرها ليعرفها الجميع؛ وبالتالي لا يطلقون التسميات الحديثة التي لا تمت إلى الماضي بصلة، فتضيع ذاكرة الشعوب، وتتبدل الهوية أو نصبح بلا هوية.

حي العريان

ظهــر الاهــتمام مؤخراً بمراكز المدن التاريخية؛ أي المركز والنواة الأساسية لكل مدينة والتطور الــذي جــرى على هذا المركز حتى وصلت المدينة إلى حالتها الحاضرة، فهناك باريس القديمة ولــندن التاريخية والقاهرة الأولى. وإن اهتمام السلطات الأثرية لم يعد يقتصر على مباني تاريخية متفــرقة كالجامــع أو البيمارستان لوحده. لقد أصبح الاهتمام منصباً على المركز القديم بأزقته وحواريه وأبوابه وبوابته وأرضيته وحجارته.

ومركز مدينة حلب التاريخي لا يزال قائماً وإن أصابه بعض التعديل الخطير حيناً والبسيط حيناً آخــر. ومــن المعروف أن أوراق هذا الكتاب تدرس الآن الأحياء القديمة، وما طرأ عليها من تطور.

إن حــي العريان أو جقور قسطل - قسطل الجورة - شرقي سوق النحاسين حتى ساحة باب الحديد ويوازي شارع الخندق من الجهة الشمالية، عرف تبديلاً كبيراً من الناحيتين الاجتماعية والاقتصــادية والعمــرانية أيضاً، إذ لا تعود أبنية الحي الحالية في قدمها لأكثر من مائة عام لأن أوابدها القديمة قد دثرت. فقد كانت فيه مدرسة تنسب إلى والد حسن بن بلبان المعروف بابن المهمــندار بــاني الجامع المعروف باسمه في حدود القرن الرابع عشر، وكان فيه مدرسة أخرى للحنفــية هي مدرسة ذي القدرية أنشأها الأمير ناصر الدين محمد بك بن ذي القدر وقرر فيها الشيخ شهاب الدين المرعشلي، كما كان فيها قسطل ينزل إليه بإحدى عشرة درجة لتوزيع مياه قناة حيلان على الحي يعرف بالتركية باسم جقور قسطل، ونسب إليه الحي وقد جدد القسطل عــام ١٣٠٦ هــ - ١٨٨٨ م، إلا أنه ردم منذ أربعين سنة حين لم تعد الحاجة ماسة إليه بعد أن نقلــت مــياه عــين التل بأنابيب معدنية، فضلاً عن حمام وقيسرية لحياكة الأقمشة وخان دلالباشــي وقســطل السوســي الذي أنشأه بدر الدين السوسي عام ١٢٧٦ هــ - ١٨٥٩ م وكنيستين : الأولى كنيسة بشارة الإنجيل للبروتستانت بنيت عام ١٢٨٤ هــ - ١٨٦٧ م والثانية كنيسة مار جرجس للكاثوليك الأرثوذكس اشترك معهم فيها الأرمن الأرثوذكس منذ عام ١٨٩٣ م. وقد دثرت هاتان الكنيستان مؤخراً، وبقي القليل من بنائهما لا يزال تحت بناء حديث. كما اشتهر في الحي قناق " دار كبيرة " بني الجزماتي. وكان يسكن فيها كاتب سر الوالي خورشيد الــذي قاومــه الحلبــيون في ثورتهم ضده عام ١٨١٩ م. وتحدثنا عنها خلال بحثنا عن زقاق الطويل.

رغم اندثار أكثر أبنية الحي القديم، فقد بقي النسيج العمراني القديم، وخاصة مسجد العريان الــذي نســب إليه الحي، وفيه ضريح الشيخ العريان الذي عرف بهذا الاسم، لأنه كما أورد المــؤرخ الطباخ أنه كان يتجرد من ثيابه حين تأخذه الحال. ونعتقد أنه يوسف العريان الذي أوقف أوقافاً كثيرة في الحي في عام ١١٤٣ هــ - ١٧٣٠ م، فضلاً عن أوقاف وصفية بنت سعيد وتاريخها ١١٩٩ هــ - ١٧٨٤ م.

ســكن هــذا الحي عدد من الطوائف، وعملوا فيه فقد كان الأرمن بشكل خاص يعملون في صياغة الحلي الفضية، وخاصة الخلاخيل التي تلبس في رجل واحدة أو الرجلين. وغالباً ما يلبسه الأولاد الصــغار. ثم تــبدلت صــناعتهم، فعملوا في استصناع السكاكين ومقابضها من قرون الحــيوانات ثم انتشــرت صناعة الأوعية المعدنية التي تستعمل للخبز - الصاج -. وأخيراً وبعد الحــرب العالمــية الثانية وبعدها انتشرت في الحي، ولا تزال، صناعة أواني متعددة من إطارات السيارات المستعملة. وتعتبر من الصناعات الهامة، وخاصة لسكان الريف، بحيث تنافس صناعة الأواني البلاســتيكية والمعدنية من الألومينيوم. وهذه بدأت تزول أيضاً، ويحل محلها النحاسون يطرِّقون أوانيهم النحاسية.

أخــيراً لــيس المهم أن نعترف بمبدأ حماية المركز التاريخي لمدينة حلب، بل يجب أن نهتم بحفظه وصيانته وترميمه ونظافته. وبذلك نكون قد حفظنا هوية مدينة حلب القديمة من الضياع.

حي العزيزية

لـــيس المقصـــود من دراسة تخطيط المدن هو التفكير بتوسع المدينة لتستوعب أكثر فأكثر. بل المقصود أيضاً هو دراسة تاريخ المدينة وتطورها على مدى قرون وقرون. ومدى ملائمة تخطيط هـــذه المديـــنة لعوامل اجتماعية ومناخية واقتصادية وغير ذلك، فما ينطبق على مدينة في شمال أوربة لا ينطبق على مدينة في بلادنا.

حـــين توسعت مدينة حلب القديمة خارج الأسوار، نشأت أحياء جديدة تختلف قليلاً عما هو داخل الأسوار. ظهرت فيها منازل جديدة تشابه إلى حد كبير المنازل التقليدية.

ففـــي عـــام ١٢٨٥ هـــ - ١٨٦٨ م، أرادت الحكومة العثمانية أن تحصل على تمويل لمدرسة الصنائع - إصلاح خانة - فبدأت ببيع أراضي للبناء في مرتفع قريب من مجرى نهر قويق يعرف بجـــبل النهـــر بقيمة قرش أو قرشين للذراع المربع، فأسرع أهالي حلب لشرائها، وأغلبهم من سكان الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة من الطوائف والمسلمين. وهكذا بدأ يظهر حي جديد عرف بالعزيزية وربما نسبة إلى السلطان عبد العزيز كمحلة السليمية والجميلية وغيرها. حتى إن المنطقة عرفت باسم أرض المشنقة ؟ لفترة ما، وكانت فيها أراضي وقفية للمدرسة الحلوية والجامع الأموي. غير أن اسم العزيزية استمر. واسم أرض المشنقة لم يعد يذكر سوى في الكتب.

يصف الشيخ كامل الغزي موقع حي العزيزية بأنه صحراء واسعة لسباق الخيل، وفي الربيع منتزه للنســـاء حـــتى غـــياب الشمس، حيث يصبح الموقع بعد الغروب مرتعاً لقطاع الطرق ويخاف الإنســـان المـــرور فيه. فاضطرت الدولة العثمانية أن تبني مخفراً للشرطة لحماية السكان في عام ١٩٠٠ م وهـــو المـــبنى المعروف اليوم بقسم العزيزية للشرطة. كما نظمت بلدية حلب حديقة رائعـــة عرفت بالمنشية وجعلت لها حوضاً على شكل مضائق البوسفور والدردنيل، وهي اليوم مركز انطلاق باصات النقل الداخلي المعروف بالمنشية القديمة.

توســـع حـــي العزيزية وكان البناء فيه يجمع بين القديم والحديث حيث إن كل بناء يضم باحة داخلـــية وحديقة وحوضاً فضلاً عن قسم بني على الأسلوب الحديث. وكانت المباني كلها على نسق واحد كما يذكر الشيخ كامل الغزي، كما بنيت في الحي مباني وقفية تتبع كنيسة الأرمن الأرثوذكس، وأخرى تتبع كنيسة السريان الكاثوليك.

وكانـــت حدود محلة العزيزية آنذاك واسعة جداً فهي تمتد على أطراف التلل والبساتين الواقعة علـــى أطراف النهر كبساتين القبار والريحاوي والحجازي وكور مصري والعويجة. كما تصل حـــدود المحلـــة غـــرباً إلى منتـــزه السبيل الحالي وشرقاً إلى جبل البختي بالقرب من المستشفى العسكري السابق. ولما كانت أكثرية السكان من الطوائف فقد بنيت في المحلة عدة كنائس، مثل كنيســـة الطائفـــة الكلدانية مار بطرس بنيت بين عامي ١٨٨٢ م و ١٨٨٦ م وهدمت مؤخراً وقامـــت محلـــها عـــبَّارة في شارع محمد عبده، ثم مدرسة راهبات مار يوسف جان دارك عام ١٩٠٧ م ولا تـــزال قائمـــة، ثم مدرسة الرهبنة البيضاء الفرنسيسكانية عام ١٩٠٩ م وكنيسة اللاتـــين وقـــد هدمت وقامت مكانها كاتدرائية اللاتين الحالية، ومستشفى أنطونيان وهو حالياً إعداديـــة الحكمة. وقد هدم مؤخراً ولا ندري ما الذي سيحل محله... !! وأخيراً منتزه السبيل عام ١٨٩٨ م ومحطة بغداد في عام ١٩١٢ م.

إن لحـــي العزيـــزية تاريخ حافل؛ ولمبانيه التي تنهار واحدة بعد أخرى ماضٍ كبير سنتعرض له، ويكفـــي أن نلمح إلى أن فيها دار الإمارة، وسكنها الشريف ناصر حاكم حلب عام ١٩١٨ م نائباً عن الأمير فيصل، حتى إن فيصل حين جاء إلى حلب في عام ١٩١٩ م أقام في الحي نفسه، وكذلك الجنرال اللنبي عام ١٩١٩ أيضاً.

بعـــد هذا كله، نتساءل، لماذا لا نحتفظ بالبقية الباقية من أحياء هذا الحي الجميلة، لنحفظ لهذا الحـــي هويته وتاريخه، وهي هوية حلب وتاريخها ؟ أم نبقى بلا تاريخ وبلا هوية. وقد علمنا مؤخراً أن مشروعاً كبيراً بمساعدات علمية دولية يدرس المباني الباقية.

حي العطوي

لم تتوفر لمدينة حلب القديمة دراسة علمية عريقة كما توفر لغيرها. لقد كتب عنها الكثيرون منذ ابن العديم المتوفى عام ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م وحتى الشيخ الراغب الطباخ المتوفى عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م وكانت كتابات هؤلاء تؤرخ لحياة المدينة السياسية والفكرية وتضع لها وصفاً عمرانياً عاماً.. ولكن منذ فترة ليست بعيدة اهتم بعض الباحثين الأجانب بدراستها دراسة عمرانية علمية نشر بعضها باللغة الأجنبية، حتى لإن الندوات التي أقيمت لحماية المدينة لم تنتشر وإن ما تقوم به الدوائر الرسمية صاحبة العلاقة من إحصائيات ودراسات يبقى أيضاً دون نشر.

لقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة ما أراه من نقص كبير في المصادر والدراسات المنشورة واقتصارها على الوصف دون البحث والتعليل. وإنني إذ أضمن بحثي الآن عن أحياء حلب لاحظت أن أكثر من حي لم يدرس بشكل كاف، ومثال ذلك حي العطوي الذي أهملت دراسته رغم أهميته. و لم يحظ من مؤرخنا الشيخ الغزي قبل وفاته عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م إلا بقليل من الوصف.

حي العطوي الصغير والكبير محلتان قائمتان حتى اليوم خارج أسوار المدينة القديمة في الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة بالقرب من باب النصر، تمتدان من داخل باب النصر باتجاه الغرب حتى قرب سوق الجديدة، وتعتبران من الأحياء الجديثة نسبياً وذات أهمية عمرانية. بني الحي على أنقاض مقابر اليهود التي كانت خارج الأسوار قرب باب اليهود. وهو الباب الذي هدمه الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، ثم أعاد بناءه، ودعاه باب النصر قبل حوالي سبعمائة سنة. ثم أصبحت معظم أراضي المحلتين وأبنيتها وقفاً للمدرسة الحلوية القائمة أمام الباب الغربي للجامع الأموي الكبير.

ازدهر حي العطوي قبل أكثر من مائة عام؛ ففيه أبنية للسكن جميلة وواسعة، كان أكثر سكانها من الطوائف وخاصة الروم الكاثوليك والسريان. وفيه ثلاثة مدر أحدها مدار عجان الحديد، وقد توقف منذ أكثر من خمسين سنة، ومدار حاج محمد صباغ، وقد توقف أيضاً. و لم يبق سوى مدار أبي عثمان مدراتي مازال يعمل في إنتاج النشاء؛ وهذه المدر الثلاثة لم يذكرها الشيخ الغزي، وكذلك القيسرية والمطحنة التي تعمل اليوم لإعداد قوالب - البوظ - وأخرى في شرقي

الحـــي كانت للخواتمي، ثم توقفت الآن؛ وقد اكتفى المؤرخ الغزي بذكر مسجد رمم في عهده وقســطلين فقط حتى إنه لم يذكر سبب تسمية الحي التي يعتقد أنها جاءت نسبة إلى الحاج عطا الله الكلزي. وفي المحلة اليوم قبر ينسب إلى الشيخ محمد عطوي وولده. ولا نعرف من هو، وإن وجود الضريح المذكور ساعد على بقاء اسم الحي حتى الآن.

إن من أهم ما يجب معرفته في هذا الحي أن الحدود الجنوبية لهذا الحي كانت خندقاً عميقاً يفصل بين المدينة وأسوارها والضاحية الشمالية الجديدة، وكان الخندق يعرف بخندق العطوي حتى عام ١٣١١ هـــ - ١٨٩٣ م حيث أمر الوالي العثماني عثمان نوري باشا في ولايته الثانية بردمه. واســتمرت عمليات الردم حتى عام ١٣١٧ هــ - ١٩٠٠ م، حيث انتهى الردم بفتح الجادة العظمـــى كما يدعوها الغزي بين باب النصر وجامع السهروردي الكائن في قسم شرطة النجدة حالياً؛ وعرفت هذه الجادة عند العامة بدرب العربية، لأن العربة الحنتور السوداء كانت الوحيدة الـــتي تـــرتاده مع عربات النقل المعروفة والتي انقرضت هي الأخرى مع الحنتور. ويوجد نموذج عنها أمام مدخل فندق الأمير بحلب. إن فتح هذا الشارع العريض قد ساعد على تشييد الأبنية العالية في حي العطوي والمشرفة على الجادة العريضة المعروفة اليوم بجادة الخندق. وهي في الواقع قسم من حي العطوي الهام، والذي لا يعرفه سوى القليل من الباحثين.

حديثنا هذا دعوة إلى دراسة تطور المدينة القديمة دراسة علمية عميقة. وهي اليوم لدى الباحثين الأجانـــب النموذج الحي الكامل لمدن العالم العربي الإسلامي. فلنسرع بها قبل أن تزول حلب القديمة أو تتغير معالمها، فلا نعرفها ونفتش عنها في بطون الكتب وفي الدراسات الأجنبية.

فهل لا نزال غافلين عنها...؟!

حي العوينة

لابــد من التأكيد، ولأكثر من مرة على ضرورة البحث التاريخي العميق عن تاريخ مدينة حلب حين نعمــل على تسمية الشوارع والأزقة والحواري البوابات، حتى الحديث منها، فنعيد التسميات القديمة التي تعطينا تاريخها والأحداث التي جرت فيها. فالأسماء القديمة مقدسة لأنها ترتبط بالهوية التاريخية. فهــل يســتطيع شعب أو فرد أن يعيش بلا هوية وبلا نسب، ونحن أمة عرفنا أنسابنا منذ فجر تاريخنا.

إن الحــديث عن محلة العوينة التي لم يعد يذكرها إلا القليل من أهالي حلب يطول، ولكن لا بد مــن استعادة الذكريات - فقد تضافرت العوامل على محو ذكرى هذه المحلة، فلم تعد تذكرها لافتة صغيرة أو كلمة على هوية - أو حتى في سجلات المدينة.

تقوم محلة العوينة إلى جانب دار الحكومة - السراي العتيقة - ملاصقة إلى بابها الغربي شمالي الجزء الــذي اســتعمل ســجناً - السجن القديم. ويذكر المؤرخ الغزي أنها كانت زقاقاً يحجز بين دار الحكــومة والخندق ويقصد شارع الخندق الحالي في منطقة المفرق مع شارع تراب الغرباء. وكان يطلــق على هذا الجزء اسم خندق العوينة - إن العوينة في الأصل عين ماء تجري؛ في مكانها اليوم مــدخل حي الجبيلة من شارع الكواكبي كان المرضى يقصدونها يوم السبت قبل طلوع الشمس كما يقول المؤرخ الطباخ - يغتسلون بها - ولها ذكر في الخواصات التي بحلب، لا تذكر المصادر التاريخية القديمة متى جفت - وربما قبل حوالي مائة عام مضت وقد بني مكانها قسطل تجري المياه إليه من قناة حيلان عرف بقسطل العوينة، لا يزال يذكره بعض القاطنين في حي الجبيلة ممن هم في العقد الثامن من العمر، وقد بني المسجد العمري فوق القسطل، وبنيت دار إلى جانبه ومرافق أخرى.

وبين عام ١٣١١ هـــ - ١٨٩٣، ١٨٩٤ م وعام ١٣١٥ هـــ - ١٨٩٧، ١٨٩٨م اشترت الحكومة العثمانية دوراً في محلة العوينة من الباب الثاني لدار الحكومة المعروف بباب السجن أمام تربة الجبيلة إلى ساحة باب النصر، وخربتها، وردمت الخندق المعروف بخندق الروم أو العطوي - وفتحت الجادة بين العوينة والخندق -

ولأهمية هذه الجادة، لأنها تجاور دار الحكومة، أقامت الحكومة دولاب هواء فوق مضخة يشابه ما وضعته في منتزه السبيل لإخراج الماء حيث كانت العين سابقاً، وتوزيعه على المدينة القديمة، ضمن أنابيب معدنية، وقد دفع لذلك ثلاث آلاف ذهب عثماني كما يقول المؤرخ الغزي – غير أنه ما لبث أن تعطل.

وحـــين نقلت مياه عين التل إلى حلب في أوائل هذا القرن، وبني خزان كبير لها في محلة الهزازة مـــدت الدولـــة : أنابيب حديدية مع محرك ناري – كما تذكر المصادر التاريخية – إلى حوض العوينة قرب مقبرة الجبيلة لتوزع في أقنية لسقاية بعض المحلات الجنوبية من مدينة حلب في عام ١٣٣٥ هـــــ – ١٩١٦، ١٩١٧ م بمبادرة من جمال باشا القائد العام في الحرب العامة – تلك هي محلة العوينة ودورها في تطور المدينة القديمة بحلب.

ونحن نتساءل اليوم – لماذا لم نبق على دار الحكومة في محلة العوينة – وتاريخها حافل ؟

ثم إن محلة العوينة قد زالت أقسام كبيرة منها. فلماذا لا نذكرها بلوحة معدنية صغيرة؟

هل نقصد بإهمالنا هذا أن نطمس تاريخ المدينة، ويحفظه غيرنا ؟

محلة العقبة

لقد اجتمع تاريخ مدينة حلب كله، منذ أقدم عصورها إلى اليوم في محلة واحدة لا تزال قائمة. فقـــد أظهـــرت الدراسات المتوفرة لدينا حتى الآن، والشواهد التاريخية المتاحة، أن محلة العقبة كانـــت حلب الأولى منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة، ومن يدري فقد تتيح الحفريات الأثرية - لو جرت فيها - إلى إظهار آثار أقدم من ذلك التاريخ بكثير.

إن ارتفـــاع محلة العقبة ووقوعها إلى جانب نهر قويق، وكان غزير المياه، قبل أن يقطع الأتراك مجـــراه، وهي أهم الصفات الأساسية للتجمعات السكانية في العصور القديمة، والواقع أن وجود تـــيجان الأعمـــدة البازلتية والكلسية منتشرة في أرجاء المحلة، وفي واجهة جامع القيقان ثم بقايا الأعمدة الحجرية في جدرانه، يعتبر شاهداً على قدم هذا الموقع، وأن النصب الحثي البازلتي المعاد بـــناؤه في الجـــدار الجنوبي للجامع المذكور والذي يعود إلى القرن الرابع عشر قبل ميلاد السيد المســـيح، يثـــبت وجود التجمع السكني القديم في محلة العقبة، وفي فترة الحكم الحثي في شمال سورية، وفي محلة العقبة بالذات بالإضافة إلى مرتفع القلعة.

في القرن الرابع قبل الميلاد، وفي عهد الإسكندر الكبير المقدوني - ذو القرنين - أصبحت حلب ضـــمن إمبراطوريته الواسعة، وقام خليفته سلوقس نيكاتور ببناء الشارع المستقيم في بداية محلة العقبة وعلى طرفها الجنوبي والذي لا يزال إلى اليوم، ويمتد من باب أنطاكية إلى مرتفع المدينة - الاكـــروبول - حـــيث قلعة حلب. وقد توسعت المناطق السكنية حول هذا الشارع بتخطيط شـــطرنجي لا يزال واضحاً في الأحياء المحيطة بأسواق المدينة القديمة، ومنها محلة العقبة كما بني قوس النصر في بداية هذا الشارع ولا تزال آثاره ظاهرة في الجدار الغربي لجامع الشعبية كل ذلك جعل المؤرخ الغزي يصف محلة العقبة بقوله - ربوة قامت عليها حلب -.

وحين جاء العرب المسلمون قبل ألف وأربعمائة عام ليحرروا مدينة حلب من الحكم الروماني - البيزنطـــي، دخلوا المدينة من جهة باب أنطاكية، وأراحوا أتراسهم هناك، وبني فيما بعد جامع الأتراس أو الشعيبية أو التوتة، فكان أول جامع اختطه المسلمون في حلب محلة العقبة، وفي الفترة العربية الإسلامية، وأول وقف فيها.

سميت المحلة بالعقبة لارتفاعها ونشوزها، ويذكر المؤرخ الغزي - أن بني المنذر قد سكنوها، فسميت - عقبة بني المنذر -. كما أن من المعروف لدينا أن أول من سكن فيها الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بين عامي ١٥٢ و ١٥٤ للهجرة الموافق ٧٦٩ و ٧٧١ للميلاد، ثم يذكر ابن العديم المتوفى عام ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م أن سابق بن محمود بن صالح مرداس الذي حكم حلب عام ٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م كان يسكن العقبة، ويضيف - وحمل من العقبة وكان ساكناً فيها بالدار التي تنسب إلى عزيز الدولة فاتك أبو شجاع، ورفع إلى القلعة بجبل من السور.. -

كما سكن في محلة العقبة الصفي ابن المنذر ناظر حلب في عهد الظاهر غازي ويصفه المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م أنه كان ضابطاً حسن السيرة للرعايا، وقد بنى فيها حماماً تعرف اليوم باسم حمام البزدار وما زالت قائمة إلى اليوم، وقد ذكرها أيضاً ابن الخطيب الناصرية المتوفى عام ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م، وحدد موقعها في ذيل العقبة. وهكذا نرى أن هذه المحلة يصفها المؤرخ الطباخ : أشرف نواحي حلب وأفضلها، طيبة المناخ.

كانت العقبة مسكناً لحكام حلب في بداية العهود العربية الإسلامية رغم أن المؤرخين قد اتفقوا على أن ماءها ظاهر الملوحة، وتخلو من الماء الجاري، ويشرب سكانها من ماء المطر يجمعونه في صهاريج في بيوتهم لأن قناة حيلان التي كانت تمد حلب بالمياه لم تكن لتصل إلى العقبة المرتفعة - وإنما إلى أطرافها. ويذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٦ م أن قسماً من القناة يؤخذ إلى البلاط وما يليه، وهذا الطريق الأخذ إلى البلاط فيه قسطل في رأس العقبة قدام دار الملك الظاهر، ثم يخرج إلى عند مسجد البلاط - ويظهر من هذا النص أن دار الملك الظاهر كانت قرب العقبة أيضاً.

كثرت الأبنية العامة في هذه المحلة لأهميتها فضلاً عن حمام الصفا - البزدار - وكان هناك مسجد في ذيل العقبة وآخر في ذيلها من الشمال. كما يذكر فيها ابن شداد - خانقاه - داراً - لأبناء السبيل - أنشأها الأمير جمال الدين المعروف بابن المتنبي المتوفى سنة ٦٣٩ هـ - ١٢٤٢ م. كما ذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ٨٩٠ هـ - ١٤٨٠ م حمام الخواجة بذيل العقبة - وقد دثرت - ثم مسجد الكيزاوي في زقاق الكيزاوي فضلاً عن خان كامل والزاوية الكمالية وتعود أوقافها إلى عام ١١٨٧ هـ - ١٧٧٤ م.

استمر البناء في محلة العقبة، وتجديد المباني القديمة فقد جدد الحاج عبد القادر ميسر المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م جامع الخواجا، وقام الحاج خليل كريم بالعمل. كما عمر الشيخ حسين الكيالي المتوفى عام ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م مسجداً صغيراً في أول محلة العقبة قبيل

خـــان كامل. وفي عام ١٩١٥ م حين جاء الأرمن مهجرين بأعداد كبيرة إلى حلب سكنوا في دورها الواسعة. وكان لهم فيها أكثر من ميتم للأطفال ما زال يذكرها من عاش فيها إلى اليوم، وهم طاعنون في السن. كما عاش فيها الأتراك الذين نفاهم السلطان التركي عبد الحميد الثاني، وجمعية الاتحاد والترقي من بعده.

تعرضـــت محلة العقبة، أكثر من أي محلة أخرى في حلب للزلازل وقد أورد المؤرخون نصوصاً كـــثيرة عن أثرها المدمر في حلب عامة ومحلة العقبة خاصة دون أن يذكروا تعليلاً علمياً لذلك فقد ذكر ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـــ - ١٢٦٢ م - أن زلزالاً عام ٥٠٨ هـــ - ١١١٥ م هدم بعض دور العقبة - وقال ابن الوردي في زلزال عام ٧٤٢ هـــ - ١٣٤٣ م - ما يلي :... غير أن الدموع جرت على عقبة بني المنذر كما السماء وبرزت المخدرات من الخدورلحركات البناء وتعانقت حيطالها تعانق وداع وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع وما أدراك ما العقبة فك رقـــبة وما يدعى بعاجز من ضمن قول الراجز: زلزلة قد وقعت في العقبة ترضى من الدم بعظم الرقبة.

أما زلزلة شهر آب عام ١٨٢١ م والتي يذكر الحلبيون أنها دمرت أكثر من نصف المدينة وقتلت أكثـــر مـــن خمسة عشر ألف من سكانها فقد كتب عنها الشيخ بكري إمام الجامع الأموي في مذكـــراته مـــا يلـــي : ((حصلت زلازل عظيمة هدمت حارة اليهود والعقبة وسوق العطارين ومكثت أربعين يوماً...)) - أما المؤرخ الغزي المتوفى سنة ١٣٥١ هـــ - ١٩٣٣ م فقد ذكر أن محلة العقبة : أسرع محلات حلب تأثراً بالزلزال - إذ لا يوجد أساسات جبلية. - وقد حاول الغزي هنا أن يعلل أن المحلات العالية تكون أكثر تأثراً بالزلزال. فضلاً عن أن مرتفع محلة العقبة هو تراكم طبقات أتربة، ولا تقوم المحلة على الأرض الطبيعية.

ما زالت محلة العقبة إلى اليوم قائمة تحتفظ بأوابدها التاريخية ونسيجها العمراني التقليدية ودورها الواسعة سوى بعض الأبنية الحديثة المتفرقة. كما يوجد فيها عدد من الخانات بنيت حوالي عام ١٩٣٠ م وهي قائمة إلى اليوم في الطرف الغربي من المحلة، وتغطي سور المدينة القديمة، وتتوزع بين الأبراج الأثرية المنتشرة من باب أنطاكية وإلى الشمال حتى موقع باب الجنان.

كمـــا أن محلة العقبة ما زالت من أعلى المحلات في المدينة القديمة. آن لمجلس مدينة حلب ودائرة المدينة القديمة ومديرية الآثار أن تولي محلة العقبة العناية اللازمة التي تستحقها فهي حلب الأولى - حلب - النواة.

زقاق الكلتاوية في حي الجبيلة

حيث يعرض للباحثين في التاريخ وعلماء فقه اللغة، اسم حي أو موقع أو مدينة؛ يحاولون معرفة سبب التسمية وكيف تطور الاسم وكيف اشتق وغير ذلك... لهذا يجب الحفاظ على التسميات الأولى وخاصة أسماء المدن والقرى والمواقع والأحياء، فلا تبدل لأي سبب كان، ومهما كانت أهميته؛ لأن هذا التبديل يمحو الأصول والجذور، فتضيع، إلا إذا كانت مسجلة في وثائق تاريخية وغالباً لا تسجل لأن الشعوب تتناقلها شفهياً عن طريق الرواية فتتوارثها الأجيال وربما خلال آلاف السنين. وهكذا لا يصح بجرة قلم أو رغبة شخصية محوها.

منذ أكثر من مائة عام ونحن نعبر الطريق بين باب الحديد وباب الفرج وندعوه بشارع الخندق؛ لأنه كان خندق مدينة حلب حتى عام ١٨٨٣، ثم ردم من بقايا أبنية هدمت بفعل زلزال عام ١٨٢٢، وأعطي لفترة اسم درب العربية، لأن العربة الحنتور كانت تسير فيه ثم أهمل هذا الاسم مع زوال العربية. ولهذا فإن إطلاق اسم آخر على شارع الخندق أمر مرفوض تماماً. إلى جانب شارع الخندق يقوم حي الجبيل أو الجبيلة لارتفاعه عن باقي الأحياء المجاورة.

حي الجبيلة من الأحياء الكبيرة والقديمة بحلب خاصة لأنه يقع على أحد محاور الدخول إلى مركز المدينة، وهو يضم عدة أزقة وسوقاً ومركز شرطة بجانب الباب المعروف بباب القناة أو باب الحديد. كما يوجد فيه مقبرة لوقوع الحي على أطراف المدينة.

زقاق الكلتاوية جزء من هذا الحي بل أقدم أجزائه ويقسم إلى الكلتاوية الكبرى والكلتاوية الصغرى وتقع شمالها. وقد سمي الزقاق نسبة إلى جامع الكلتاوية الذي بني عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م بالقرب من مدرسة ابن العجمي التي نسبت إلى مؤرخ حلب سبط بن العجمي، وقبره فيها وهي أقدم من الكلتاوية، إذ تعود إلى عام ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م وقد عرفت بجامع " أبو ذر " المؤرخ الحلبي المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م.

توسع حي الجبيلة وقد حدده المؤرخ الغزي بين البياضة والشارع الأعظم أي شارع الخندق وكان أكبر شارع قبل مائة عام سكنه المسلمون فقط وذكر المؤرخ الغزي عدة مباني أثرية مثل مسجد الزركشي بجانب باب الحديد وقسطل الشعار ١٥٣٢ م ومسجد أبي الشامات وغيرها، ستكون موضوعاتنا المقبلة.

أن أبرز قسم في حي الجبيلة هو قبو الأكنجي أو قبو المسلاتية المعروف حالياً " قبو النجاريين "، وسنبحثه فيما بعد فهو قائم يحافظ على عمارته وفعاليته وبعض النصوص الكتابية المحفورة على جدرانه. أما مركز الشرطة والذي يسميه المؤرخ الغزي " المغفر " أي المخفر ما زال قائماً أيضاً لحراســة باب المدينة. بني عام ١٢٦٥ هـــ - ١٨٤٨ م ورمم مؤخراً، واستعمل قصراً لضيافة الدارســين لمدينة حلب من الأجانب؛ يتمتعون بالإقامة فيه. ويقول الغزي: حين بني نبشت فيه عدة قبور، منها قبر كان فيه تابوت من دف نقل إلى مصطبة أمام المغفر؛ وهناك اتخذ له ضريح، لكن لم يعلم صاحبه.

ومـــن أهم العائلات التي سكنت حي الجبيلة عائلة أحمد أفندي طه زادة المعروفة بعائلة الجلبي. كما دفن في مقبرة الحي عدد كبير من مشاهير مدينة حلب أمثال محمد بن محمد البلخي مدرس المدرســة الأتابكية الذي توفي عام ٦٥٣ هـــ - ١٢٥٥ م وعلي بن خليل قرجا أمير إمارة ذي القـــدر وتـــوفي عـــام ٨٤١ هـــ - ١٤٣٧ م وأحمد بن إبراهيم الخلاصي الطبيب المتوفى عام ١٢٤٢ هـــــ - ١٨٢٨ م، وكان يدرس الطب في زاوية أبي ذر في حي الجبيلة هذا فضلاً عن عـــدة قبور لبني العجمي في جامع أبي ذر. وإن مقبرة الجبيلة عرفت بمقبرة الأربعين، وربما لأنها كانـــت قريبة من باب الأربعين أحد أبواب مدينة حلب التي دثرت، أو لأن أربعين ولياً دفنوا فيها.

لا يزال حي الجبيلة يحافظ على وصفه العمراني القديم، إذ لم يطرأ عليه تعديل كبير، و لم تفتح فيه الشـــوارع، أو تدخلـــه الأبنـــية الحديثة إلا قليلاً. إنما أهملت آثاره ووسعت الكلتاوية كثيراً، وأصبحت المقبرة ملعباً لأولاد الحي. وهكذا عفونا على أضرحة علمائنا وأئمة المدارس الدينية، وأهملناها، حتى أصبحت على وضعها الحالي. فهل من يهتم. ؟.

حي الفرافرة

بيـــنما تعمل جميع شعوب العالم بلا استثناء على إحياء تراثها القومي، وتدافع عنه : لغة وماضياً وعمـــراناً وتقالـــيداً، وتضـــحي من أجله بالنفس والنفيس، وتنفق الملايين؛ نقف نحن موقف المتفـــرجين ونكاد نبدأ بخطوة أو خطوتين على خجل أو جهل، إذ نجهل ما نملك من تراث يتيه على الدنيا ويعترف به غيرنا، ويقدره.

إن تسجيل مدينة حلب القديمة ضمن قائمة التراث العالمي الإنساني تحت إشراف منظمة الثقافة والتـــربية والعلوم الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة - الأونيسكو - لم يكن عبثاً ولا جاء عفو الخاطـــر. وإن مجـــيء الطلاب والدارسين من أربعة أركان الكرة الأرضية ليس صدفة ولا حباً وإعجاباً بمدينة حلب الحديثة.

إنـــنا نعمـــل ببطء شديد جداً في حماية تراثنا القومي، وإن الحداثة والمصلحة المادية الشخصية، أســـرع من أعمال الحماية بآلاف المرات وإن التخريب الذي يصيب أحياء المدينة القديمة كبير جداً وربما لا نستطيع إيقافه. مثالنا اليوم هو حي الفرافرة.

يعـــود حي الفرافرة لفترة زمنية قديمة، وإن بعض أوابده تعود إلى أكثر من ثمانمائة عام كالمدرسة العصرونية التي بنيت في عهد بني مرداس، وجعل منها نور الدين زنكي مدرسة عام ٥٥٠ هـــ - ١١٥٦ م. أمـــا شهرته فقد وصلت دار السعادة استنبول عاصمة أكبر إمبراطورية في القرن السادس عشر. سكنه أكبر موظفيها في بلاد الشام، وأغني تجار الشرق الأوسط.

يقـــول المؤرخ أبو ذر في كتابه كنوز الذهب عام ٨٨٠ هـــ : ((ينسب درب بني الفرافرة إلى بني فرفور وكانوا رؤساء. وبهذا الدرب سكن نقباء الجيش)). وقبل القرن الحادي عشر الميلادي كان يدعى بالمعقلية، حيث كانت تعقل فيه خيل المجاهدين وإبلهم وكان رحبة متسعة.

توســـع الحي قبل سبعمائة وخمسين عاماً، وازدادت أهميته. فبالإضافة إلى دوره السكنية الرائعة أنشـــئت فيه المدارس، بعضها في الزوايا والجوامع والتكايا حيث تعقد حلقات الدرس، وبعضها أنشئ على الأسلوب الحديث حيث يتم تعليم الحساب والفلك والطب والعلوم العصرية. وحين كـــان في حلب ثلاثة عشر مكتباً رشدياً، كان خمسة منها في حي الفرافرة. وفيه خمس حمامات من أصل اثنتي وأربعين حماماً أحدها حمام السلطان باسم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين.

بنـــيت في الحي المدرسة الحسامية عام ٦٢٥ هــ - ١٢٢٨ م وبنيت زاوية النسيمي عام ٨٢٠ هــ - ١٤١٨ م. وبعد أن دمر تيمورلنك المدرسة الناصرية - جامع الحيات - جددت في عـــام ٨٣٣ هـــــ - ١٤٣٠ م. ثم زادت المــدارس والجوامع والتكايا والأفران والسبلان والمقاهي والخانات و الخانقاهات وأهمها خانقاه ضيقة خاتون ٦٣٥ هــ - ١٢٣٧م والمدرسة الشعبانية ١٠٨٥ هــ - وغيرها مما سنبحثه بالتفصيل في مواضيع مقبلة.

إن كثـــرة الأبنـــية العامة في حي الفرافرة من جوامع مساجد وزوايا وتكايا ومدارس ومكاتب رشيدية وأفران وسبلان ومقاهي تؤكد لنا أهمية هذا الحي، بحيث يجعله المؤرخ الغزي من أعمر أحياء حلب وأهمها على الإطلاق. فقد كان يضم عدة أزقة مثل زقاق بني الكتخدا - الكيخيا - وزقاق الشعبانية وعدة بوابات، أهمها بوابة الأرمنازي، وأكثر من سوق مثل سويقة علي وسوق باب النصر وسوق الخابية. وكلها ستكون مواضيع بحثنا في المستقبل.

سكن حي الفرافرة أعيان المسلمين وكبار موظفي الدولة العثمانية. وكانت دار الحكومة على بعد خطـــوات مـــن الحي. ويذكر مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي المتوفى عام ١٩٣٣ م أن سكان الفرافرة يغلب عليهم الكلام الذي يحوي الكثير من الألفاظ التركية والفارسية، لأنهم مستخدمون لـــدى العثمانيين؛ وأن كل دار في الحي تضاهي محلة وأن دور أل قطر آغاسي كانت محل أنظار زوار حلـــب. ويقـــول المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ مؤلف كتاب أعلام النبلاء في تاريخ حلـــب الشهباء المتوفى عام ١٩٥١ م - أن السر عسكر نامق باشا كلف عدداً من أعيان حلب من سكان محلة الفرافرة ليقوموا بإحصاء السكان في حلب عام ١٢٣٦ هــ - ١٨٢١ م. وكان مركزهم في التكية المنصورية. ومن المعروف أنه في عام ١٢٧١ هــ - ١٨٥٥ م تأسس مكتب رشـــدي في تكـــية المنصورية وكان الطباخ في عداد تلامذته في عام ١٣٠٤ هــ - ١٨٨٦ م. وذكـــر لـــنا أنه رأى في التكية مخطوطات كثيرة جداً. ويضيف الطباخ أن والي عكا أحمد باشا الجزار الذي هزم نابليون بونابرت نزل في دار آل السياف في محلة الفرافرة لدى مروره في حلب في طريقه إلى استنبول دار السعادة عام ١٢٠٣ هــ - ١٧٨٩ م.

لقد كان أهم وأغنى العائلات الحلبية المعروفة والباقية حتى اليوم تسكن في البدء في حي الفرافرة أهم أحياء حلب القديمة ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عائلات :

شـــريِّف. قطـــر آغاسي. كتخدا كيخيا. مرعشي. سياف. قدسي. خطيب.أميري. منصوري. الكاتب. الكواكبي. الجابري. وغيرهم..

حي الفرافرة لم يعد يذكره إلا القليل، وأكثر ما نخشاه أن يطلق عليه اسم آخر كالمستودع مثلاً أو الورشة أو غير ذلك ولا يبقى من هذا الحي العريق إلا الاسم مسجلاً في دائرة السجل العقاري وفي كتب المؤرخين.

إن أول معول بدأ في الهدم كانت عملية إزالة بناء المدرسة العصرونية، فقد هدمتها دائرة الأوقاف القائمة عليها في عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م لتقيم في مكانها بناءً طابقياً. المعول الثاني كان بيد بلدية حلب حين فتحت الشارع المؤدي من الجامع الأموي الكبير إلى خندق القلعة في عام ١٩٥٦ م. فأزالت أبنية كثيرة، وشوهت ما بقي من أبنية كالجامع الأموي، وخان الوزير الذي رمم جداره الشمالي بعد أربعين سنة، والمطبخ العجمي الذي يرمم حالياً، ويوظف كمطعم من قبل وزارة السياحة، والمدرسة الشعبانية وغيرها الكثير.

واليوم بعد أن استيقظ الشعور بالتراث تنهار أبنية أخرى كمسجد أزدمر الذي تنهار جدرانه، ولا يلتفت مسؤول إليه رغم مطالبة أهل المحلة بإيقاف خطره على المارة.

وأخطر ما يتهدد ما بقي من أبنية الفرافرة هو الإهمال أولاً، وتغيير وظائفها السكنية ثانياً. بحيث أصبحت الدور الرائعة ورشات ومستودعات لأنها تقع بجانب سويقة علي المركز التجاري، وتوضع فيها مواد خطرة تؤدي إلى كوارث كما حدث مؤخراً في بيت الأميري حيث أصابه الحريق ولم يبق منه إلا القليل. إذا أردنا أن نعرف ماضي وحاضر ومستقبل هذا الحي فعلينا زيارة دار آل قطر أغاسي والتي عرفت يوماً باسم إعدادية سيف الدولة قرب موقع السجن القديم، فقد رممت لجنة حماية المدينة القديمة قسماً منها، وجعلتها مقراً لها. وبقي القسمان الآخران على حالهما من الإهمال والتخريب، وقد علمنا أن خطة قائمة لترميمها.

هذه تذكرة لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر فهل نبدأ بالتضحية من أجل قيمنا، ومن أجل تراثنا وهويتنا ؟

حي الفردوس

لا شـــك أن الزائر لمدينة حلب القديمة عربياً أم أجنبياً يتمتع برؤية المباني الأثرية ويحاول الدليل المرافق إبراز الصفات المعمارية، إذا كان على المستوى الثقافي المطلوب. ولكن مالا يعرفه الدليل وحتى المواطن العادي، هو تاريخ الحي أو المنطقة التي يقع فيها المبنى الأثري؛ ولا تتوفر النشرات الســـياحية التي تكمل هذا النقص. ومن الواضح أن معلوماتنا مهما كانت وافية ودقيقة معمارياً وأثرياً، تبقى ناقصة إذا لم نكن نعرف تاريخ المنطقة المحيطة بالمبنى.

" مدرســـة وجامـــع ورباط وتربة الفردوس " لا يمكن الإحاطة بها بمعزل عن المنطقة التي توجد فـــيها، خاصة وأنها بعيدة عن مركز المدينة القديمة خارج الأسوار، وفي منطقة بعيدة نسبياً عن باب المقام أحد أبواب المدينة.

المدرســـة كمـــا هو معروف تقع في حي الفردوس وقد عرف هذا الحي بين أحياء مدينة حلب القديمة بأنه حي ثقافي كان زاخراً بالحركة التعليمية والفكرية قبل نيف وسبعمائة عاماً قبل اليوم، ولم يكن يقل أهمية عن الحي اللاتيني في باريس مثلاً، والذي لا يعود لأكثر من أربعمائة عام – وله شهرة عالمية معروفة.

لقد نشأت في حي الفردوس المساجد المدارس والربط والزوايا، وإذا عرفنا أن هذا الحي نشأ في القرن السادس الهجري، وتطور بعد ذلك. لأدركنا مقدار الجهد الذي بذله الحكام الأيوبيون في هذا المجال الثقافي، خاصة وأن جهدهم كان مضاعفاً؛ فقد تصدوا للعدو الغاصب أكثر من ثلاث قـــرون، وأقامـــوا في الـــوقت نفسه مؤسسات تعليمية تركت أثرها على الأجيال وإلى اليوم. وسنتعرض لها بدراسة مفصلة في مقالات لاحقة.

إلى جانـــب مدرسة الفردوس بنيت المدرسة الظاهرية البرانية عام ٦١٠ هـــ – ١٢١٤ م وقد رممـــت مؤخراً. وينتظر أن تهتم بها مديرية أوقاف حلب. ثم بنيت عمارة الرحالة العالمي الهروي عام ٦١١ هـــ – ١٢١٥ م أنشأها الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي – ثم المدرسة الجمالية التي أنشأها جمال الدولة إقبال الظاهري عتيق الملكة ضيفة خاتون زوجة الظاهر غازي.

هذا فضلاً عن المدرسة وتربة الدرويشية التي أنشأها الملك الناصر عام ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م وتربة أغلبك بعد عام ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م وتربة شهاب الدين أحمد عام ١٠٥٠ هـ - ١٦٤١ م وعدد كبير من الخانات والدور الحمامات وغيرها.

يذكر الغزي المؤرخ الحلبي المعروف والمتوفى عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م أن حي الفردوس كان قبلة للرواد الأجانب ولا يزال إلى اليوم، وقد زاره مؤخراً رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ووقف حيث وقف الزعيم المغولي تيمورلنك يوماً، وفكر بنقل الحوض والمحراب إلى عاصمة بلاده، فأعلمه أحد الحاضرين بأن لا أحد في بلاده يستطيع إعادة تركيبه فعدل عن الفكرة.

لقد راجت مؤخراً إشاعة مفادها أن الدفين في مدرسة الفردوس هو علي بن أبي طالب والصحيح أن الدفين هو الملك الحافظ أرسلان شاه بن الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي. وقد توفي عام ٦٣٩ هـ - ١٢٤٢ م.

حي الفردوس بعيد عن أنظار المسؤولين. ولكنه قبلة الزوار الأجانب كما أنه في ذاكرة التاريخ. ونعتقد أنه يستحق العناية أكثر من عنايتنا بالمدينة الحديثة، فهو صفحة مشرقة في فكرنا وعلمنا ونضالنا ضد المستعمر.

حي الفيض

لم تكـــن حلـــب القديمة قبل ألف عام ونيف محصورة ضمن الأسوار بل كانت أوسع من ذلك بكـــثير، وربما ما كان داخل الأسوار وحولها يتميز بوجود المراكز التجارية من أسواق وخانات وقيســـريات أو محلات المهن كالقيسريات أو للسكن. ولهذا استأثرت باهتمام الدارسين العرب والأجانب إلى اليوم. ولو تعمقنا قليلاً في دراستنا لتاريخ حلب القديم لرأينا اتساع المدينة الكبير، ولرأينا القصور والمشاهد والمدارس والجوامع والحمامات والسكن أيضاً ضمن دائرة قطرها عدة كيلو مترات، تغير مركزها بحسب الفترات التاريخية فهو تارة قلعة حلب وتارة حي العقبة وتارة منطقة كاتدرائية حلب الكبرى والجامع الأموي وهكذا.. ولا شك أن نهر قويق لعب دوراً كبيراً في تطـــور مديـــنة حلـــب وتاريخها، إلى أن قطعه الأتراك في وقت غير بعيد عن اغتصابهم لواء الاسكندرون العربي.

حـــي الفـــيض الذي عرف قبل أكثر من ألف عام جاء اسمه من منطقة تقع على ضفاف النهر حيث يدعى النهر فيها بنهر الفيض وفيها بنى سيف الدولة الحمداني قصره، كما كان فيها حلبة السباق، وفيها بني المشهد في عام ٣٥١ هـــ - ٩٦٢ م.

وهذه المنطقة بالذات كانت هدف نقفور إمبراطور الروم البيزنطيين حين هاجم حلب في أواخر القـــرن العاشـــر الميلادي، واحتلها عدا القلعة وخرب قصر سيف الدولة - كما كانت حلب هدف الصليبيين المستعمرين بعد حوالي مائتي عام من هجوم الروم.

يضـــيف لنا المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـــ - ١٢٨٦ م قصر سيف الدولة، ويذكر وجود ثلاثـــة مســـاجد، كما يذكر أن نور الدين زنكي وسع مشهد الدكة عام ٥٥٠ هـــ - ١١٥٦ م وأنهـــى الملك العادل ابن نور الدين عمارته في عام ٥٨٥ هـــ - ١١٩٠ م. كما يتحدث عن المدرسة الدقاقية فيقول أنشأها مهذب الدين أبو الحسن علي بن فضل الله ابن الدقاق في منطقة الفيض. وأول من درّس فيها رشيد الدين في سنة ثلاثين وستمائة ٦٢٣٣. ويضيف أن في الحي حمام للشهاب بن العجمي وحمام فخر الدين اياس.

أمـــا ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦ هـــ - ١٢٢٨ م فيربط محلة الفيض بالحاضر السليماني ويقـــول ((يكـــون ابتداء مكان أبنية الحاضر من المكان المعروف إلى الآن بالقبة والعامود غربي

مـــنطقة نهر قويق المسمى بالفيض آخذاً إلى المكان المعروف بجسر الحج على شكل نصف دائرة ويدخل في ذلك المحلة المعروفة بالكلاسة)).

يتحدث المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـــ - ١٤٨٠ م عن محلة وميدان الحلبة ويقول ((هـــي محلة من ضواحي حلب من جهة الغرب وهي مكان صحيح الهواء حسن التربة مشرف علـــى النهر، وبه كروم وميدان، بل ميدانان تقام فيهما حلبة السباق. ويتصل بها مكان يقال له الفيض)) ويذكر أن أرض الحلبة من منتزهات حلب.

اهـــتم حكـــام حلب قبل ألف عام بمنطقة الفيض. ومن المعروف أن بني مرداس الذين حكموا حلـــب بعد سيف الدولة وقبل نور الدين زنكي قد أضافوا أبنية كثيرة. ويذكر المؤرخ الطباخ صـــاحب كـــتاب إعلام النبلاء لتاريخ حلب الشهباء أنهم بنوا إلى جانب مشاهد المحلة مشهداً عرف بمشهد طرود نسبة إلى طرود زوجة صالح بن مرداس والتي تزوج بها أبو نصر لؤلؤ مرتضى الدولة حين سجن صالح في قلعة حلب.

فقد بني المشهد كما تذكر الروايات التاريخية خارج باب الجنان في طريق الحلبة.

ذكـــر لنا المؤرخ أبو ذر في كتابه كنوز الذهب والمتوفى عام ٨٨٤ هـــ - ١٤٨٠م عدة ترب في محلـــة الفـــيض مثل تربة ابني أبيك أحمد وعمر وحدد لنا مكان القبة والعامود فقال : بنى أبو بكر دوادار السيفي بردبك المتولي على الزاوية الدقاقية قبة عند مرمى النشاب غربي الفيض. وتحت هذه القبة صهريج ماء. وتساعد على عمارته أهل الخير من الرماة الذين يرمون بالنشاب. يقول المؤرخ الطباخ إنه لذلك اشتهر هذا المكان إلى الآن أي إلى أوائل القرن العشرين بالقبة والعامود.

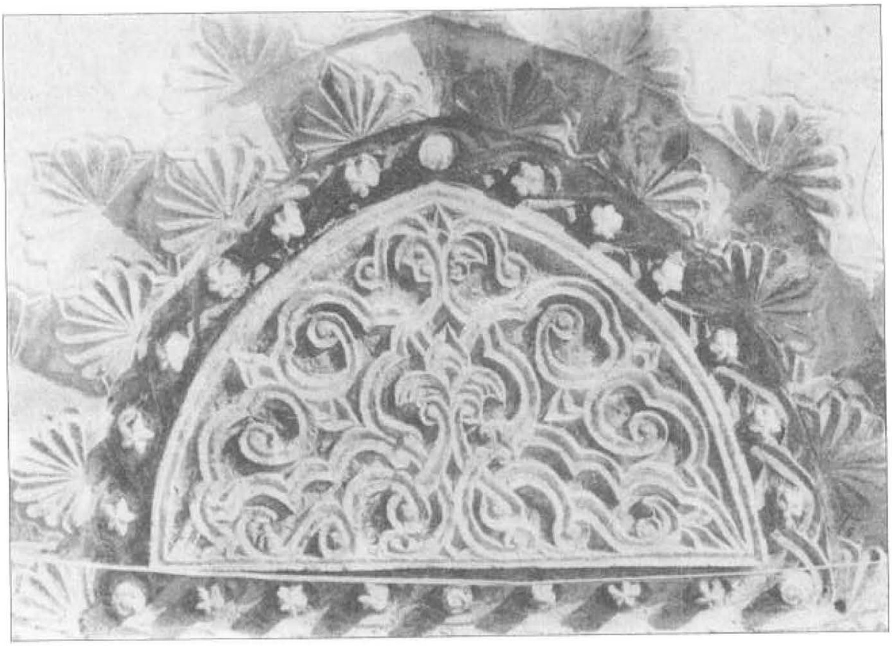
يذكر لنا الدكتور محمد أسعد طلس الذي نشر كتابه تاريخ الآثار الإسلامية بحلب عام ١٩٥٦ م أنه كان في محلة الفيض قبل الثاني عشر الميلادي في المنطقة التي شيدت عليها الدولة مستودعات المحروقات " الكازخانة " قبور معروفة للشراكسة، إلا أنه درست حين تشييد تلك المستودعات لكن الدكتور طلس أخطأ حين أطلق اسم سيف الدولة على منطقة الفيض.

في عام ١١٧٧ هـــ - ١٧٦٣ م أوقف حاج موسى الأميري بستان التادفي في الفيض على جامعه المعرف بجامع الخير في السويقة. وفي عام ١٩٢٠ حفر عبد القادر أفندي بن طه بن عباس المعروف بالجلبي بئراً سبيلاً قرب نهر الفيض، وبني عليه قنطرة؛ كما يقول المؤرخ الشيخ كامل الغزي في كـــتابه نهر الذهب في تاريخ حلب. هذا البئر يعرف إلى اليوم بجب الجلبي، وسميت المنطقة باسمه وقـــد ســـاعد هذا البئر على اتصال محلة الفيض بقرية الأنصاري البعيدة عن حلب؛ حيث كان المـــارة يتزودون بالماء منه. كما قامت السلطات في حلب في عام ١٩٢٤ م كما يقول الطباخ

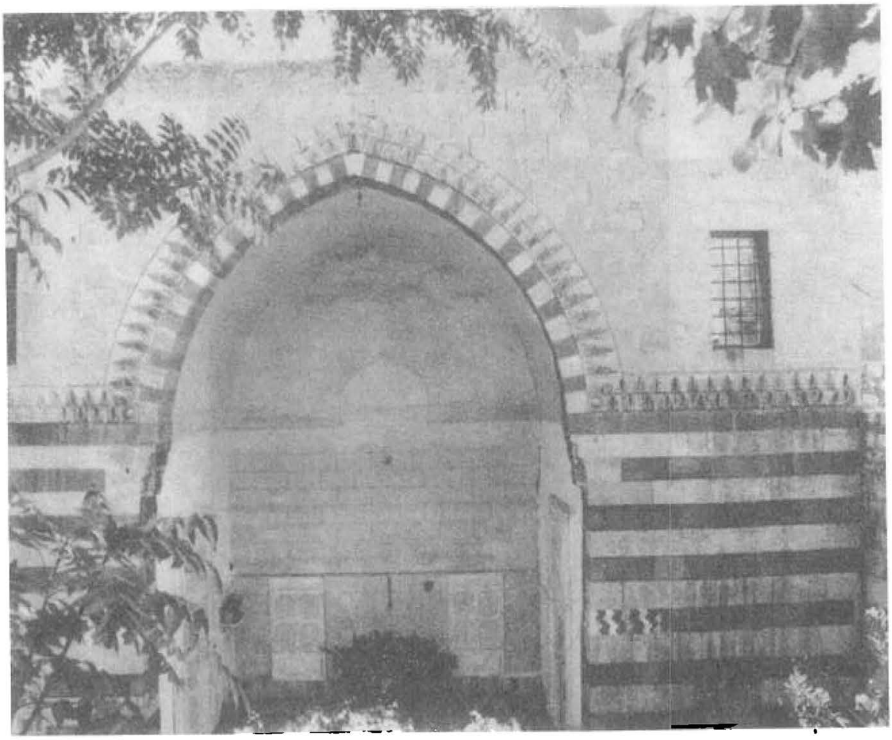
بإصلاح الطريق من الفيض إلى قرية الأنصاري، وصارت العجلات تذهب إليها بسهولة. وصار الناس يقصدون القرية أيام الربيع.

تلــك نبذة تاريخية عن محلة الفيض التي يعتبرها بعض الدارسين اليوم محلة حديثة، بينما تعود إلى أكثر من ألف عام خلت. وحين توسعت المدينة القديمة نحوها في الماضي. كان ذلك لوجود محلة مــلأى بالمشاهد والمدارس والقبور... ونتساءل اليوم أين هي ؟ إن تسمية جب الجلبي ووجود مشهد الحسين ومشهد الدكة تؤكد عراقة محلة الفيض. ولولا ذلك ضاع التاريخ، و لم يبق سوى الاسم في طيات الكتب.

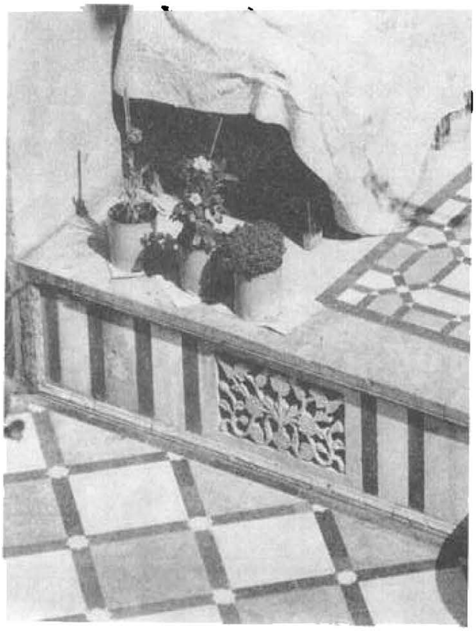
هل نحفظ ما بقي، ولا نشوهه بإدخال الطفيليات الحديثة؟ أم لا يوجد من يسأل.!

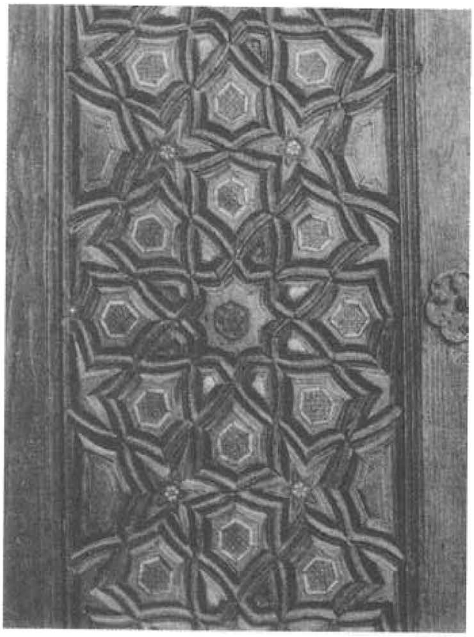


جمال المنزل التقليدي وزخارفه الرائعة

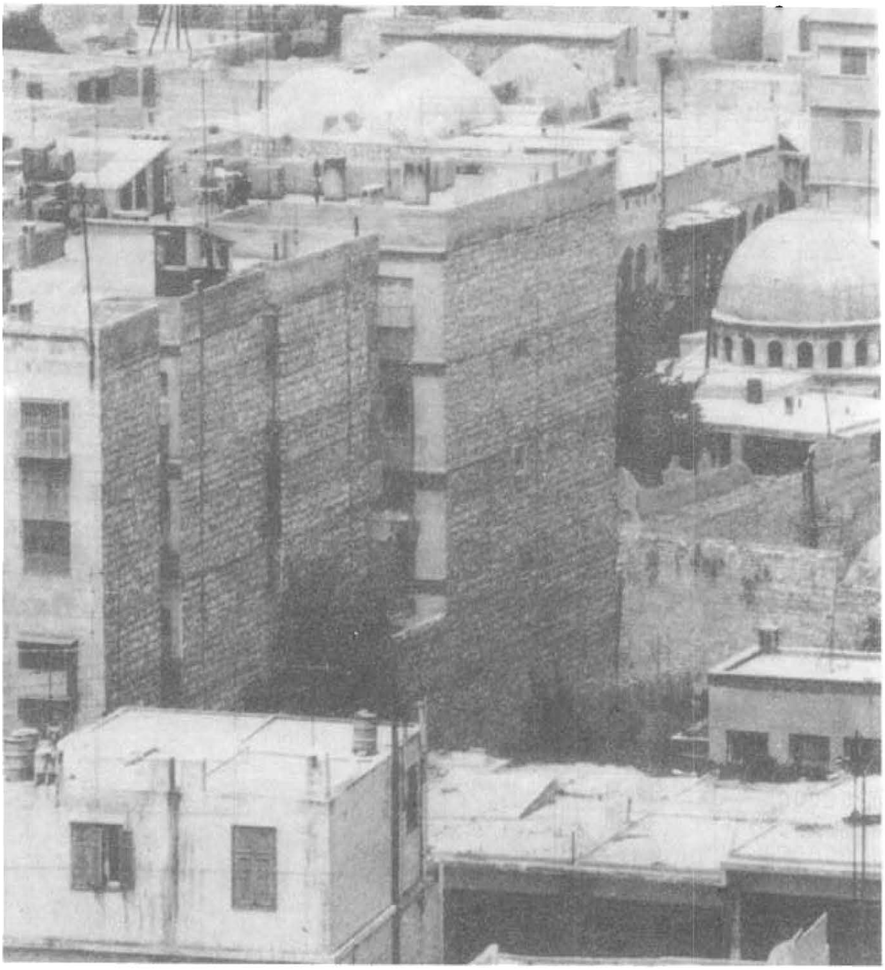


الايوان في المنزل التقليدي

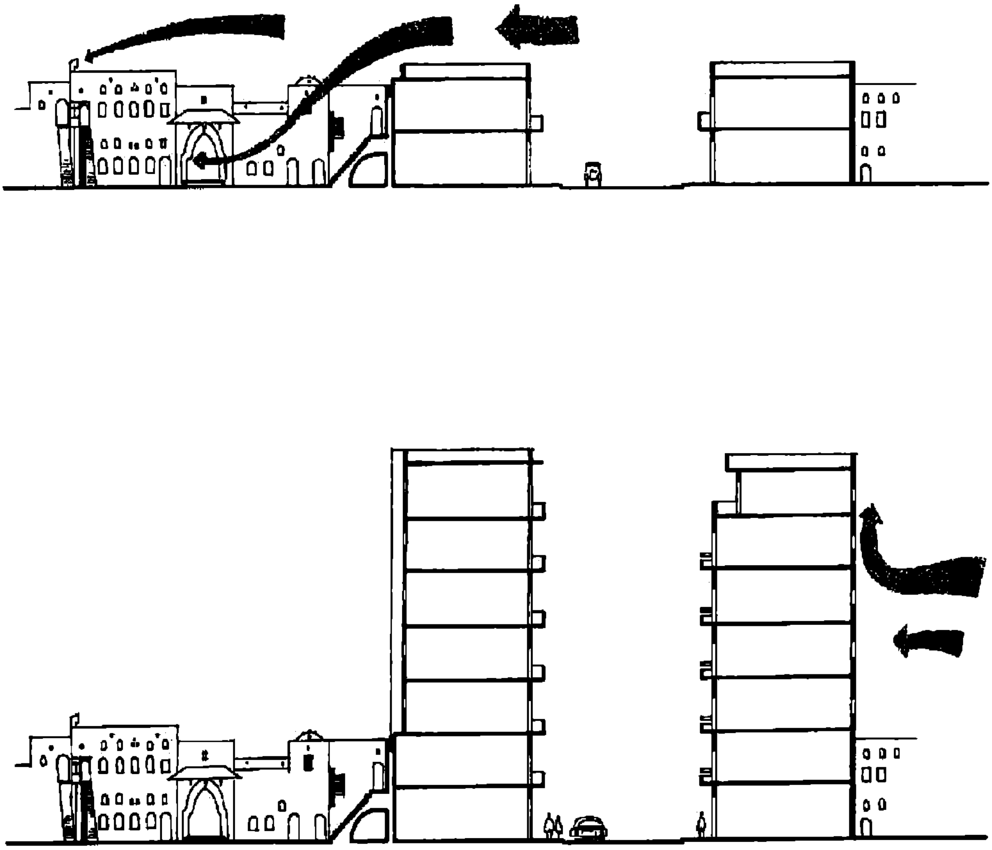




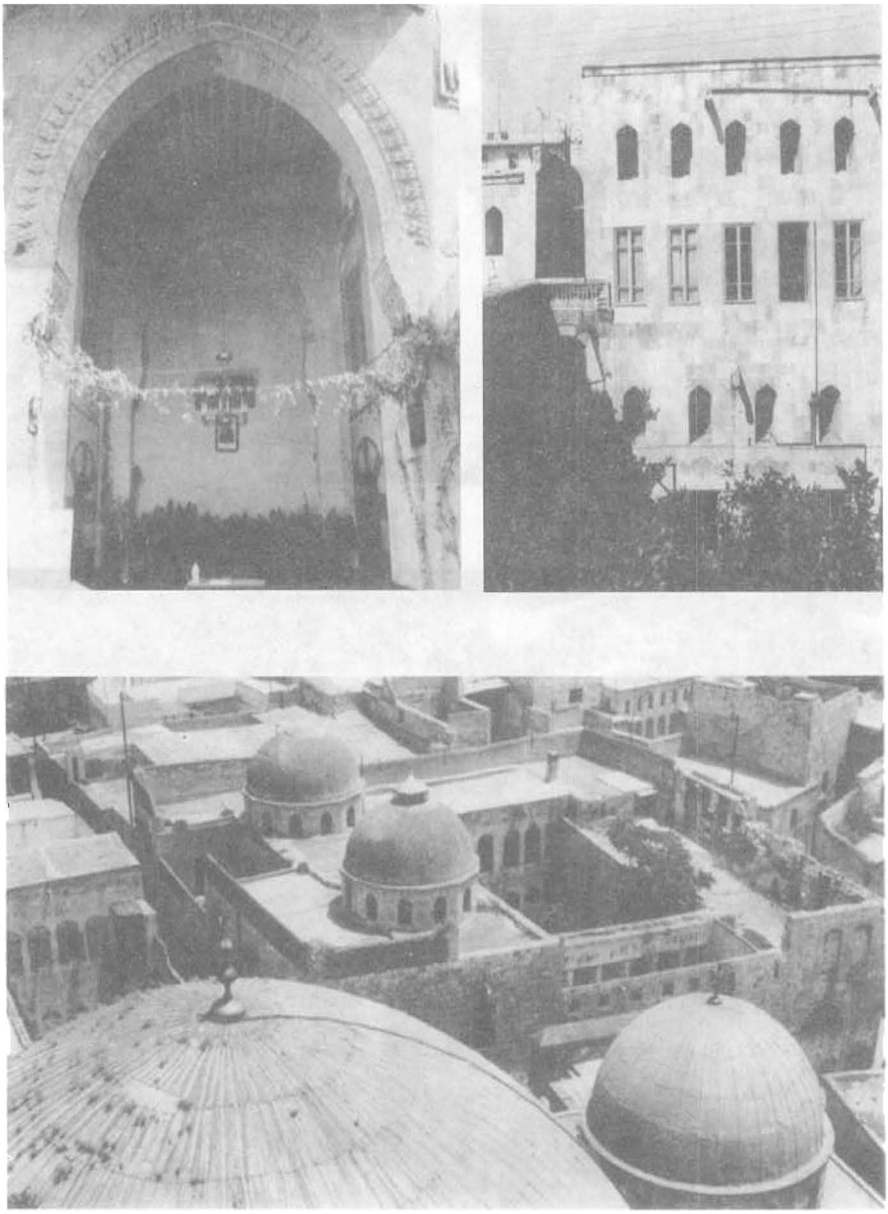
الزخارف الحجرية التقليدية في منازل المدينة القديمة
والخط العربي في الأبواب والشبابيك



الصراع بين الأصيل والدخيل

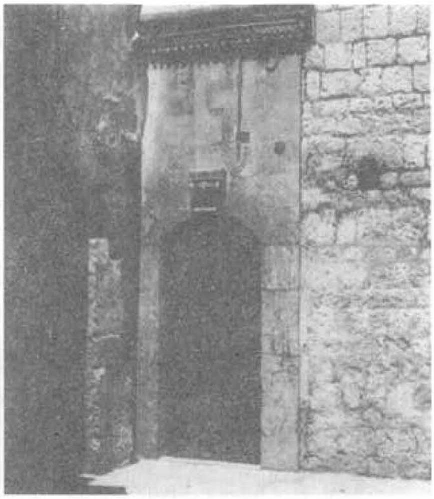


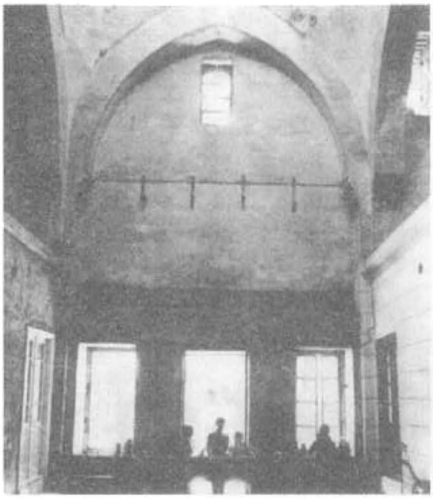
كيف كانت المدينة القديمة، وكيف أصبحت الأبنية العالية الدخيلة تصطاد المنازل التقليدية وتمنع عنها الشمس والهواء

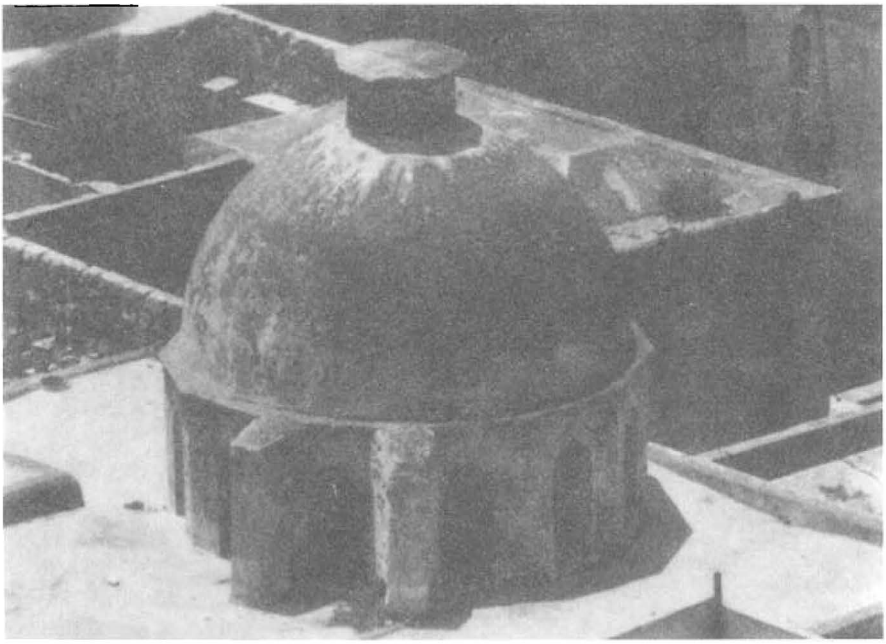


عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث

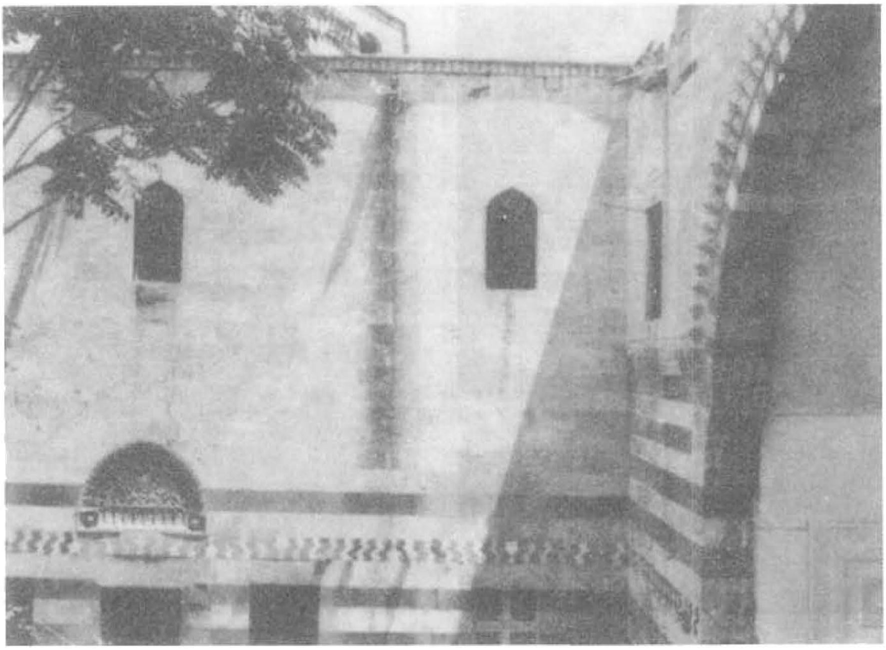
واجهة إحدى الغرف والمربع الإيوان قباب متنوعة فوق الأسطحة

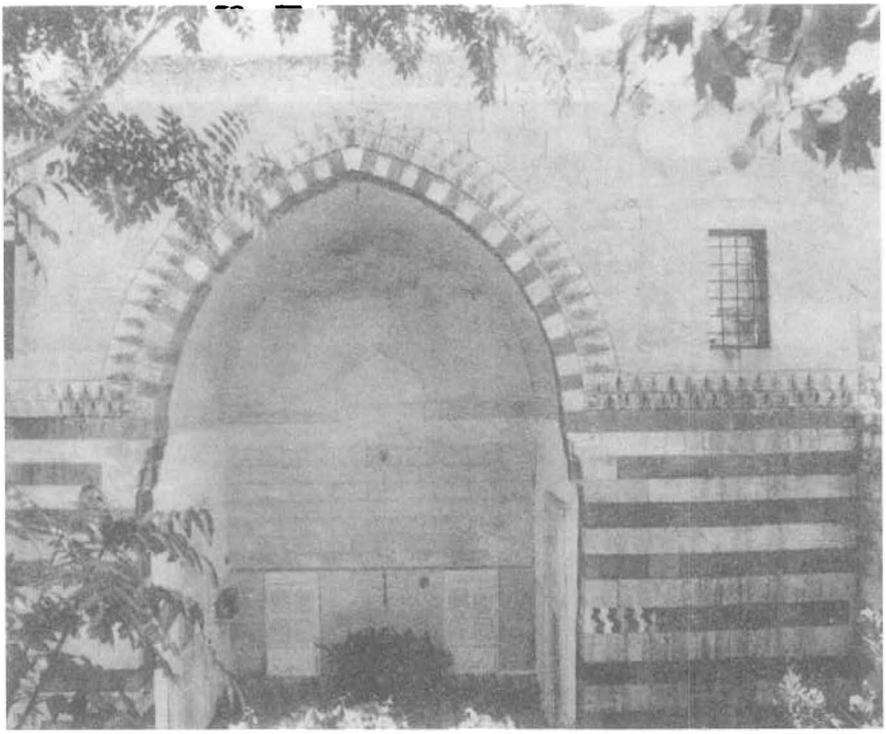






عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث
الباب الخارجي قبة القاعة داخل القاعة





عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث

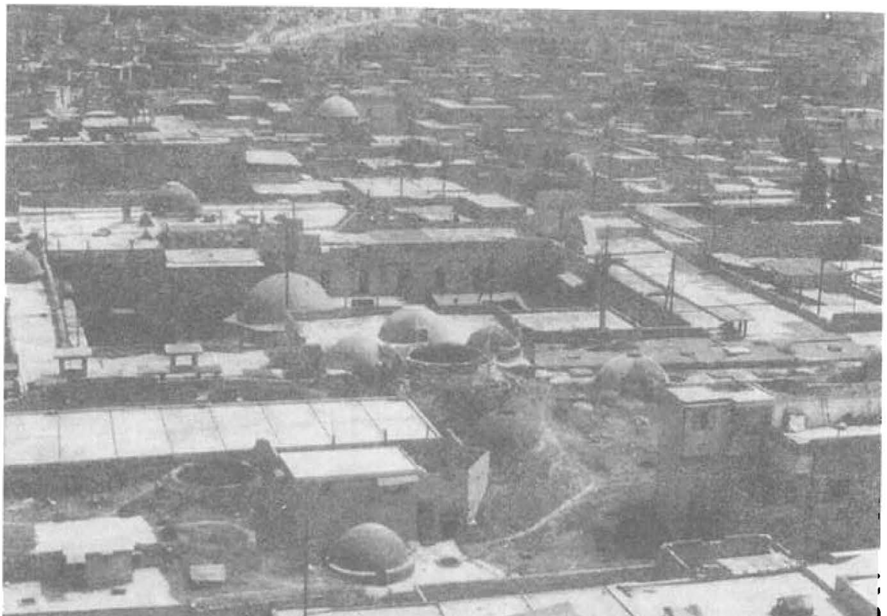
زخارف الجدران الإيوان



المدرسة السفاحية



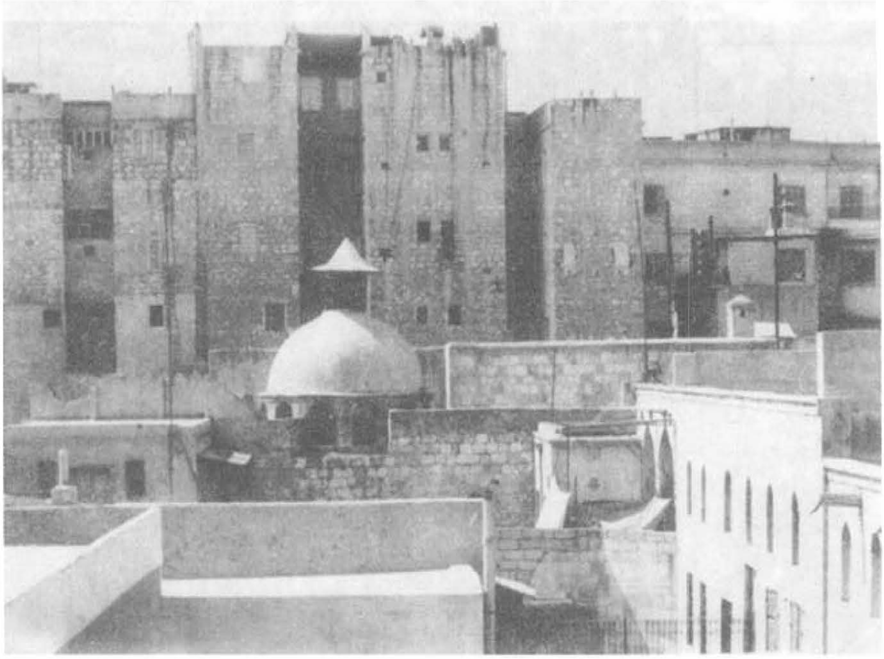
منزل في حي الفرافرة
وقع تحت ثقل البناء الحديث



المدينة القديمة ونسيجها المعماري



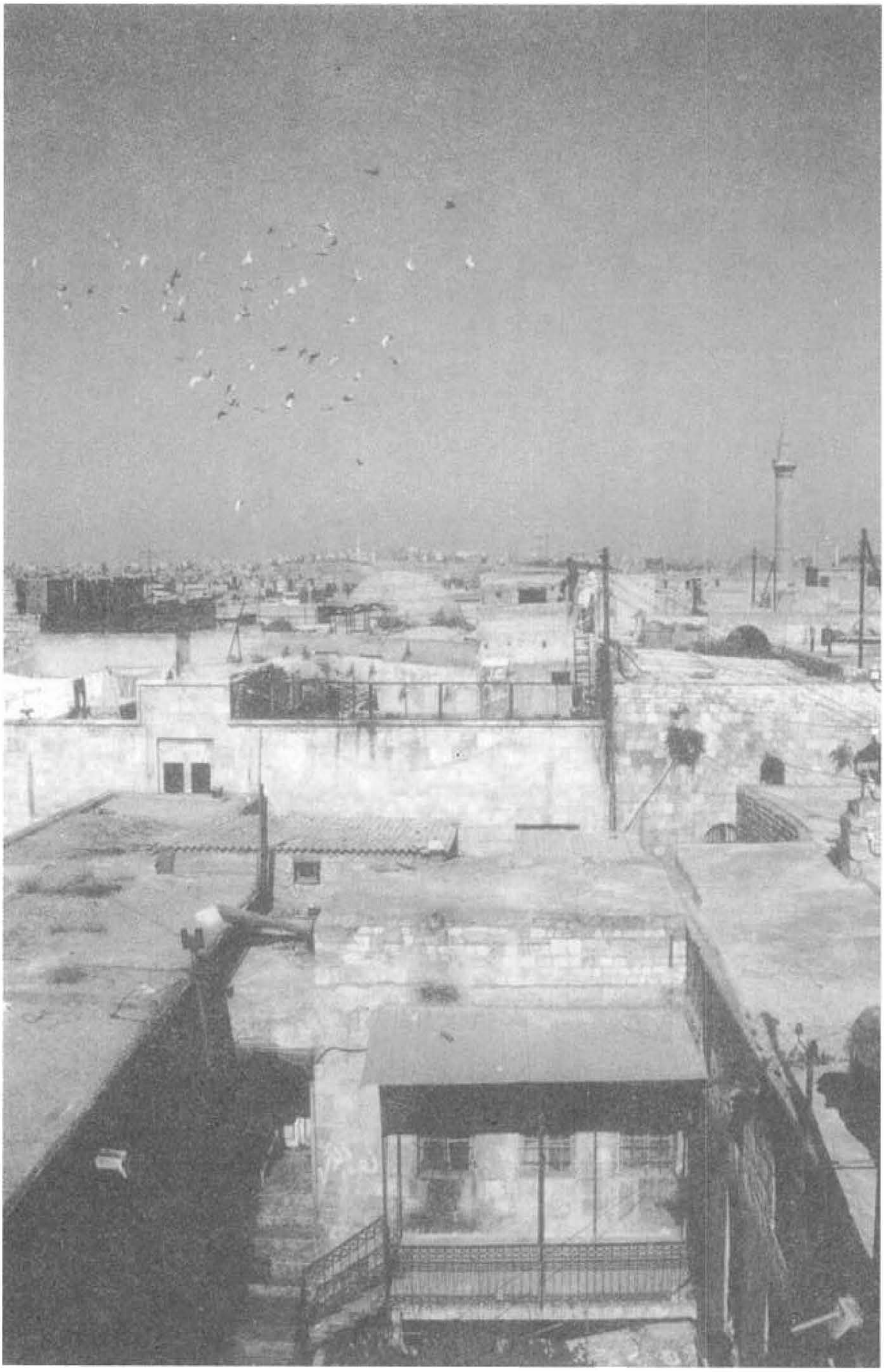
حي وراء الجامع وتحيط به الأبنية الحديثة



منزل في حي الجديدة والبناء الحديث بجانبه



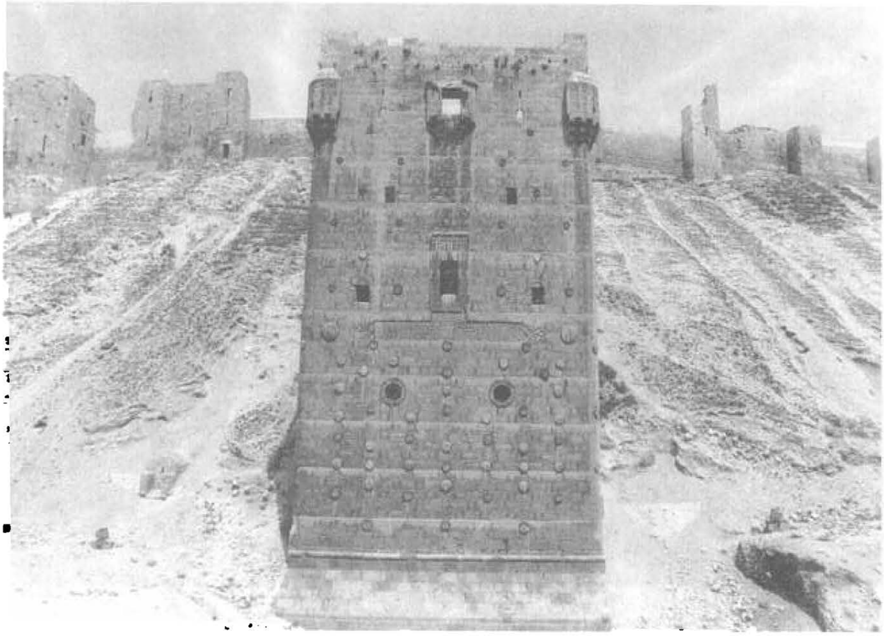
حلب القديمة نسيج عمراني قائم يتحدى الزمن



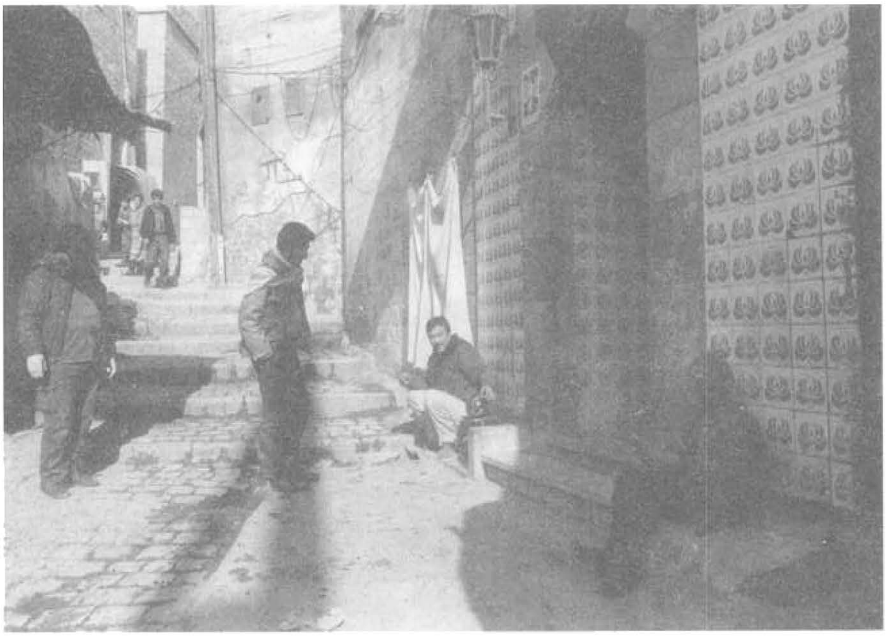
الحلب القديمة وسرب الطيور يتمتع بأجوائها



أحد أبراج سور المدينة القديمة



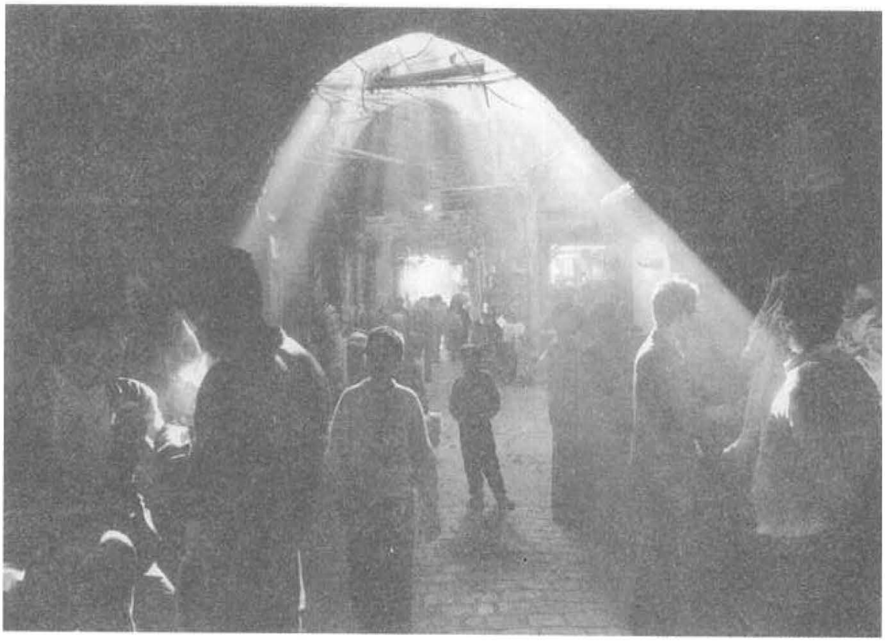
البرج الجنوبي المتقدم في التحصينات قلعة حلب المحروسة



محلة باب أنطاكية حمام الحي



الأكشاك الخشبية تنتظر الهتمام بها



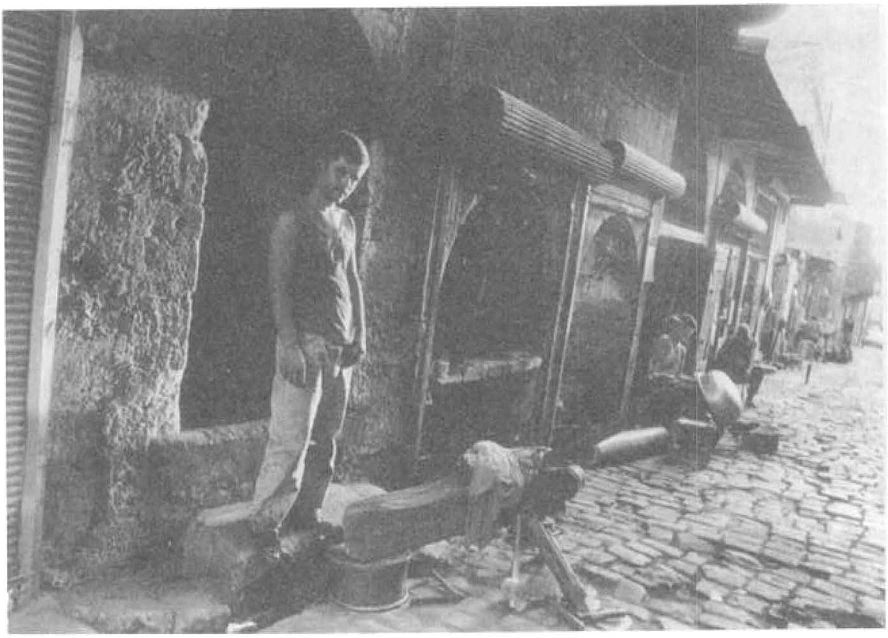
أحد أسواق المدينة سحر الشرق



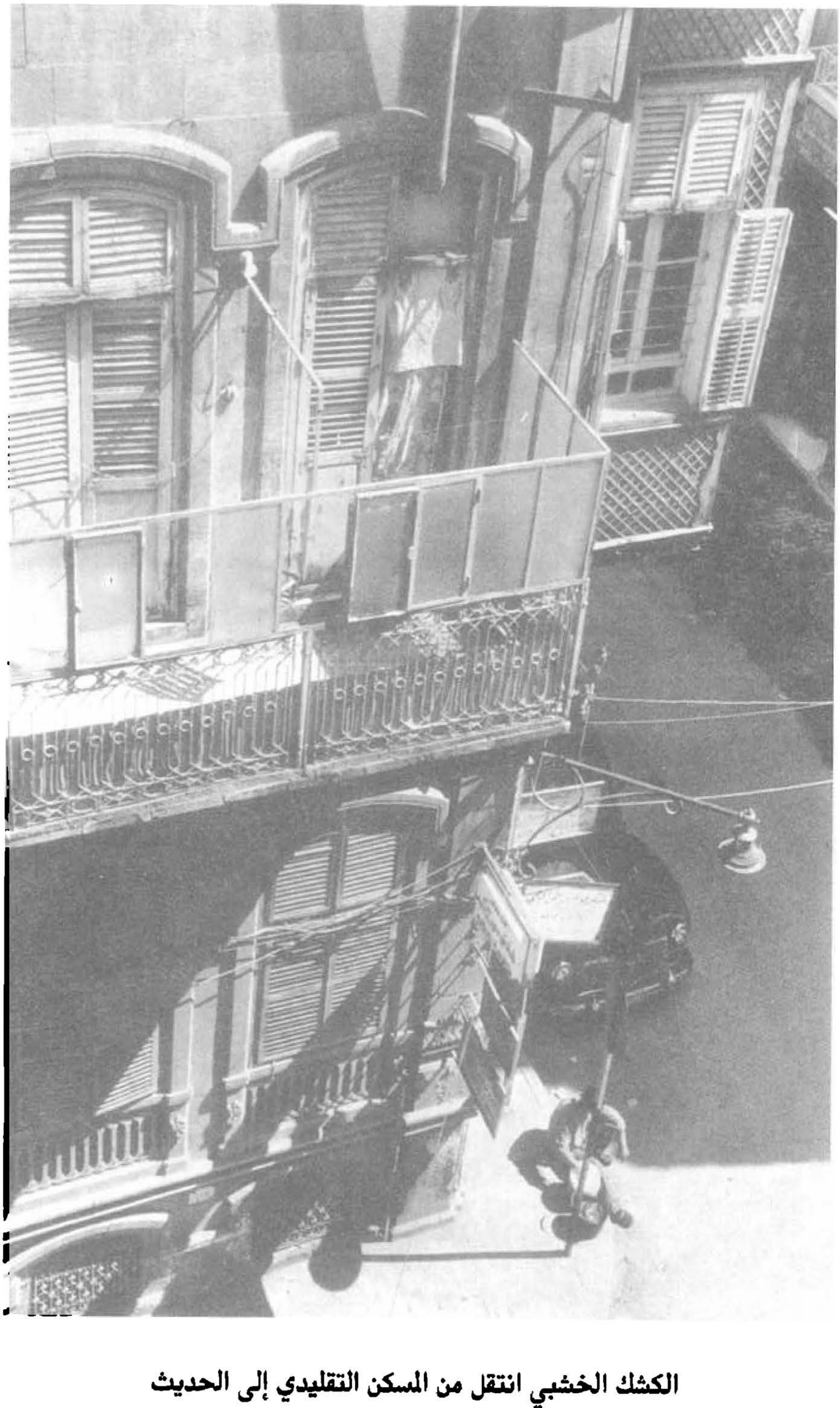
المدرسة الظاهرية الأيوبية حي الفردوس



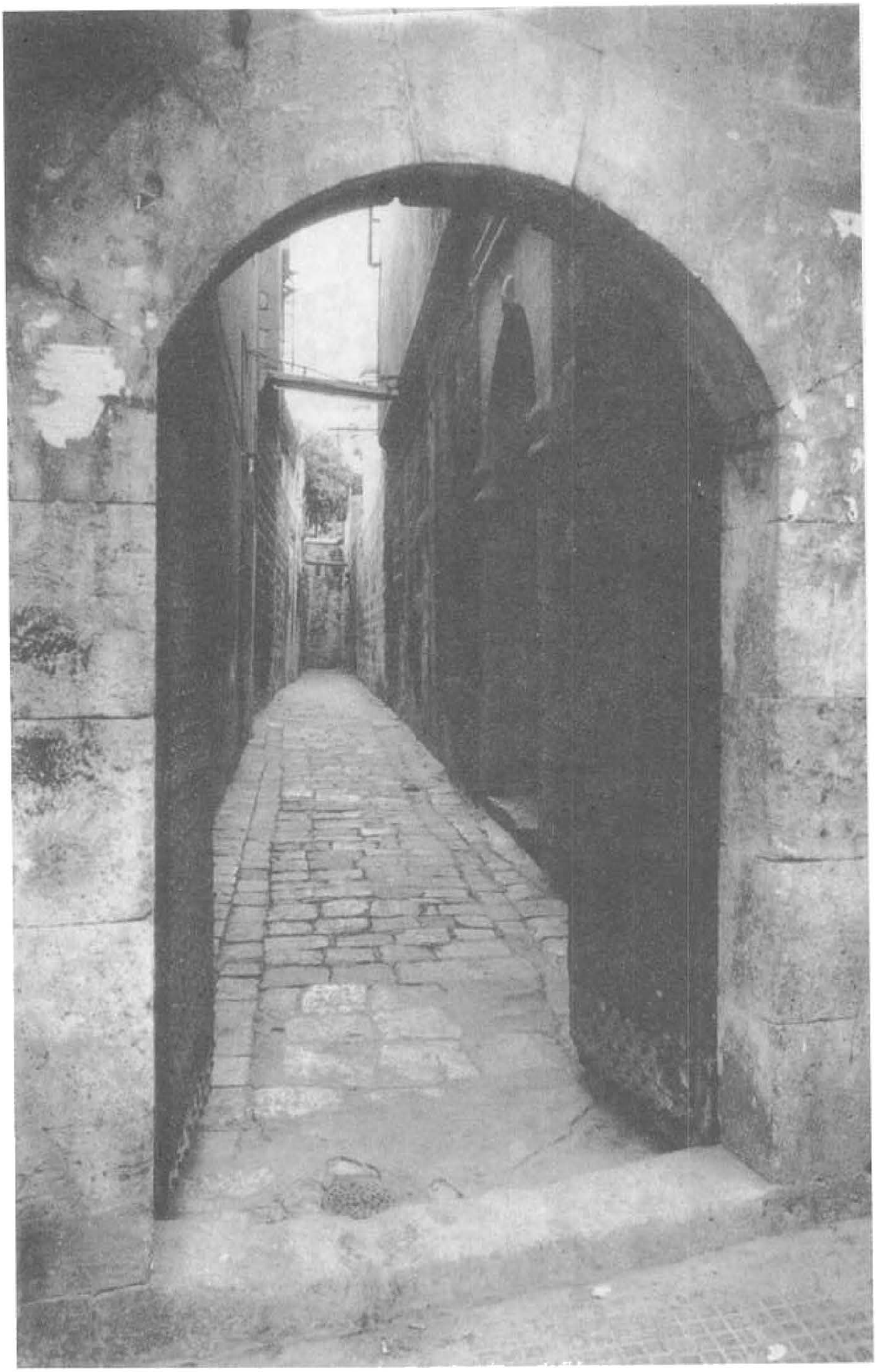
أحد أحياء المدينة القديمة الأمان من الأخطار



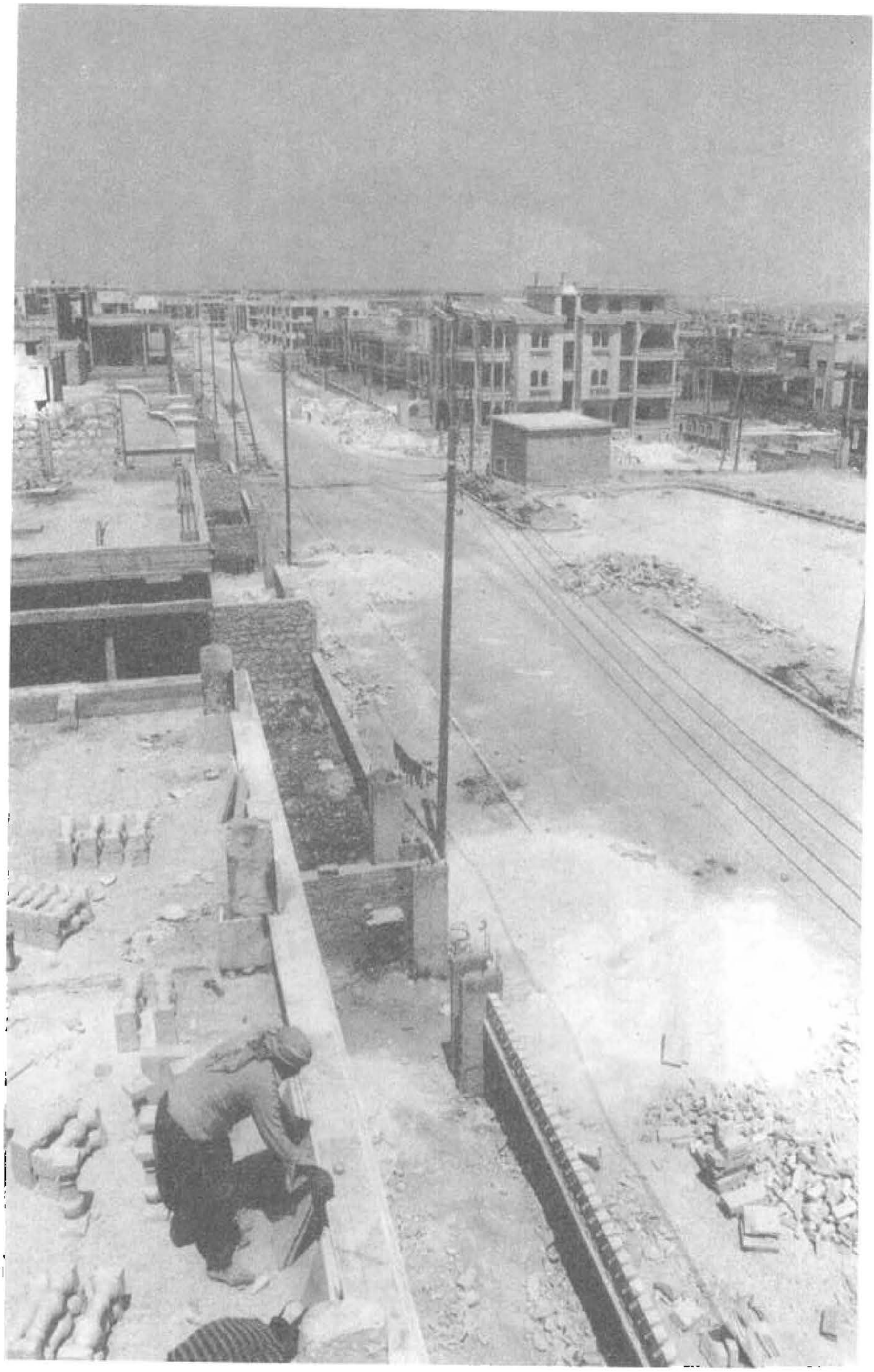
أحد أسواق الأحياء



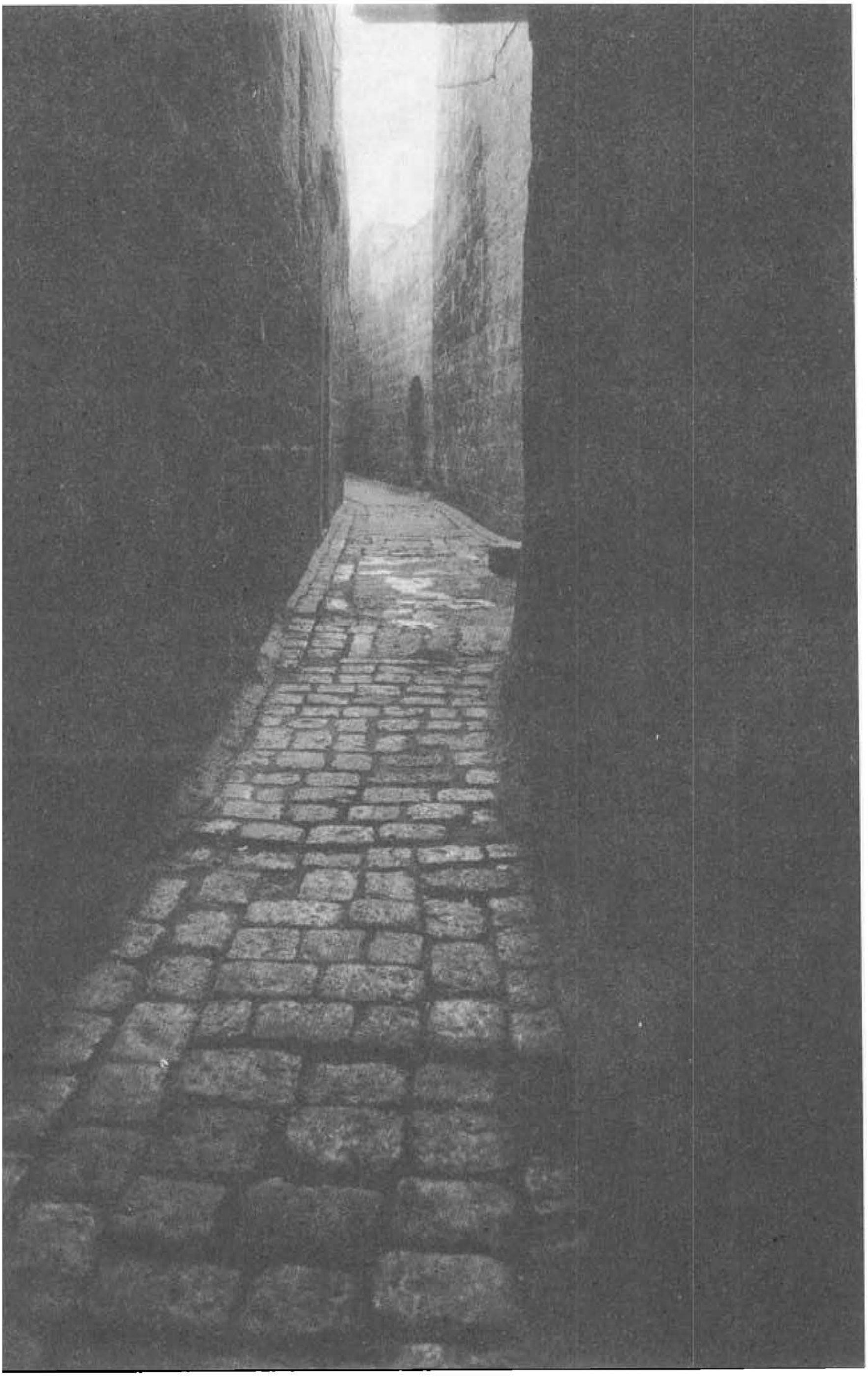
الكشك الخشبي انتقل من المسكن التقليدي إلى الحديث



أحد أزقة حي الجديدة بوابة صفاء وهدوء



لقد قُسم الشارع الحديث بين القديم والجديد



أحد الأزقة التاريخية عراقة وأمان



حي سكني يسوده الهدوء والخصوصية



سوق الحي

مخططات وخرائط
مدينة حلب القديمة وأحيائها

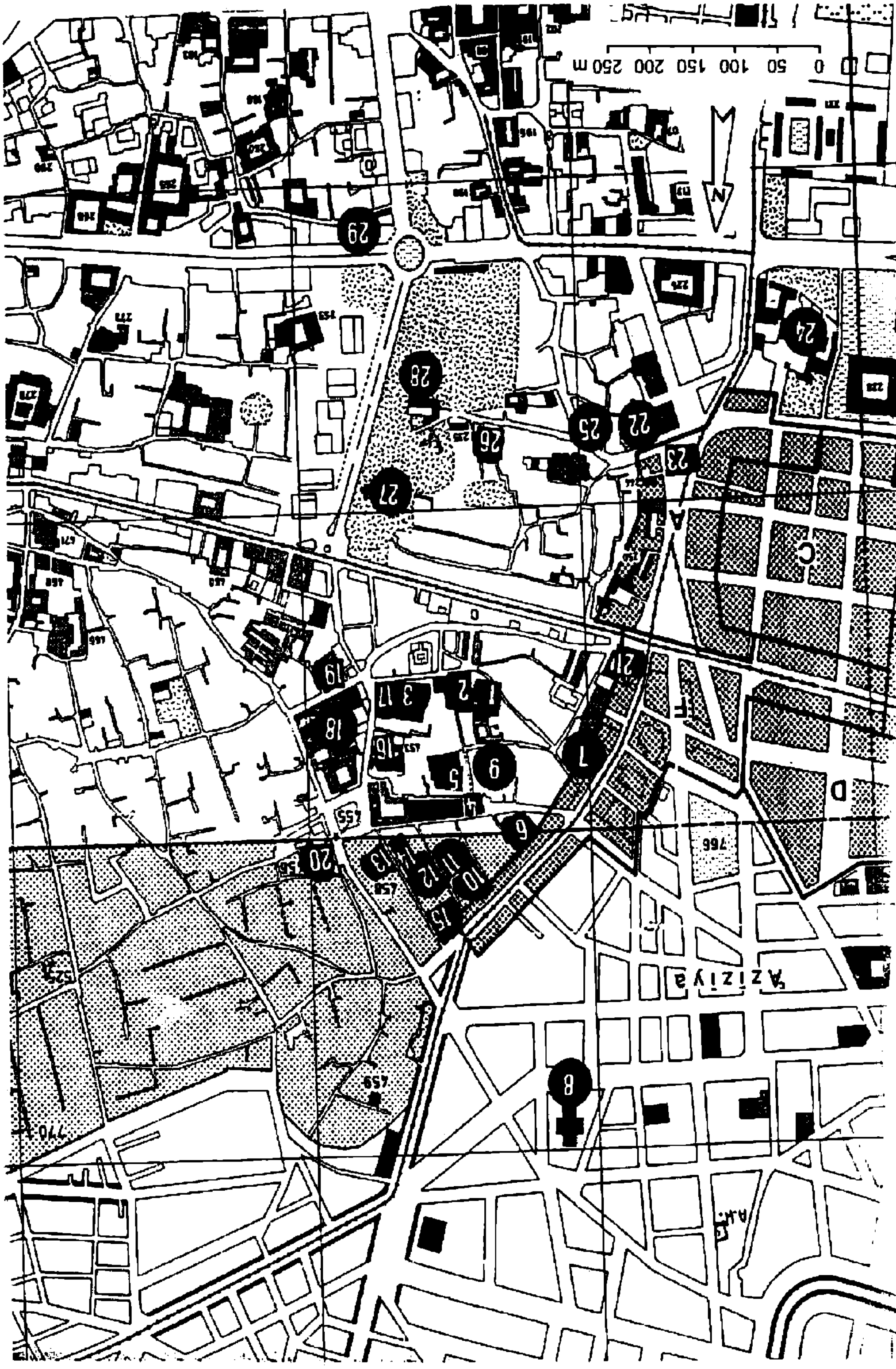
أحياء حلب

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	الجلوم الكبرى	٣٣	المعادي	٦٥	شميصاتية
٢	العقبة	٣٤	جسر السلاحف	٦٦	الملندي
٣	قلعة شريف	٣٥	الشماعين	٦٧	اغيور (اقيول)
٤	داخل باب قنسرين	٣٦	العينية	٦٨	الألمه جي
٥	ساحة بزة	٣٧	القوانصة	٦٩	الشرعسوس
٦	الفرافرة	٣٨	المشارقة	٧٠	قسطل المشط
٧	داخل باب النصر	٣٩	الكتاب	٧٤	بيت محب
٨	سويقة علي	٤٠	قارلق	٧٥	تراب الغرباء
٩	دباغة عتيقة	٤١	تاتارلر	٧٦	المرعشلي
١٠	البندرة	٤٢	الدلالين	٧٧	العريان
١١	المصابن	٤٣	الصفا	٧٨	الماوردي
١٢	بحسيتا	٤٤	المشاطية	٧٩	خراب خان
١٣	جب اسد الله	٤٥	الغرابين (الفوقاني والتحتاني)	٨٠	عنتر
١٤	سويقة حاتم	٤٦	شاكر آغا	٨١	النوحية
١٥	الدحديلة	٤٧	حمزة بك	٨٣	الأكراد
١٦	البستان	٤٨	ابن يعقوب	٨٣	جسر الكعكة
١٧	الاعجام	٤٩	بلاط تحتاني	٨٤	الطبالة
١٨	داخل باب المقام	٥٠	خان السبيل	٨٥	القواص
١٩	المغازلة	٥١	جقورجق	٨٦	المغربلية
٢٠	داخل باب النيرب	٥٢	صاجليخان فوقاني	٨٧	العطوي الكبير
٢١	التونبوغا	٥٣	بلاط فوقاني	٨٨	العطوي الصغير
٢٢	القصيلة	٥٤	جب قرمان	٨٩	عبد الرحيم
٢٣	اوغلبك	٥٥	صاجليخان تحتاني	٩٠	عبد الحي
٢٤	البياضة	٥٦	تلعرن	٩١	الهزازة
٢٥	المستدامية	٥٧	الضوضو	٩٢	الغطاس
٢٦	شاهين بك	٥٨	السخانة والبقّارة	٩٣	التومايات
٢٧	الجبيلة	٥٩	محمد بك	٩٤	الصليبة
٢٨	قاضي عسكر	٦٠	الكتان	٩٥	بالي برغل
٢٩	كلاسة	٦١	بادنجك	٩٦	الشمالي
٣٠	المغاير	٦٢	الصفصافة	٩٧	كوجك كلاسة
٣١	الفردوس	٦٣	اين ناصر	٩٨	القرباط
٣٢	المقامات	٦٤	الأبراج	٩٩	عرب المشارقة



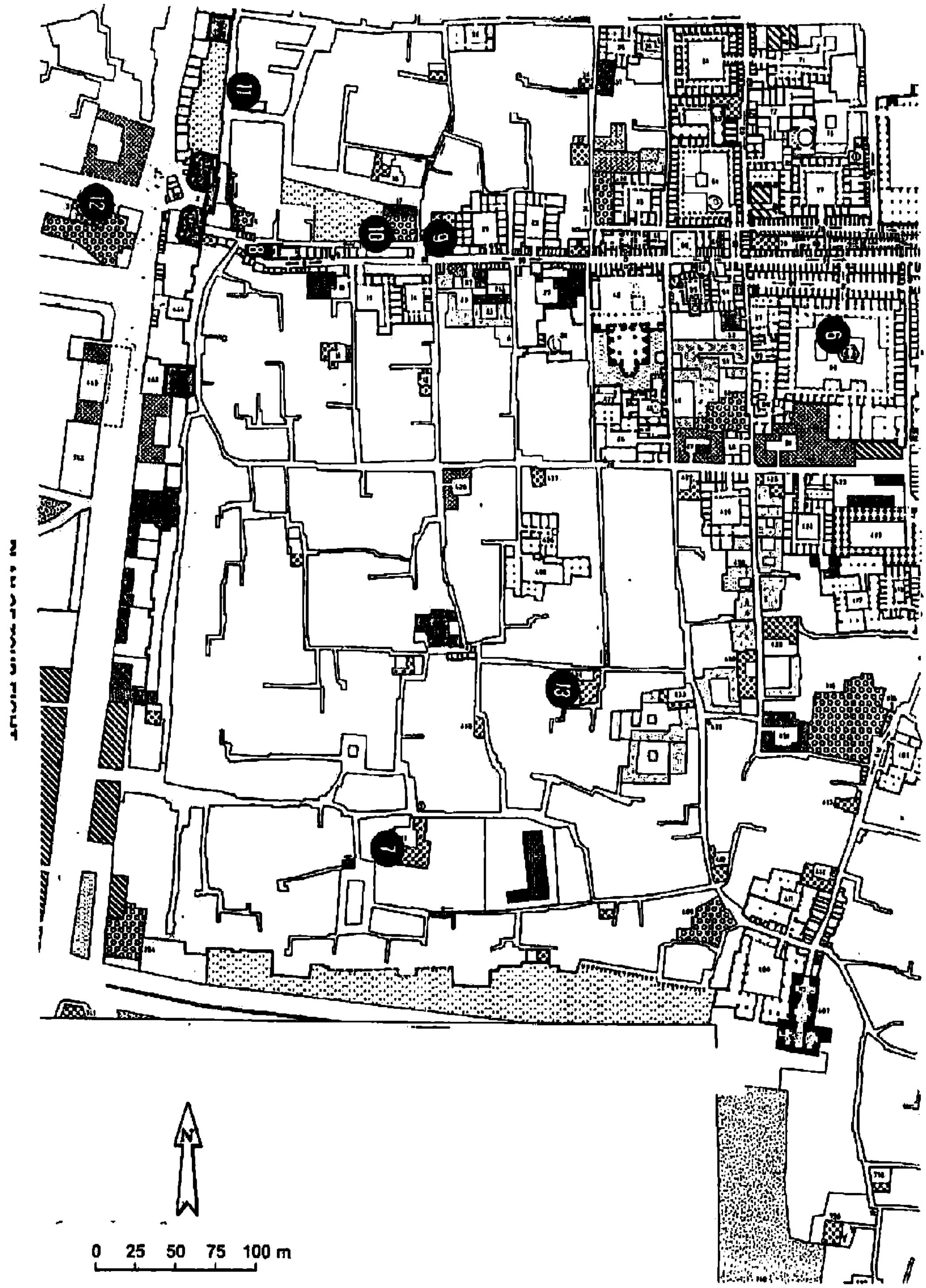
حي الجديدة وحي البندرة

الرقم	اسم الحي
١	كنيسة الأربعين شهيد
٢	كنيسة الروم الارثوذكس
٣	كنيسة السريان الكاثوليك
٤	كنيسة الموارنة
٥	كنيسة الروم الكاثوليك
٦	كنيسة الأرمن الكاثوليك
٧	كنيسة السريان القديمة
٨	كنيسة اللاتين
٩	بيت كبة
١٠	بيت صادر
١١	بيت بليط
١٢	بيت باسيل
١٣	بيت دلال
١٤	بيت وكيل
١٥	بيت صائغ
١٦	بيت عزالة
١٧	بيت اجقباش
١٨	وقف إبشير باشا
١٩	حمام بهرم باشا
٢٠	جامع شرف
٢١	جامع وقبر السهروردي
٢٢	برج باب الفرج
٢٣	برج ساعة باب الفرج
٢٤	التكية المولوية
٢٥	جامع بحسيتا
٢٦	بقايا المدرسة القرمرطية
٢٧	بيت رجب باشا
٢٨	الجامع العمري
٢٩	جامع الدباغة العتيقة


0 50 100 150 200 250 m
Aziziya

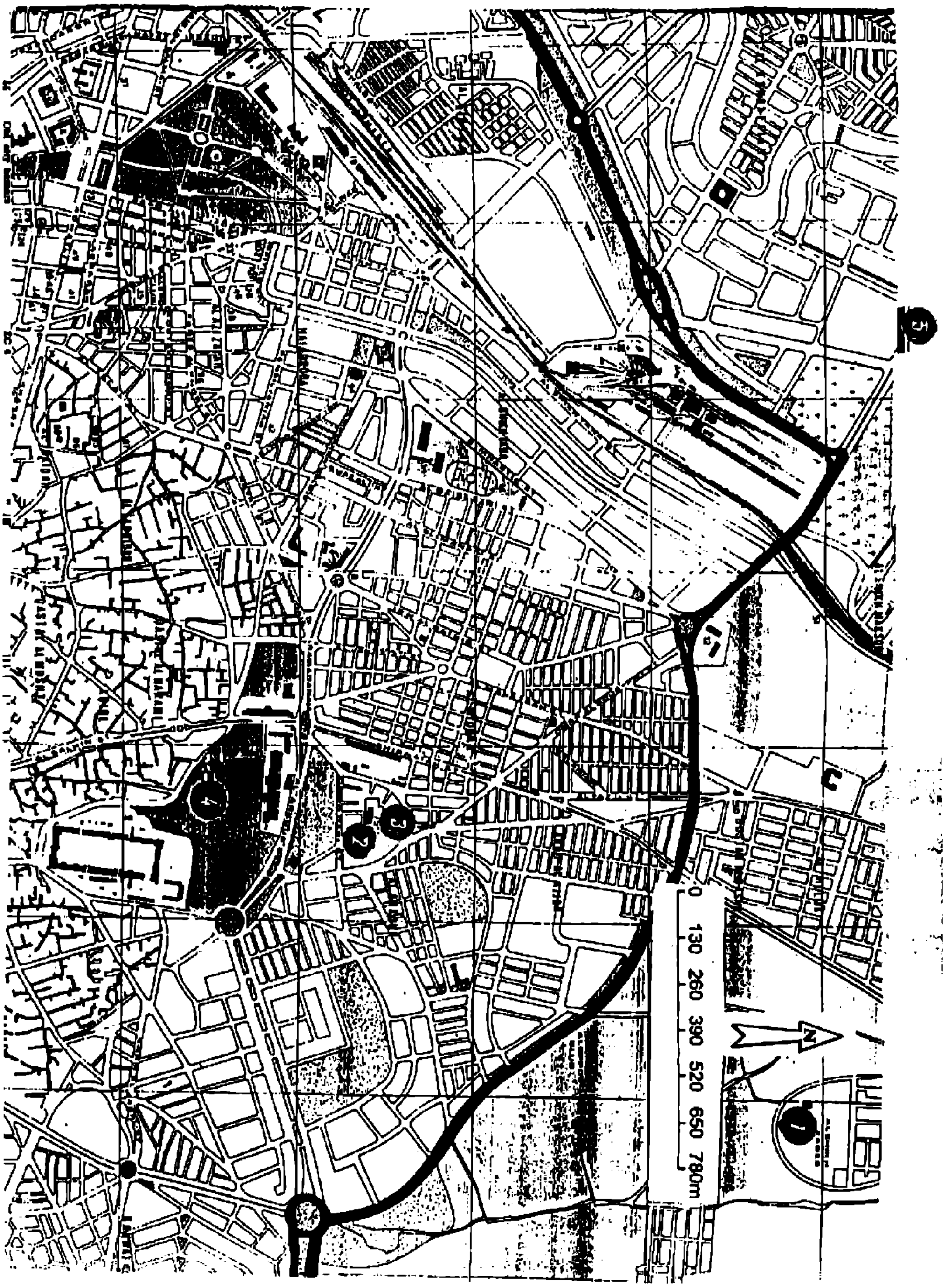
حي الجلوم وحي العقبة

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	جامع البهرمية	٨	جامع التوتة أو المدرسة الشعيبية (في مدخل بابا انطاكية)
٢	المدرسة الأحمدية (احمد طه زادة الجلبي)	٩	الزاوية الكمالية
٣	البيمارستان النوري	١٠	جامع الكيزواني
٤	المدرسة المقدمية	١١	جامع القيقان
٥	خان القصابية أو خان أبرك	١٢	مئذنة جامع الحجارين
٦	خان الجمرك	١٣	الزاوية الهلالية
٧	مسجد ابي يحي الكواكبي		


N
0 25 50 75 100 m

حي الشيخ فارس [الهلك] والشيخ أبو بكر

الرقم	اسم الحي
١	مدفن الشيخ فارس
٢	تكية الشيخ أبو بكر الوفائي
٣	مستشفى الرمضانية "العسكري" يندثر
٤	جامع البختي في مدخل مقبرة "جبل العظام"
٥	مدفن المنقب الانكليزي جورج سميث


0 130 260 390 520 650 780m
N

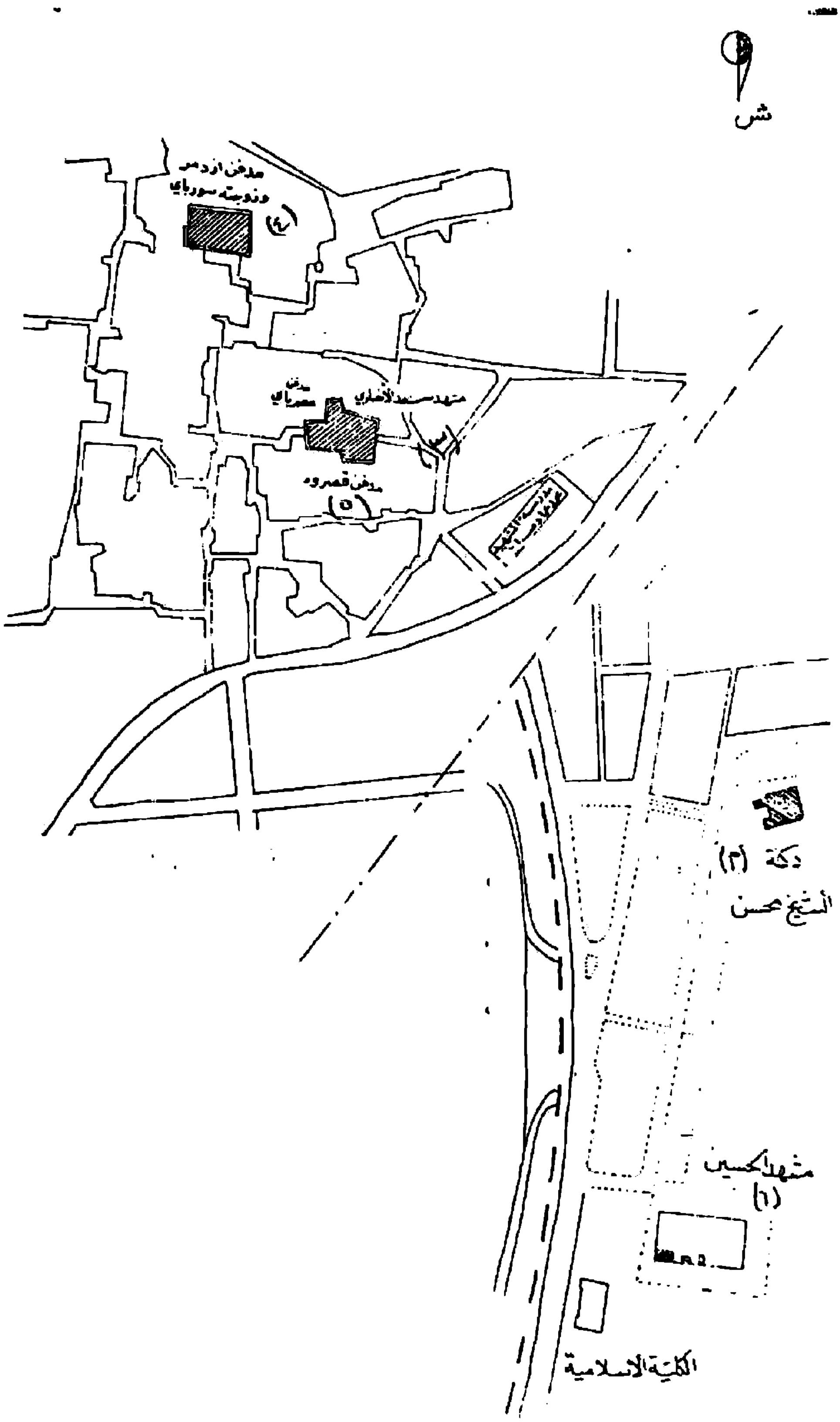
حي باب المقام وحي الفردوس

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	باب المقام	٧	جامع ومدرسة ورباط الفردوس
٢	ضريح خاير بك	٨	مشهد وسبيل قرسنقر
٣	مدفن اوغل بك	٩	مقبرة ومقام الصالحين
٤	مدفن الأزرعي	١٠	مدفن الهروي
٥	المدرسة الظاهرية البرانية (خارج الأسوار)	١١	خان النقر (اندثر)
٦	المدرسة الكاملية		


MUHAMMAD FARES STREET
HAWL AL BALDA STREET
AS SALIHIN STREET
AL'AAS
SA'I'D
STREET
BAB
Abur'raja Street
N
0
100
200
300
400
500 m
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11

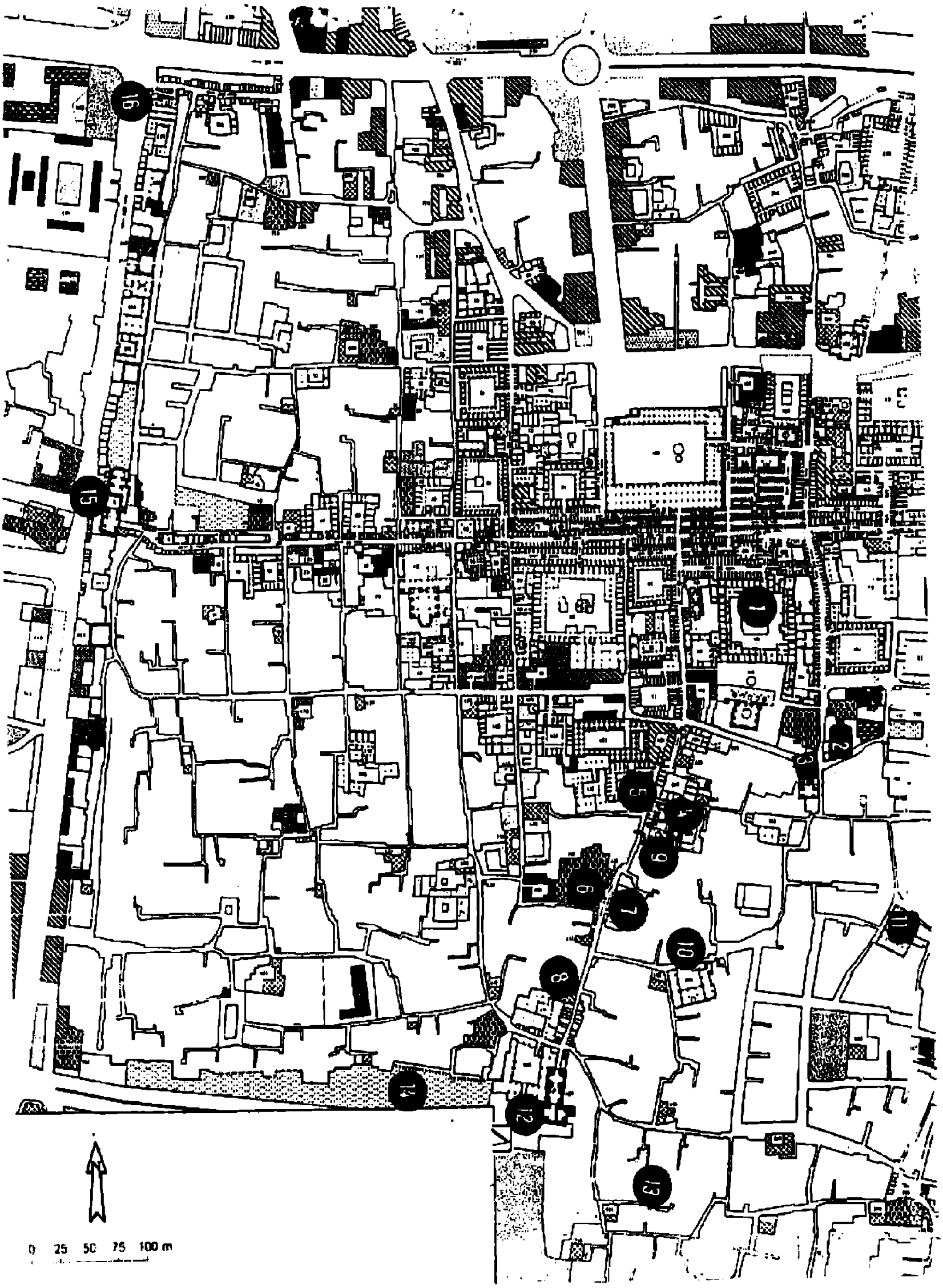
حي المشهد وحي سيف الدولة (الانصاري)

الرقم	اسم الحي
١	مشهد الحسين أو مشهد النقطة
٢	مشهد المسحن أو مشهد الدكة
٣	مشهد سعد الأنصاري
٤	مدفن أزدمر وزوجته سورباي
٥	مدفن قصروه


ش
مدفن ازدمر
وزوجته سورباي
(٤)
مدفن
سورباي
مشهد سعد الأنصاري
مدفن قصروه
(٥)
دكة (٣)
الشيخ حسن
مشهد الحسين
(١)
الكلية الاسلامية

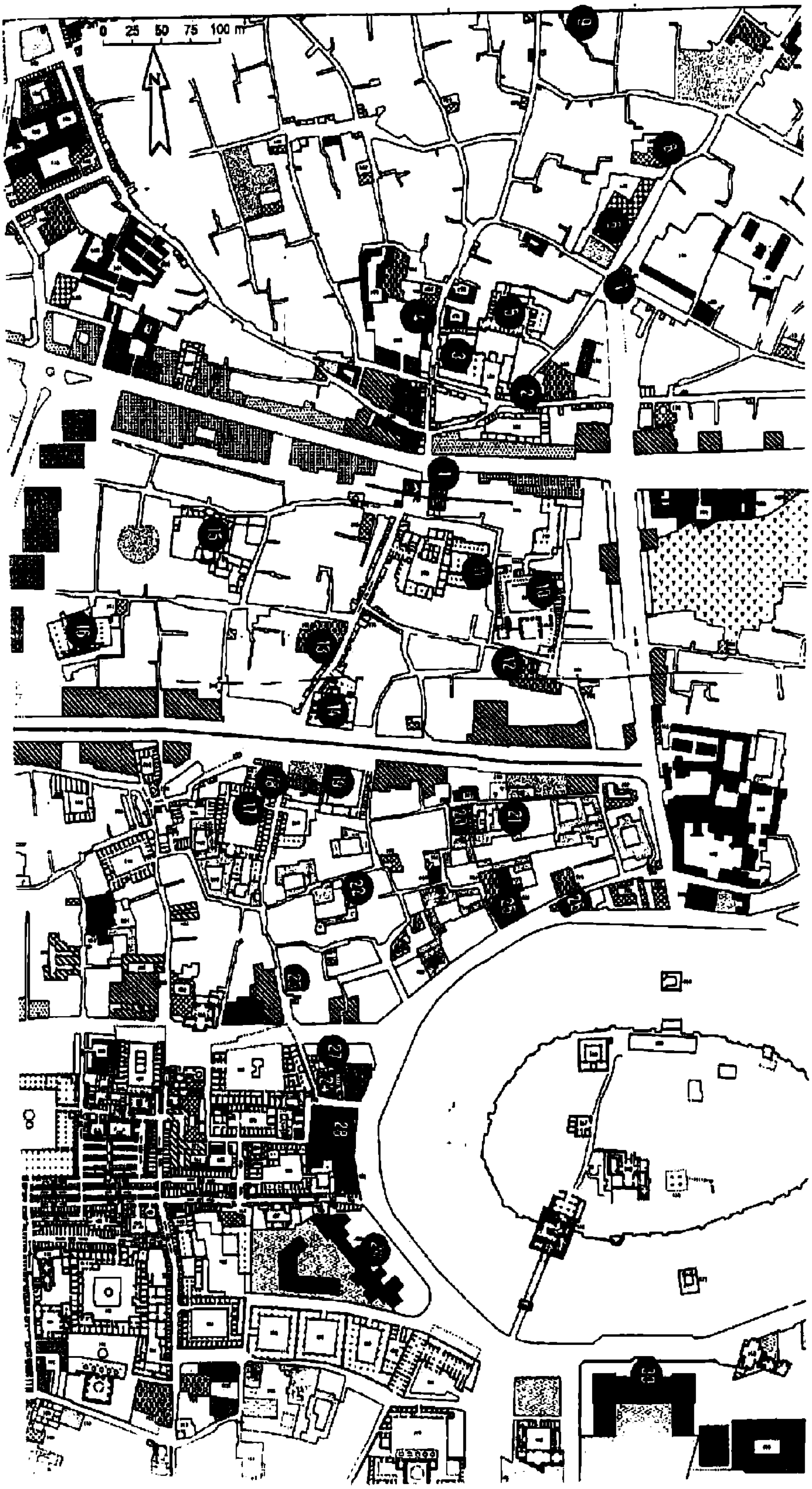
حي باب قنسرين وحي باب انطاكية

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	جامع العادلية	٩	جامع الشيخ حمود
٢	قبر السلطانة جوهر ملكشاه	١٠	جامع منكلي بغا أو الرومي
٣	جامع السفاحية	١١	جامع تغري بردي أو الموازيني
٤	البيمارستان الأرغوني الكاملي	١٢	باب قنسرين
٥	خان القاضي	١٣	قلعة الشريف
٦	حمام الجوهري	١٤	سور وخندق وبعض أبراج السور
٧	جامع الكريمية	١٥	باب انطاكية
٨	جامع الطرسوسي	١٦	باب جنين "بقايا البرج الدفاعي، حالياً جامع"


0 25 50 75 100 m

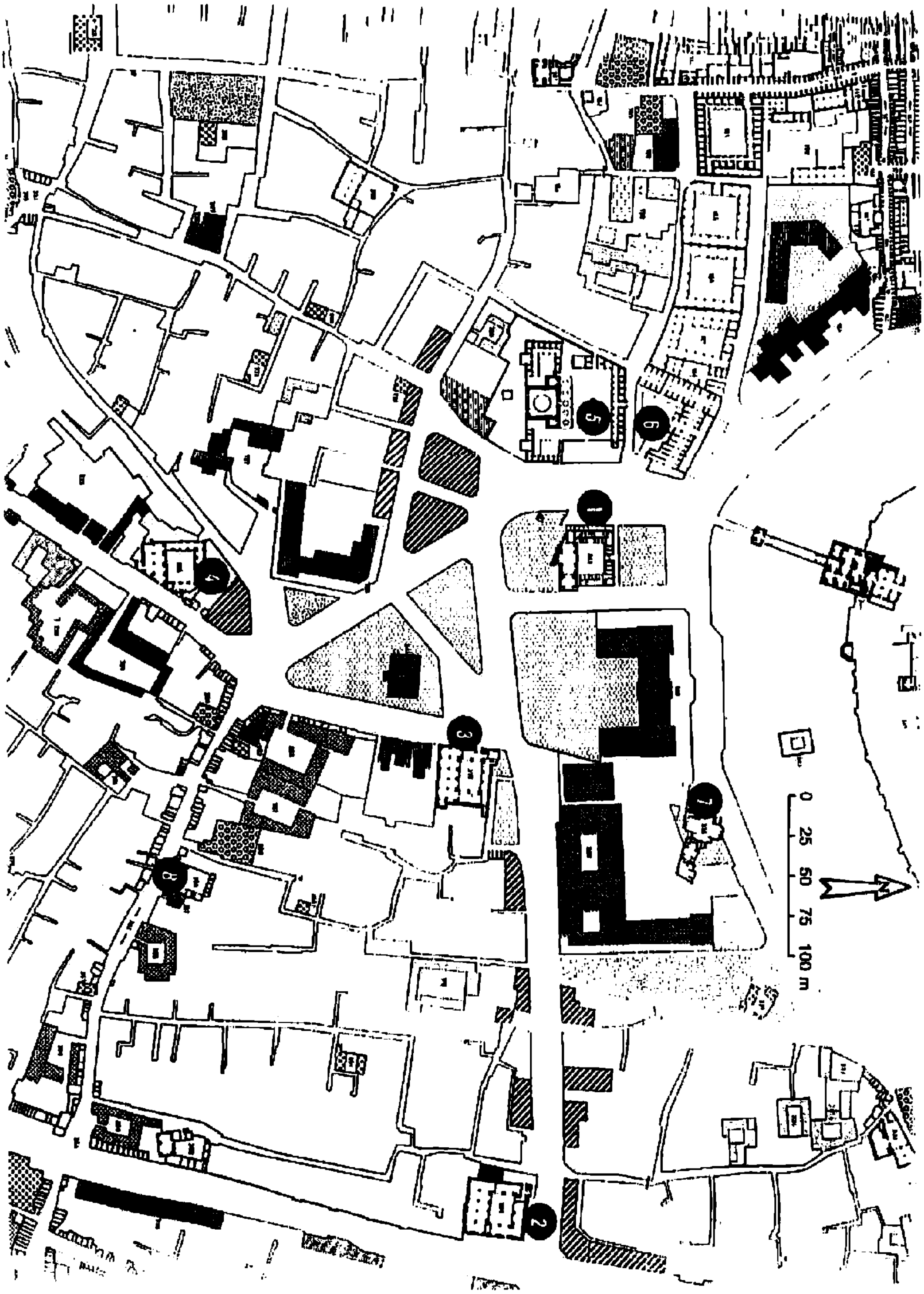
حي باب النصر وحي الفرافرة

الرقم	اسم الحي
١	باب النصر
٢	خان "أوج خان"
٣	جامع الزكي
٤	الزاوية الوفائية
٥	مصبنة الزنابيلي (باب النصر) .
٦	كنيسة تراب الغرباء اليسوعية
٧	جامع نور الدين
٨	جامع الميداني
٩	جامع قسطل الحرامي أو بردبك
١٠	المدرسة العثمانية
١١	مصبغة الزنابيلي (تراب الغرباء)
١٢	حمام أزدمر أو حمام النحاسين (دثرت)
١٣	حمام القاضي
١٤	جامع الممندار
١٥	قصر جنبلاط
١٦	كنيس البندرة
١٧	خان قرط بك
١٨	مقهى البليط أو مقهى البرتقان
١٩	المدرسة الشعبانية
٢٠	خانقاه ضيقة خاتون أو خانقاه الفرافرة
٢١	مدرسة سيف الدولة مقر مديرية إحياء حلب القديمة
٢٢	زقاق القناية
٢٣	زاوية المنصورية
٢٤	جامع الحيات
٢٥	حمام السلطان
٢٦	قبر النسيمي
٢٧	المدرسة العصرونية
٢٨	المدرسة الرشدية مقر مديرية الخدمات الفنية
٢٩	المستشفى الوطني سابقاً ثم المعهد الصحي ثم ؟؟؟
٣٠	السراي الجديدة أو مقر المحافظة ومديرية الشرطة


0 25 50 75 100 m
N

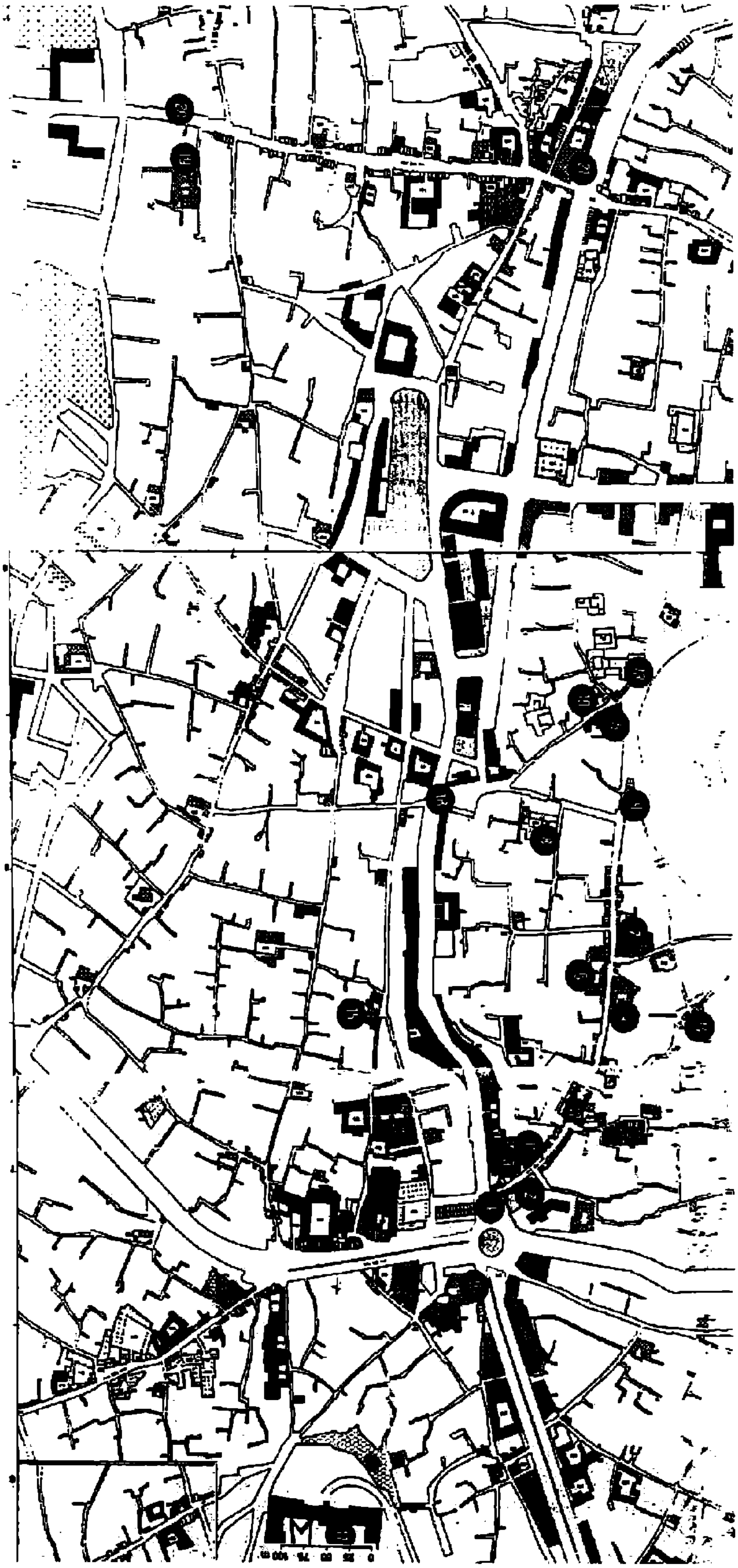
حي حول القلعة

الرقم	اسم الحي
١	المدرسة السلطانية أو الظاهرية الجوانية
٢	جامع الطونبغا أو جامع ساحة الملح
٣	جامع الأطروش أو أقبغا الاطروشي أو جامع دمرداش
٤	جامع الطواشي
٥	المدرسة الخسروية
٦	خان الشونة، أو سوق المهن اليدوية
٧	حمام يلبغا الناصري
٨	جامع السكاكيني أو أشقتمر


0
25
50
75
100 m

حي باب الحديد وحي البياضة

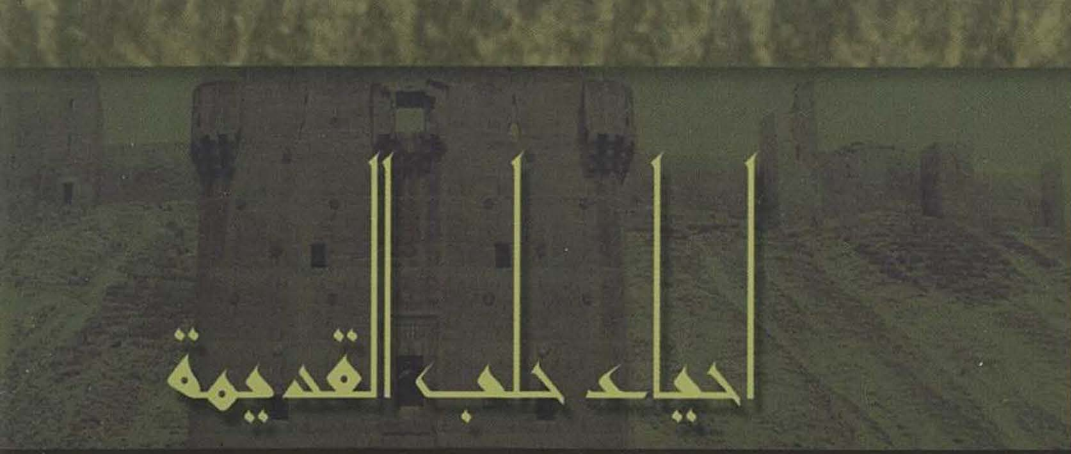
الرقم	اسم الحي
١	باب الحديد
٢	مخفر باب الحديد
٣	المدرسة الكلتاوية (الأتابكية)
٤	التكية الإخلاصية
٥	سبيل حسبي
٦	جامع الصروي
٧	حمام البياضة
٨	بيت الغوري
٩	جامع الحموي
١٠	جامع اوغل بك
١١	جامع الشيخ محمد الزركشي
١٢	سوق الحدادين
١٣	الزاوية الصيادية
١٤	جامع المستدامية
١٥	جامع الدرج
١٦	جامع الحدادين
١٧	ثكنة الترك
١٨	باب الأحمر
١٩	المدرسة الطرنطائية
٢٠	باب النيرب وقسطل علي بك
٢١	جامع التوبة
٢٢	مشهد الشيخ جاكير والمقبرة



جدول المحتويات

اللوحات

مخططات وخرائط
مدينة حلب القديمة وأحيائها





أمضى الدكتور محمود مصطفى حريتاني، أربعين عاماً، يهتم بمدينة حلب القديمة، دارساً لها ومسؤولاً عنها، ومحاضراً بتاريخها وعمرانها، ومدرّساً لمبادئ صيانتها وترميمها..

كتاب (أحياء حلب القديمة)، جهد متميز في دراسة بعض أقسام المدينة القديمة، أزقتها ومحلاتها، وحتى بواباتها.

تبرز في هذه الدراسة، مظاهر الصراع الكبير، بين القديم والحديث، بين الاصالة، وما يعرف بالحداثة، بين الحفاظ على التراث وضياعه، بل وتدميره.

تهتم الدراسة، بكل حي، وكل زقاق، وكل بوابة: بتاريخها منذ نشأتها، ثم تطورها عبر القرون الطويلة، وما طرأ عليها من تبديل، وما هو المستقبل الذي ينتظرها، من خلال المشاريع العمرانية التي توضع.

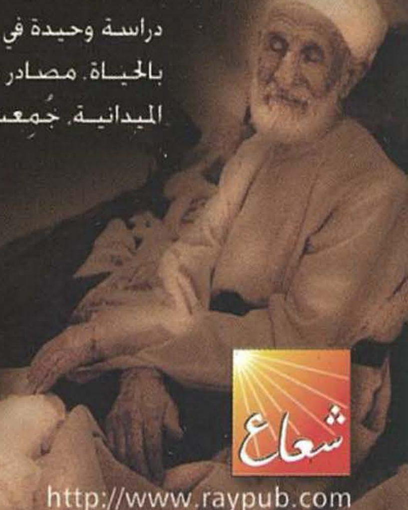
في هذا الكتاب اهتمام كبير بالبشر، مع الاهتمام بالحجر، فقد تناول الحديث عن: البناة، والسلاطين، والولاة، إلى جانب رجال العلم، والقضاة والمحدثين والفقهاء، وحتى المؤقتين، أورد اماكن سكناهم وإقامتهم، وزياراتهم.

اخيراً، في الكتاب، اهتمام بسكان هذه الأحياء: من هم؟ من اين جاءوا؟ وماذا فعلوا؟ و علاقاتهم ببعضهم؟ وكيف نسجوا تاريخ بلدهم سدى ولحمة...

تاريخ عريق لشعب أصيل، شجاع، محب لوطنه، وبلده، وحيه، وجاره...

دراسة وحيدة في مدينة هي أقدم مدن الدنيا لاتزال عامرة،تنبض بالحياة، مصادر هذه الكتاب، هي الوثائق، والدراسة، والجولات الميدانية، جُمعت بتأنٍ ووعي - واطلاع واسع.





70015
3960H04A 0175

شعاع
http://www.raypub.com